مجلة جامعة حمص

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 47 . العدد 6

1447 هـ - 2025 م

الأستاذ الدكتور **طارق حسام الدين** رئيس جامعة حمص المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. وليد حمادة	رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية
أ. د. درغام سلوم	رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية

د.محمد فراس رمضان	عضو هيئة التحرير
د. مضر سعود	عضو هيئة التحرير
د. ممدوح عبارة	عضو هيئة التحرير
د. موفق تلاوي	عضو هيئة التحرير
د. طلال رزوق	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الجاعور	عضو هيئة التحرير
د. الياس خلف	عضو هيئة التحرير
د. روعة الفقس	عضو هيئة التحرير
د. محمد الجاسم	عضو هيئة التحرير
د. خليل الحسن	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. أحمد حاج موسى	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة حمص

سورية . حمص . جامعة حمص . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.homs-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : journal.homs-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة حمص

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسـبة لكليات (الآداب – الاقتصـاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

ـ كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي ـ العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشـر في المجلة يدل ضـمناً على عدم نشـره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة ـ الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة ـ سنة النشر ـ وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة ـ دار النشر وتتبعها فاصلة ـ الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

ـــ بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة ـــ المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة ـــ أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة حمص

1. **دفع رسم نشر (50000) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (200000) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (15000) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
اتجاهات طلبة الدراسات العليا نحو تلقي لقاح كوفيد-19: دراسة استطلاعيّة في قسم علم الاجتماع-جامعة تشرين	دارين أحمد	42-11
تأثير شبكات التواصل الاجتماعي في مستوى التوافق الزواجي للأسرة السورية لدى عينة من المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق	ختام علي حمود د.عبير محمد سرور	76-43
أنساق اللّون والعبودية في شعر عنترة بن شداد قراءة ثقافية	د.سمران متوج	110-77
التَّوجُّهُ الحواريُّ لخطابِ الشَّخصيَّةِ القائلةِ نحوَ الخطابِ المؤجَّل للشَّخصيَّةِ المقول لها في مشاهدِ أخبار العصر الإسلامي	رنا شاهين د.سمر الديوب	148-111
ثورة خوسيه دي سان مارتن وأثرها على الحركات التحررية في أمريكا الجنوبية	ربيعة حسن الحسين	173-149

اتجاهات طلبة الدراسات العليا نحو تلقي لقاح كوفيد-19: دراسة استطلاعيّة في قسم علم الاجتماع-جامعة تشرين

الملخص:

في هذه الدراسة نسلط الضوء على مدى استعداد الشباب لتلقي اللقاح ومواجهة جائحة كوفيد-19 من خلال بحث تمّ إجراؤه حول اتجاه طلاب جامعة تشرين نحو تلقي لقاح كوفيد-19.

تمّ تحليل نتائج استبيانات جرى توزيعها على عينة استطلاعية من طلبة الدراسات العليا في قسم علم الاجتماع-جامعة تشرين، حيث تمّ استخدام المنهج الوصفي التحليلي.

أظهرت النتائج:1- انقساماً واضحاً بين طلاب الماجستير والدكتوراه في توجهاتهم نحو تلقي اللقاح، فقد تبيّن أنّ طلاب الماجستير يبدون ميلاً أكبر نحو الموافقة على تلقي اللقاح مقارنةً بطلاب الدكتوراه، حيث يُشجعون للترويج للقاح وإشاعة الوعي بفعاليته. 2- بيّنت نتائج البحث أنّ طلاب الدكتوراه يظهرون تردّداً أكبر في تلقي اللقاح، وهذا يرجع جزئياً إلى امتلاكهم خبرة سابقة وقدرة تحليلية أكبر، مما يجعلهم أكثر حذراً ويزيد من ميلهم نحو عدم الموافقة على تلقي اللقاح. بالتالي، يمكن استخدام هذه النتائج في توجيه الجهود والتوصيات المستقبلية لتشجيع الطلاب على تلقي اللقاح، بما يراعي الاختلافات في الميول والاحتياجات بين طلاب الماجستير والدكتوراه.

الكلمات المفتاحية:

لقاح كوفيد-19، تردد في تلقي اللقاح، توجهات تلقي اللقاح، الثقة باللقاحات، طلاب الدراسات العليا.

Attitudes of graduate students towards receiving the Covid-19 vaccine: An exploratory study in the Department of Sociology - Tishreen University

Abstract:

In this study, we highlight the extent to which young people are prepared to receive the vaccine and confront the Covid-19 pandemic through research conducted on the trend of students at Tishreen University and Syrian universities in general towards receiving the Covid-19 vaccine. In this study, the results of questionnaires distributed to a sample of graduate students in the Department of Sociology were analysed, and the descriptive analytical method methodology was used. The results showed a clear division between master's and doctoral students in their attitudes toward receiving the vaccine. It has been shown that master's students show a greater tendency to agree to receive the vaccine compared to doctoral students, as they are encouraged to promote the vaccine and spread awareness of its effectiveness. On the other hand, the results of the study showed that doctoral students show greater reluctance to receive the vaccine, and this is partly due to their having previous experience and greater analytical ability, which makes them more cautious and increases their tendency towards not agreeing to receive the vaccine. Therefore, these findings can be used to guide future efforts and recommendations to encourage students to receive the vaccine, taking into account differences in preferences and needs between master's and doctoral students.

Keywords:

Covid-19 vaccine, vaccine hesitancy, vaccine reception trends, vaccine confidence, graduate students

-المقدمة:

يشهد العالم حاليًا أزمات متلاحقة على الأصعدة كافة، ولعلّ أبرزها الأزمات الصحية التي تُهدد البشرية جمعاء. يجب الاعتراف بأن الأوبئة قد تكون من الأخطر لصعوبة السيطرة عليها والحد من انتشارها. وقد كان فيروس كوفيد-19، الذي تم اكتشافه في مدينة ووهان الصينية، مثالاً صارخًا على ذلك، حيث شكّل أزمة صحية غير مسبوقة في جميع دول العالم. الأمر الذي استدعى الدول كافة للعمل والتعاون لإيجاد لقاح يوقف انتشار العدوى ويمنعها (Muralidar et al, 2020, 85-100).

لقد تأخرت دول العالم مدة عام في توفير اللقاح منذ ظهور الفيروس (WHO). ورغم ذلك، لم يقتنع الكثيرون بفعالية اللقاح. وعليه، فإن بعض الأشخاص يشعرون بالقلق من اللقاح، مما يؤدي إلى تردد بعضهم في تلقيه عندما تتوافر لهم الفرصة لذلك. ومن بين هذه الفئات، طلاب الدراسات العليا في مختلف التخصصات، وتعدّ هذه الفئة من الفئات الواعية في المجتمع التي تنحو عادةً المنطق العلمي في إطلاق الحكم على الكثير من القضايا. ولكن، على الرغم من وجود الدراسات العلمية الدقيقة التي تُظهر فعالية اللقاحات في تقليل انتشار الفيروس، وتقليل خطر الإصابة بالأعراض الحادة المميتة، لا يزال العديد منهم لا يحبذون تلقي لقاح كوفيد-19 (Nuwarda et al, 2022, 1595). وهنا لابدّ من التنويه إلى أن ثقة المجتمع المحلي باللقاح شكّلت عنصرًا أساسيًا لضمان تلقيه. لذا، من المهم أن نفهم المخاوف بشأن اللقاحات، مما يجعل من الأهمية تحديد وتفسير العوامل المرتبطة بقبول اللقاح أو رفضه أو التردد في تلقيه.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

في ظل الأزمات الصحية العالمية مثل كوفيد-19، أصبح من الضروري فهم الأسباب التي تدفع البعض إلى تقبل اللقاح بينما يتردد آخرون في اتخاذ هذه الخطوة، خاصة أن

طلبة الدراسات العليا يمثلون فئة مهمة ومثقفة تؤثر آراؤهم على المجتمع بشكل عام، حيث تتعدد العوامل المؤثرة في اتجاهات الطلبة، مثل مستوى التعليم، والخلفية الثقافية، والتجارب الشخصية مع نظام الرعاية الصحية، بالإضافة إلى تأثير المعلومات المتداولة عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، والتي تشكل آرائهم حول فعالية وأمان اللقاح، كما أن المخاوف من الآثار الجانبية أو عدم الثقة في السلطات الصحية قد تزيد من التردد تجاه اللقاح. وبناءً على ما سبق، فقد سعى البحث للإجابة على التساؤلات الآتية:

1. ما هي العوامل النفسية والاجتماعية التي تؤثر في توجهات طلبة الدراسات العليا نحو تلقي لقاح كوفيد-19؟
2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات تلقي لقاح كوفيد-19 بين طلبة الماجستير وطلبة الدكتوراه؟
3. كيف تؤثر مصادر المعلومات (مثل وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي) على قناعة طلبة الدراسات العليا بفعالية لقاح كوفيد-19؟

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في الوصول إلى رؤية واضحة المعالم عن أسباب إحجام طلبة الدراسات العليا عن تلقي لقاح كوفيد-19، مما يساعد على فهم العوامل النفسية والاجتماعية والمعرفية التي تؤثر على قراراتهم بشأن اللقاح. يمكن من خلال ذلك تحديد مدى تأثير الشائعات والمعلومات المضللة على هذه القرارات ومدى الثقة بالمنظومة الصحية واللقاح نفسه بين هذه الفئة الواعية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للجامعات والمؤسسات الصحية الاستفادة من نتائج الدراسة لتصميم برامج ومبادرات تستهدف رفع مستوى الوعي بأهمية تلقي اللقاح، من خلال تقديم المعلومات الصحيحة من المصادر الأصلية. يُمكن أن يساعد هذا على تحديد الوسائل الإعلامية الأكثر فعالية لنشر الوعي بين الطلاب، وتصميم استراتيجيات تواصل مبتكرة تستهدف الفئات الأكثر ترددًا وتشكيكًا، مما يعزز من فعالية برامج التطعيم ويوفر قاعدة بيانات مفيدة للدراسات المستقبلية وتطوير سياسات الصحة العامة المتعلقة بالتطعيمات.

أهداف البحث:

1. التعرف على اتجاهات طلبة الدراسات العليا في قسم علم الاجتماع بجامعة تشرين نحو تلقي جرعات لقاح كوفيد-19.
2. التعرف على الفروق في اتجاهات طلبة الدراسات العليا في قسم علم الاجتماع تبعًا لمتغيري الجنس والدرجة الأكاديمية (ماجستير- دكتوراه).
3. تحديد الأسباب الكامنة وراء عدم الاستعداد لتلقي جرعات لقاح كوفيد-19، وأكثرها تأثيرًا.

فرضيات البحث:

1. لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مواقف الذكور والإناث تجاه عبارات المقياس واستعدادهم لتلقي لقاح كوفيد-19.
2. لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مواقف طلبة الماجستير والدكتوراه تجاه عبارات المقياس واستعدادهم لتلقي لقاح كوفيد-19.

حدود البحث:

1. الحدود المكانية: قسم علم الاجتماع في كلية الآداب بجامعة تشرين.
2. الحدود الزمانية: تم إجراء البحث في الفترة من 5 ديسمبر 2022 إلى 12 ديسمبر 2022.
3. الحدود البشرية: طلبة الدراسات العليا في قسم علم الاجتماع بجامعة تشرين.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

الاتجاه: عرّفه جوردن ألبورت بأنه "حالة الاستعداد العقلي والعصبي التي تنظم أو تتكون من خلال التجربة والخبرة، والتي تسبب تأثيرًا موجهاً أو دينامياً في استجابات الفرد لكل الموضوعات والمواقف التي ترتبط بهذا الاتجاه" (أوزي، 1986، 1).

طلبة الدراسات العليا: هم الطلبة المسجلون في درجتي الماجستير والدكتوراه في كلية الآداب – قسم علم الاجتماع.

اللقاح: "هو منتج يحفز الجهاز المناعي على إنتاج مناعة ضد مرض معين، مما يحمي الشخص من هذا المرض" (CDC, 2018).

لقاح كوفيد-19: هو لقاح معطّل ضد مرض كوفيد-19. يحفز اللقاح جهاز المناعة في الجسم دون التعرض لخطر التسبب في المرض، وذلك بإنتاج الأجسام المضادة مما يجعل الجسم مستعدًا للاستجابة للعدوى بفيروس SARS-COV-2 الحي (WHO, 2021).

الاتجاه نحو تلقي لقاح كوفيد-19 (تعريف إجرائي): هو قياس مدى استعداد طالب الدراسات العليا لتلقي جرعات لقاح كوفيد بناءً على مخاوفه ومعارفه التي يحملها، إضافةً للمصادر التي يستقي منها معلوماته حول اللقاح، وكذلك ثقته بمقدمي الرعاية الصحية، ووسائل الترويج المتبعة للقاح.

- الإطار النظري:

اعتبرت دول العالم أنّ اللقاح أصبح ضرورة ملحة لمواجهة خطر كوفيد-19، حتى يتقلص انتشار الوباء، ويسهل السيطرة عليه. وقد حرصت دول العالم جميعها على متابعة اللقاحات ومراحلها، وتمّ تطوير العديد منها، واعتبر كبار السن ومن يعانون من أمراض مزمنة لهم الأحقية في تلقي هذه اللقاحات على البقية. لذا سيحاول البحث أن يلقي الضوء على ماهية لقاح كوفيد-19، وأنواعه المتوافرة من قبل وزارة الصحة السورية، ومن ثمّ ذكر أبرز العوامل المؤثرة في الاستعداد لتلقي جرعات لقاح كوفيد-19.

أولاً – ما هو لقاح كوفيد-19؟

بدايةً، يجب التعريف بطبيعة فيروس كورونا المستجد الذي تمّ اكتشافه وتطوير لقاح له؛ فهو نوع من حالات الالتهاب الرئوي ظهر بكثرة دون معرفة أسبابه في مدينة ووهان، وتحديداً في مقاطعة هوبي بجنوب الصين. وارتبطت تلك الحالات بسوق الجملة للمأكولات

البحرية، المسمى بسوق هوانان، ونتج عن ذلك ظهور المرض الذي يسمى فيروس كورونا المستجد، الذي أثبت أنّه يصيب البشر. وتجدر الإشارة إلى أنّ الفيروس يتسم بتشابه بالمادة الوراثية بنسبة 75–80% لمتلازمة الالتهاب الرئوي (سارس)، و50% لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية، و96% لفيروس كورونا لطائر الخفاش (Arabi et al, 2020, 833–836).

وساهم تطوير فيروس كورونا من نفسه، وأشكاله، وسرعة بانتشاره في استنفار دول العالم كافة لإيجاد الحل. وطُبقت إجراءات صارمة للسيطرة عليه، كتطبيق إجراءات التباعد الاجتماعي، ومنع التجمعات، والحثّ على ارتداء الكمامة. إنّ كل تلك الإجراءات ساعدت بشكلٍ أو بآخر في ضبط الانتشار لفترة وجيزة؛ ولأنّ ثقافة الالتزام غير موجودة في المجتمعات كافة، كان لابدّ من إيجاد حل جذري وطويل الأمد، فكان اللقاح هو الحل الأسلم لتحقيق نتائج مُرضية لضبط انتشار فيروس كوفيد–19 (Tregoning et al, 2021, 626–636).

ثانياً – إجراءات وزارة الصحة السورية لتلقي لقاح كوفيد–19:

سارعت وزارة الصحة السورية، بالتعاون مع منظمتي الصحة العالمية واليونيسيف، إلى توفير اللقاحات والعمل على وصوله للمناطق السورية كافة، مع مراعاة أولوية التطعيم للعاملين في القطاع الصحي، والمسنين، ومن يعانون من الأمراض المزمنة (Klib et al, 2024, 102558).

حدّدت وزارة الصحة السورية الإجراءات اللازمة للتسجيل إلكترونيًا على لقاح التطعيم ضد جائحة كوفيد–19؛ إذ يجب التسجيل لأخذ اللقاح مرةً واحدةً فقط، ويفترض الإجابة على عدّة أسئلة لتحديد الأولوية لأخذ التطعيم. يضاف إلى ما سبق، فإنّ المواطن الراغب بالحصول على شهادة اللقاح الدولية يمكن أن يُسجل طلبه على المنصة الإلكترونية. ويُذكر أنّ أغلب دول العالم، خلال جائحة كوفيد–19، منعت السفر دون شهادة اللقاح، أو دون

فحص تفاعل البوليميراز المتسلسل الجزيئي المعروف باختصار PCR، الخاص بالتأكد من سلامة الجسم وخلوه من فيروس كوفيد-19.

وقد أوعزت وزارة الصحة السورية في 5 مايو عام 2021 بضرورة تسجيل الراغبين في تلقي اللقاح عبر المنصة الإلكترونية في موقع الوزارة، وكانت الأولوية في تلقي اللقاح للأطباء، والممرضين، والفنيين، والعاملين في المشافي، بالإضافة إلى كبار السن.

ثالثاً: العوامل المؤثرة في الاستعداد لتلقي جرعات كوفيد-19

ثمّة عدة عوامل يمكن أن تسهم في الاستعداد لتلقي لقاح كوفيد-19 أو عدمه، من أبرزها العوامل النفسية ذات الصلة بالمخاوف التي يحملها الشّخص عن الوباء واللّقاح، ومصادر معلوماته عنه، وكذلك الثّقة بكلّ من مقدّمي الرعاية الصحية، ووسائل الترويج للقاح، وبرامج التطعيم المعتمدة.

3-1 المعارف والمخاوف:

لكي نفهم سبب تردد الكثيرين وإحجامهم عن تلقي التطعيم، علينا أن نفهم السياق الذي يحدث فيه المرض؛ إذ إننا نعيش داخل نظام اجتماعي واسع له أبعاد دينية وسياسية وثقافية واقتصادية. وهذه الأبعاد تؤثر في سلوك الشخص وأفراد أسرته، وذلك من منطلق أنّ التطعيم هو قاعدة اجتماعية يتقبلها أفراد المجتمع لحماية أنفسهم ومجتمعهم، مما يجعل الأسرة تؤيد اللقاح. فالقاعدة الاجتماعية السائدة تُشكّل ضغوطاً لقبول التطعيم أو رؤية التطعيم كواجب على الأفراد، وبالتالي فإنّ السلوك الاجتماعي السائد أثناء التطعيم يؤثر على السلوك الفردي. وكان يذكر في هولندا سابقاً ارتباط فكرة رفض اللقاحات بمعتقدات دينية، إذ اعتبر الكثير من الأوروبيين في القرن الثامن عشر أنّ التطعيم يعارض الخطة الإلهية، وشهد القرن التاسع عشر انتشار رابطة مناهضة التطعيم في بريطانيا (Hussain et al, 2018, 1-4). ولابدّ من التنويه إلى أنّ السلوك الاجتماعي السائد سببه جملة من المعارف والمخاوف المنتشرة أثناء الوباء. وتقسم نظرة المجتمع الخاصة باللقاح إلى معارف ومخاوف. ولابدّ من الإشارة

إلى استخدام مصطلح المعلومات كبديل عن مصطلح المعارف في بعض الأحيان، إلا أنّ هناك فرقاً بينهما؛ إذ إنّ المعلومات تعبّر عن حالة معرفة أشياء معينة حول ظاهرة ما، بينما المعارف تُعبّر عن افتراض كيفية تفاعل الظواهر عند تعرضها للتغير. وأما المخاوف فهي عبارة عن أمر يثير عدم الارتياح أو التخوف أو عدم التيقن (McNeil and Purdon, 2022, 1–5). وارتفاع المخاوف عادةً يُنبئ بالرفض أو التردّد في تلقي اللقاح. ويُمكن القول إنّ المخاوف تجاه لقاح كوفيد–19 ليست إلا التوقعات السلبية التي تُحفّز تجنب أخذ اللقاح كردة فعل تجاه أي تهديد يعتقد أنّه يؤثر على الصحة. ولعلّ المعارف والمخاوف الخاطئة ليست إلا مؤثر ينبئ بالرفض أو التردد في تلقي اللقاح. وتلعب العوامل النفسية المرتبطة بالشخص دوراً هاماً في قبول اللقاح أو رفضه أو التردّد في أخذه، إضافةً لنقص الوعي بأهمية اللقاح وفوائده لمكافحة المرض، ومقدار الرضا عن المعلومات المتلقاة عن اللقاح وطرق التطعيم. كما أنّ للتجارب الشخصية مع التطعيم وخدمات جودة التطعيم تأثير على اتخاذ القرار المتعلق بتلقي لقاح كوفيد–19. ومن العوامل النفسية أيضاً الخوف من وخز الإبرة لمن يعاني من رهاب الثقاب، وتفضيل المناعة الطبيعية على غيرها، والتفكير بأنّه يمكن التحكم بالمرض من خلال الالتزام بالإجراءات الاحترازية والعادات الشخصية (Globevnik Velikonja et al, 2022, 1983). كما سبّب الخوف من الآثار الجانبية للقاح إحجام وتردّد الكثيرين في تلقي اللقاح. وحسب دراسة أُجريت في السعودية عن المعتقدات والمخاوف المتعلقة بلقاح كوفيد–19، تبيّن أن المخاوف مرتبطة بالآثار الجانبية، إضافةً لقناعتهم بأن اللقاح يحتاج للمزيد من التجارب السريرية (El Hassan et al, 2022, 853). وأخيراً، يُمكن القول إنّ المعارف والمخاوف ترتبط بكلّ من نظرة الفرد والمجتمع للقاح، كما ترتبط باللقاح بحد ذاته من ناحية الزمن الذي استغرقه وطريقة التحضير والدول المصنعة.

3–2 مصادر المعلومات:

كان لانتشار وباء كوفيد-19 تبعات بيولوجية واجتماعية، إذ لم يقتصر على كونه مرضاً مدمراً للجسم بل تعدى ذلك ليشكّل جائحة من المعلومات المخادعة والمضللة. وهنا لابدّ من التفريق بين نوعي المعلومات سابقي الذكر، فالمعلومات المضللة تكون غير صحيحة يتشاركها الناس دون وعي أو إدراك، ولا يقصدون الضرر من تداولها، بمن فيهم مؤيدو اللقاح. وأما المعلومات المخادعة فتحتوي على معلومات كاذبة خبيثة لخدمة غايات معينة. وإنّ نوعية المعلومات التي يتلقاها الشخص تؤثر على قرار التطعيم.

بالإضافة إلى أن المعلومات المغلوطة غالباً ما تُنشر على مواقع التواصل الاجتماعي. وقد لوحظ أن الأفراد الذين تأخروا في الحصول على اللقاحات أو رفضوها هم أكثر عرضةً بشكل ملحوظ للبحث عن معلومات اللقاح على الشبكة الإلكترونية. وأكدت نتائج الدراسة التجريبية واسعة النطاق التي أجراها بيتش والمتعاونون معه هذه الملاحظة؛ إذ إنّ التصفّح على أحد مضادات التطعيم في موقع الويب لمدة 5-10 دقائق كان له تأثير سلبي على تصورات المخاطر المتعلقة بالتطعيمات وعلى اتخاذ قرار التطعيم (Skafle et al, 2022, 1-4). لذا قد يكون عرض المعلومات الجيدة والموثوقة من خلال قنوات الإعلام الرسمية، وتصريحات وزارة الصحة، ومتابعة تصريحات الأطباء الموثوقين في اختصاصاتهم تشكّل معلومات مضادة لكل من المعلومات المضللة والمخادعة.

3-3 الثقة بمقدّمي الرّعاية الصّحيّة:

يؤدي مقدمو الرّعاية الصّحيّة دورًا أساسيًا في اتجاه الكثير من الناس واستعدادهم لتلقي لقاح كوفيد-19. ويُقصد بمقدّم الرّعاية الصّحيّة كلّ من هو معني بتقديم المساعدة الصّحيّة لمحتاجيها، كالأطباء، والممرضين، وبقية العاملين في المجال الصّحي (صيدلة، تخدير، فنيي أشعة). لقد سعت منظمة الصّحّة العالميّة، في خضم انتشار جائحة كوفيد-19، إلى توفير فرص عمل صحيّة وآمنة ولائقة لجميع العاملين الصّحيين والمعنيين بالاستجابة للطوارئ.

على الرغم من ذلك، أبدى العاملون في المجال الصّحي تفاوتًا في الاستعداد لأخذ اللّقاح. فعلى سبيل المثال، وجدت دراسة أن نسبة قبول اللّقاح بين الممرضين في هونغ كونغ كانت 40%، كما بيّنت دراسة أجريت في السعودية قبل بدء حملة التطعيم أن 49% من مقدّمي الرّعاية الصّحيّة يرغبون في تلقي اللّقاح. كذلك، أظهرت دراسة أجريت في كيبك في كندا أن نسبة مهمة من العاملين في مجال الرّعاية الصّحيّة، وعددهم 540، لديهم مخاوف بشأن اللّقاح. وتشير النسب السابقة إلى تدني الاستعداد لأخذ اللّقاح من قبل مقدّمي الرّعاية الصّحيّة (Peterson et al, 2022, 948).

يمكن إرجاع تدني النسب إلى حالة القلق التي عاشها مقدّمو الرّعاية الصّحيّة أثناء انتشار وباء كوفيد-19، وحاجتهم إلى الدعم النفسي للتخفيف من القلق، إضافةً إلى الاعتقاد ببعض المخاوف الطبيّة لدى البعض بأن اللّقاح يحتاج لفترات أطول من التجارب السّريريّة لضمان مأمونيّته.

وعليه، فإن ضعف الثّقة في مقدّمي الرّعاية الصّحيّة له دور في رفض أو التردّد في أخذ اللّقاح. فالتفاعل بين المرضى ومقدّمي الرّعاية الصّحيّة هو حجر الأساس في الحفاظ على الثّقة في التطعيم. وبما أن المهنيين الصّحيين يعتبرون المصدر الأكثر ثقة للمعلومات حول التطعيم بالنسبة لغالبية المرضى، فقد تمّ تقديم العديد من النصائح لمساعدة مقدّمي الخدمات في مناقشاتهم مع المرضى المتردّدين في التطعيم. وعلى الرغم من اختلاف الأساليب بين العاملين بالصّحّة وفقًا لكل دولة، إلا أن هناك بعض الخصائص المشتركة مثل أهمية الحفاظ على علاقة جديرة بالثّقة بين المريض ومقدّم الخدمة، وأهمية الاستجابة مع مخاوف وشكوك المرضى المحددة (Larson et al, 2022, 58-65).

3-4 الثقة بوسائل الترويج للّقاحات:

لقد لعبت برامج التطعيم دورًا رئيسيًا في مكافحة الأمراض والقضاء عليها، واعتبرت من أبرز التدخلات الفعّالة لدى حدوث مرض أو وباء في أي بلد. لذلك نجد أن برامج التطعيم أثبتت فعاليتها في الوقاية من عدد كبير من الأمراض سابقًا. أما في حالة لقاح كوفيد-

19، فالأمر يختلف؛ إذ تواجه برامج التطعيم الكثير من التشكيك والثّقة باللّقاح. تُبنى الثّقة باللّقاح من خلال الاعتقاد بأن التطعيم والجهات الموفّرة للّقاحات والقطاع الخاص والجهات السياسيّة التي تقف وراءها جميعها تصب في المصلحة العليا للشعوب.

تتضمن الثقة بوسائل ترويج اللّقاحات الثقة ببرامج التطعيم، والتي يتم فيها تحديد المجموعات المستهدفة ذات الأولويّة، كما حددتها منظمة الصّحّة العالميّة، على النحو التالي: العاملون الصحيون، وكبار السن فوق 65 عامًا، والبالغون المصابون بأمراض مزمنة. كما يمكن للبلدان التي تقوم بشراء أو تلقي جرعات إضافية تزيد عن 20% من عدد سكانها أن تقرر إعطاء الأولويّة للسكان المعرضين للخطر (Badur et al, 2020, 1007-1017).

كما أن الترويج الكافي والمنظم والمدروس لأي لقاح يُسهم في زيادة الثّقة فيه، والاستعداد لتقبله، إضافةً إلى التركيز أثناء الترويج على معيار السلامة المحقق. يُطبق هذا المعيار بإعطاء لقاحات كوفيد-19 بمجرد استلامها من مخزن اللّقاح وتجنب تخزينها لفترة طويلة، إذ تتطلب معظم لقاحات كوفيد-19 النقل بسلسلة البرودة عند درجة 2-8 درجات مئوية. ويوصى باستخدام مركبات مبردة، وإن لم تكن متوافرة في بلد ما، يجب استخدام حاويات معتمدة من منظمة الصّحّة العالميّة. كل ما سبق يُشكل في الواقع عوامل تسهم في التردّد في تلقي اللّقاح. ومن هنا يأتي دور التوعية بأهمية التطعيم وفوائده الصّحيّة.

-الدراسات السابقة:

- **دراسة بعنوان: العوامل المنبئة إلى الاستعداد لتلقي لقاح كوفيد-19 لدى العاملين في المجال الصحي في السعودية** (اليحيى، 2021، 85-107): هدفت هذه الدراسة إلى تحديد العلاقة بين الاستعداد لتلقي لقاح كوفيد-19 ومصادر ووسائط تلقي المعلومات حول اللقاح. شملت العينة 871 عاملاً في المجال الصحي بالسعودية، وتم استخدام الاستبانة الإلكترونية كأداة لجمع البيانات.

أظهرت النتائج وجود علاقة بين الاستعداد لتلقي اللقاح ومصادر تلقي المعلومات حوله، وأن مستوى المعرفة والمخاوف يتنبأ بالتردد في أخذ اللقاح.

- **دراسة بعنوان: A global survey of potential acceptance of a COVID-19 vaccine " استطلاع عالمي حول القبول المحتمل للقاح كوفيد-19 "** (Lazarus وزملاؤه، 2021، 225-228): هدفت هذه الدراسة إلى معرفة احتمال تقبل لقاح كوفيد-19 والعوامل المؤثرة على ذلك. استخدمت الدراسة المنهج المسحي، وتكونت عينة الدراسة من 13,436 مشاركاً في 19 دولة.

أظهرت النتائج أن 71.5٪ من المشاركين سيتلقون اللقاح، بينما 48.1٪ سيأخذون اللقاح بتوصية من صاحب العمل.

كما أشارت الدراسة إلى أن المشاركين الذين لديهم ثقة عالية في المعلومات التي تصلهم من المصادر الحكومية يظهرون قبولاً لتلقي اللقاح.

- **دراسة بعنوان: Covid-19 vaccine acceptance in the Democratic Republic of Congo: a cross-sectional survey " قبول لقاح كوفيد-19 في جمهورية الكونغو الديمقراطية: دراسة استقصائية مقطعية "** (Ditekemena وزملاؤه، 2021، 153): هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى استعداد تلقي لقاح كوفيد-19 لدى عينة مكونة من 4,131 مشاركاً في جمهورية الكونغو الديمقراطية.

أظهرت النتائج أن نسبة استعداد المجتمع المحلي لتلقي لقاح كوفيد-19 كانت منخفضة جداً، مما يشير إلى حاجة ماسة لحملات توعية لزيادة معدلات قبول اللقاح.

- **دراسة بعنوان: Acceptance of a Covid-19 Vaccine in Japan during the covid-19 Pandemic " قبول لقاح كوفيد-19 في اليابان خلال جائحة كوفيد-19"** (Machida وزملاؤه، 2021، 210): هدفت هذه الدراسة إلى وصف حالة القبول والتردد لتلقي لقاح كوفيد-19 وتقييم العوامل المرتبطة بها في اليابان. تم تشكيل عينة الدراسة من 2,956 مشاركاً.

أظهرت النتائج أن نسبة قبول اللقاح كانت منخفضة جداً لدى النساء والكبار من الأعمار (20–49)، وكذلك لذوي الدخل المحدود.

أوجه التشابه والاختلاف مع الدراسات السابقة:

تبرز أهمية الدراسة الحالية في سياق البحث العلمي حول استعداد الأفراد لتلقي لقاح كوفيد–19. فمن خلال الدراسات السابقة، نلاحظ التركيز العالمي على فهم آراء الناس وتوجهاتهم نحو اللقاح، مما يبرز الحاجة الملحة للتوعية والتفاهم العميق حول هذه القضية الصحية العالمية.

تُشير الدراسات إلى أن اختلاف استعداد الأفراد لتلقي اللقاح بين البلدان يعكس تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية المحلية على قراراتهم. وهذا يظهر أهمية دراسة السياق الثقافي والاجتماعي المحلي عند تحليل نتائج الدراسات وتفسيرها.

بالإضافة إلى ذلك، يشير التحديد بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية إلى الطريقة الفريدة التي تختارها الدراسة الحالية في استهداف فئة محددة من المجتمع، وهي الشباب الجامعي، لفهم آرائهم وتحديد العوامل المؤثرة في قراراتهم بشأن التطعيم. هذا التركيز يوفر رؤية أعمق وفهماً أفضل للتحديات والمعوقات التي تواجه توزيع اللقاحات وتطبيقها على المستوى المحلي.

منهج البحث:

لقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، الذي يُعد مناسبًا لطبيعة البحث. ويُعرف هذا المنهج بأنه يعتمد على دراسة الظاهرة كما هي في الواقع، مما يُمكننا من وصف الأسباب الكامنة وراء إحجام طلبة الدراسات العليا عن تلقي لقاح كوفيد–19 وصفًا دقيقًا. كما يمكّننا أيضًا من تحديد العوامل المؤثرة ذات الصلة في قبول اللقاح أو عدمه من خلال الدراسة الميدانية، للوصول إلى النتائج التي يرجوها البحث.

أدوات البحث:

م إعداد مقياس الاستعداد لتلقي اللقاح بعد الاطلاع على عدة دراسات ومقالات في هذا المجال. وبعد تجميع المادة العلمية، تم فرزها وتصنيف أوجه الشبه ضمن المحاور التالية: (محور المعارف والمخاوف، محور مصادر أخذ المعلومات، محور الثقة بمقدمي الرعاية الصحية، ومحور الثقة بوسائل الترويج المتاحة للقاح) التي أجمعت الدراسات على أنها تقيس مدى الاستعداد لتلقي لقاح كوفيد-19. تألف المقياس من عدة بنود موزعة على المحاور الأربعة السابقة الذكر، ولكل عبارة ثلاث بدائل للإجابة وهي: موافق، محايد، غير موافق (مقياس ليكرت الثلاثي).

تم تصميم استبانة موجهة لطلبة الدراسات العليا في قسم علم الاجتماع بجامعة تشرين، وتضم جميع المؤشرات التي تسهم في إقبال طلبة الدراسات العليا على تلقي لقاح كوفيد-19 أو عدمه. تضم الاستبانة أربعة محاور: المحور الأول يتعلق بالمعارف والمخاوف المرتبطة بالعوامل النفسية المؤثرة في اتجاه الشباب لتلقي اللقاح؛ والمحور الثاني يتعلق بمصادر الحصول على المعلومات عن اللقاح؛ والمحور الثالث يتعلق بالثقة بمقدمي الرعاية الصحية؛ والمحور الرابع يتعلق بالثقة بوسائل الترويج المتبعة للقاحات.

تضمنت المحاور على العبارات الآتية:

المحور الأوّل: المعارف والمخاوف

1- لديّ تجربة سيئة مع اللقاحات.

2-أخشى من الآثار الجانبية للقاح.

3-لديّ قناعة بضرورة تلقي لقاح كوفيد-19 لمنع تفشيه.

4-أخاف من وخز الإبرة.

5-تأثرت ببعض الشائعات المنتشرة حول لقاح كورونا (جلطات قلبية، ضعف خصوبة وغير ذلك).

المحور الثاني: مصادر أخذ المعلومات

1-أستقي معلوماتي حول لقاح كوفيد-19 من وسائل الإعلام التقليدية.

2-أستقي معلوماتي حول لقاح كوفيد-19 من مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت.
3-أحرص على متابعة منشورات وزارة الصحة السورية الخاصة بلقاح كوفيد-19.
4-أتابع تصريحات أطباء موثوقين حول لقاح كوفيد-19.
5-أهتم بالحصول على معلومات حول لقاح كوفيد-19 من الأصدقاء والأقارب والجيران.

المحور الثالث: الثقة بمقدمي الرعاية الصّحيّة

1-أجد أنهم تلقوا تدريباً كافياً للتعامل مع اللقاح.
2-أعتقد أنهم يمتلكون معلومات موثوقة حول اللقاح.
3-أعرف أحد العاملين في مجال الرعاية الصّحيّة متردداً في أخذ اللقاح.

المحور الرابع: لثقة بوسائل الترويج المتبعة للقاح

1-أجد أني مقتنع ببرنامج التطعيم المتبع بأولوية بعض الفئات في تلقي اللقاح.
2-أجد أنّ الترويج للقاحات كان كافياً للاقتناع بمأمونيتها.
3-أجد أنّ معايير السلامة محققة من حيث العقامة أثناء تلقي اللقاح.

مجتمع البحث وعينته:

تكوّن مجتمع البحث من طلبة الدراسات العليا في قسم علم الاجتماع- جامعة تشرين البالغ عددهم (30) طالباً وطالبة، وتمّ اختيار العينة بطريقة قصدية، لأنّ الدراسة استطلاعية مما يمكننا من معرفة آراء المجتمع المستهدف والوصول إلى العينة المرغوبة بسرعة أكبر. وقد وزعت أداة البحث على طلبة الدراسات العليا في قسم علم الاجتماع.

النتائج والمناقشة

شملت النتائج توصيف إحصائي للعينة المدروسة وتحليل احصائي للاستبانات الموزعة على الطلاب.

1. التوصيف الإحصائي: تمّ تحليل بيانات العينة للتعرف على توزيع الأفراد حسب الجنس والدرجة العلميّة. وتبيّن أن العدد الإجمالي للأفراد في العينة كان 30، حيث بلغ عدد الذكور

10 وعدد الإناث 20. بالنسبة للدرجة العلمية، وقد كان عدد طلبة الماجستير 21 شخصاً، بينما كان عدد طلبة الدكتوراه 9 أشخاص. يتضح لنا من هذه البيانات أنّ الأفراد الإناث كانوا أكثر تمثيلاً في العينة بينما كان عدد طلبة الماجستير أكبر من عدد طلبة الدكتوراه.

الجدول (1): توزيع العينة حسب الجنس والدرجة العلمية.

الجنس	ذكور	إناث	الدرجة العلميّة	ماجستير	دكتوراه
العدد	10	20	العدد	21	9
العدد الكلي	30			30	

1. مناقشة محاور الاستبانة

تشير نتائج معامل ألفا لكرونباخ المعروضة في الجدول (2) إلى مستويات ثبات مقبولة إلى مرتفعة لمحاور الاستبيان، حيث حصل محور "المعارف والمخاوف" على قيمة 0.735، مما يعكس تجانساً جيداً بين العناصر.

محور "مصادر أخذ المعلومات" حقق أعلى ثبات بقيمة 0.864، مما يدل على توافق كبير بين المشاركين حول أهمية هذه المصادر.

كما حصل محور "الثقة بمقدمي الرعاية الصحية" على قيمة 0.741، مما يشير إلى اتفاق جيد في الآراء حول الثقة في مقدمي الرعاية، بينما سجل محور "الثقة بوسائل الترويج المتبعة للقاح" قيمة 0.723، مما يعكس مستوى مقبول من الاتفاق.

بشكل عام، تعكس هذه القيم موثوقية الاستبيان وقدرته على قياس المفاهيم المستهدفة بدقة.

الجدول (2): معامل ألفا كرونباخ لصدق وثبات محاور الاستبيان.

المحور	Cronbach's Alpha
المعارف والمخاوف	0.735
مصادر أخذ المعلومات	0.864
الثقة بمقدمي الرعاية الصّحيّة	0.741
لثقة بوسائل الترويج المتبعة للقاح	0.723

1.2. مناقشة النتائج وفق الجنس

توضح النتائج المقدمة في الجدول (3) أنّ المتوسط الحسابي لمحور المعارف والمخاوف بين طلبة الدراسات العليا (الذكور) في قسم علم الاجتماع . قد بلغ (4.6)، وهو أعلى من المتوسط الحسابي العام لإجابات الذكور عن نفس المحور (4.28). وهذا يعكس موافقة الذكور على بعض المخاوف المتعلقة بتلقي لقاح كوفيد، مع التركيز على الخوف من الآثار الجانبية واعتقادهم بأن اللقاح يتطلب فترات أطول من التجارب السّريريّة. كما حصلت عبارتا المقياس على نفس النسبة (80%). يمكن الاستنتاج من ذلك، أنّ الذكور لديهم اتجاه للموافقة على عبارات محور المعارف والمخاوف. كما أن معامل التغير لموافقة الذكور عالي، حيث بلغ 60.19%. على الجانب الآخر، بلغ المتوسط الحسابي لمحور المعارف والمخاوف بين طلبة الدراسات العليا (الإناث) في قسم علم الاجتماع (9.33)، متجاوزاً المتوسط الحسابي العام لإجابات الإناث عن نفس المحور (6)، والذي يوضح ذلك تأثر الإناث بالمخاوف التي تحول دون تلقي اللقاح، خاصة الخوف من الآثار الجانبية وتأثير الشائعات المنتشرة حول اللقاح. معامل التغير لموافقة الإناث عن عبارات المحور كان قد بلغ 44.4%. كما توضح النتائج وجود علاقة إحصائية قوية بين الجنس وموافقة الطلاب على عبارات محور المعارف والمخاوف، حيث بلغ معامل بيرسون 0.818. وهذا يشير إلى عدم وجود فروق كبيرة تعزى للجنس في الاتجاه لتلقي لقاح كوفيد-19 وفقاً لعبارات محور المعارف والمخاوف.

الجدول (3): نتائج تحليل إجابات المحور (1) حول المعارف والمخاوف.

المحور (1) المعارف والمخاوف	ذكور	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير	إناث	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير
	أوافق	4.66	208.8	60.19 %	أوافق	9.33	4.109	%44.4
	محايد	0.83	10.67	22.87 %	محايد	3.16	3.131	%99.9
	لا أوافق	4.5	2.21	47.52 %	لا أوافق	7.5	377	50.32 %

تبيّن النتائج المقدمة في الجدول (4) أنّ المتوسط الحسابي لموافقة طلاب الدراسات العليا (الذكور) في جامعة تشرين على عبارات محور مصادر أخذ المعلومات بلغ (5.2)، بينما بلغ المتوسط الحسابي العام لنفس المحور (4.1). يشير ذلك إلى حرص الطلاب (الذكور) على متابعة المعلومات حول كوفيد-19 من مصادر مختلفة، وتفضيلهم للحصول على المعلومات من وسائل التواصل الاجتماعي بنسبة 90%، ومتابعة تصريحات أطباء موثوقين بنسبة 80%. يتجه أيضاً طلاب الدراسات العليا (الذكور) للحصول على المعلومات من مصادر موثوقة بسبب وعيهم الكافي وقيامهم بالبحث العلمي، الذي يوجههم لعدم الاعتماد على المعلومات غير الموثوقة. من جهة أخرى، بلغ المتوسط الحسابي لموافقة طالبات الدراسات العليا (الإناث) على نفس المحور (10.6)، وهو أعلى من المتوسط الحسابي العام للإناث (7.14).

توضح هذه النتائج حرص طالبات الدراسات العليا على متابعة المعلومات حول كوفيد-19 من مصادر مختلفة، حيث يحرصن بشكل كبير على متابعة تصريحات أطباء موثوقين ومنشورات وزارة الصحة السورية. ويشير معامل التغير إلى وجود تباين في اتجاهات طلاب الدراسات العليا (الذكور) والإناث للموافقة على عبارات محور مصادر أخذ المعلومات،

حيث بلغ معامل التغير للذكور 53.57% وللإناث 55.52%. كما بلغ المتوسط الحسابي لمصادر أخذ المعلومات بين طلاب الدراسات العليا (الذكور) الذين اختاروا الاجابة "محايد" (1.6)، وهو أقل من المتوسط الحسابي العام لنفس المحور (4)، مما يعني عدم اتخاذ أغلبهم موقفاً محايداً. كما بلغ المتوسط الحسابي لمصادر أخذ المعلومات بين طالبات الدراسات العليا (الإناث) (2.6)، وهو أيضاً أقل من المتوسط الحسابي العام لنفس المحور (7). وباستخدام معامل بيرسون، تم التحقق من وجود علاقة إحصائية بين الذكور والإناث في الموافقة على عبارات محور مصادر أخذ المعلومات (R=0.724). يدل ذلك على وجود علاقة قوية بين كل من الذكور والإناث في الحرص على متابعة المعلومات حول كوفيد-19.

الجدول (4): نتائج تحليل إجابات المحور (2).

المحور (2)	ذكور	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير	إناث	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير
	أوافق	5.2	2.78	%53.57	أوافق	10.6	5.881	%55.52
	محايد	1.6	3.44	%115.9	محايد	2.6	1.624	%62.49
	لا أوافق	3.2	2.13	%66.73	لا أوافق	6.4	5.08	%79.42

من الجدول (5)، يتبيّن أن المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الدراسات العليا (الذكور) بالموافقة على عبارات محور الثقة بمقدمي الرعاية الصحية هو (7.3)، بينما المتوسط الحسابي العام لإجابات الذكور عن نفس المحور هو 5. يدل هذا إلى اتجاه الذكور للموافقة على عبارات المحور بشكل كبير، حيث يعتقد ما يقرب من 90% منهم بأن مقدمي الرعاية الصحية يمتلكون معلومات موثوقة حول اللقاح، وحوالي 70% يعتقدون أنهم تلقوا تدريباً كافياً للتعامل مع اللقاح، وحوالي 60% يعرفون عاملاً في المجال الصحي يتردد في تلقي اللقاح. أما بالنسبة لإجابات طالبات الدراسات العليا (الإناث)، فإن المتوسط الحسابي للموافقة عن نفس المحور هو 7.66، مقارنة بالمتوسط الحسابي العام لإجابات الإناث عن نفس المحور والبالغ 6.25.

يدل هذا على اتجاه الإناث للموافقة على عبارات المحور بشكل كبير أيضاً، حيث يعتقد نسبة تقارب 55% منهن بأنّ مقدمي الرعاية الصّحيّة يمتلكون معلومات موثوقة حول اللقاح، وحوالي 40% يعتقدن أنهم تلقوا تدريباً كافياً للتعامل مع اللقاح، ونسبة صغيرة تبلغ حوالي 20% فقط منهن تعرف عاملاً في المجال الصحي يتردد في تلقي اللقاح. معامل التغير لموافقة الذكور على عبارات المحور بلغ 17.09%، مما يشير إلى تقارب الآراء لدى الذكور في الموافقة على عبارات المحور بشكلٍ كبير. ومن خلال تطبيق معامل بيرسون، تمّ التحقق من وجود علاقة إحصائيّة بين الذكور والإناث في الموافقة على عبارات محور الثقة بمقدمي الرعاية الصحية (R=0.962). يوجد اتجاه بنفس القوة لكل من الذكور والإناث للموافقة على عبارات المحور، مما يدل على أن جنس الفرد لا يؤثر على مستوى الثقة بمقدمي الرعاية الصّحيّة.

الجدول (5): نتائج تحليل إجابات المحور (3).

المحور (3)	ذكور	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير	إناث	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير
	أوافق	7.3	1.247	%17.09	أوافق	7.66	2.867	%37.43
	محايد	1.3	1.247	%95.94	محايد	2.33	1.699	%72.94
	لا أوافق	1.3	1.885	%145.07	لا أوافق	10	4.546	%45.46

من الجدول (6)، يبيّن المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الدراسات العليا (الذكور) بالموافقة على عبارات محور الثقة بوسائل الترويج المتبعة قيمة تبلغ 3، بينما المتوسط الحسابي العام لإجابات الذكور عن نفس المحور هو 4. هذا يشير إلى اتجاه أقل لدى الذكور للموافقة على عبارات المحور، حيث نجد نسبة تقارب 20% منهم أن اللقاحات المرخصة فعّالة، و40% يجدون أن الترويج للقاحات كان كافياً للاقتناع بمأمونيتها. بالنسبة لإجابات طلبات الدراسات العليا (الإناث)، فإن المتوسط الحسابي للموافقة على نفس المحور هو 10، ويساوي تقريباً المتوسط الحسابي العام لإجابات الإناث على نفس عبارات المحور. يدل هذا على أن الإناث بشكلٍ عام يوافقن على عبارات المحور بنسبة أعلى من الذكور،

حيث يعتقد حوالي 50% منهن بأن اللقاحات المرخصة حالياً فعالة، و50% يعتقدن أن الترويج للقاحات كان كافياً للإقتناع بمأمونيتها.

يبيّن الجدول السابق أيضاً أن المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الدراسات العليا بموقف محايد (1) أصغر من المتوسط الحسابي العام لإجابات الذكور عن نفس المحور، بينما المتوسط الحسابي لإجابات طالبات الدراسات العليا بموقف محايد (16) أكبر من المتوسط الحسابي العام لإجابات الإناث على نفس المحور. هذا يشير إلى أن الإناث بشكلٍ عام يتجهن أيضاً لاتخاذ موقف محايد من عبارات المقياس. تم تطبيق معامل بيرسون للتحقق من الارتباط بين قيم الذكور والإناث بالنسبة للموافقة على عبارات المقياس، وأظهرت النتيجة عدم وجود علاقة خطية بين المتغيرات (R=0). يعني ذلك أنه لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين اتجاه الذكور والإناث للموافقة على عبارات الثقة بوسائل الترويج المتبعة للقاح.

الجدول (6): نتائج تحليل إجابات المحور (4)

المحور (4)	ذكور	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير	إناث	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير
	أوافق	3	1	%33.33	أوافق	10	0	0
	محايد	1	1	%100	محايد	8	2	%25
	لا أوافق	6	2	%33.33	لا أوافق	2	2	%100

2.2. مناقشة النتائج وفق الدرجة الأكاديميّة:

من الجدول رقم (7)، يبيّن المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير بالموافقة على عبارات محور المعارف والمخاوف قيمة تبلغ 10.16، وهي أكبر من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الماجستير بالموافقة عن نفس المحور، والذي يبلغ 8.8. هذا يشير إلى اتجاه طلبة الماجستير للموافقة على عبارات المحور بشكل عام. بالنسبة لإجابات طلبة الدكتوراه، فإن المتوسط الحسابي للموافقة عن نفس المحور هو 3.83، وهذه القيمة تقترب

من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الدكتوراه عن نفس المحور، مما يشير إلى اتجاه عام للموافقة على عبارات المحور بين طلبة الدكتوراه.

يبيّن الجدول السابق أيضاً أن المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير بالموقف المحايد هو 2، وهذه القيمة أصغر من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الماجستير عن نفس المحور، مما يشير إلى عدم اتجاههم لاتخاذ موقف محايد بالنسبة لعبارات المحور. وكذلك الأمر بالنسبة لطلبة الدكتوراه، حيث أن قيمة المتوسط الحسابي لإجاباتهم بالموقف المحايد (2) أصغر من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الدكتوراه عن نفس المحور (3.8). يبيّن تطبيق معامل بيرسون للتحقق من الارتباط بين قيم طلبة الدكتوراه وطلبة الماجستير بالنسبة للموافقة عن عبارات المحور الأول أن قيمة الارتباط (R) تساوي 0.2175. هذه القيمة تشير إلى وجود ارتباط قليل وعلاقة ضعيفة بين المتغيرين، حيث يزيد وينقص كلا المتغيرين بالتعاكس. وبما أن القيمة تقع في نطاق الارتباط الضعيف، فإنه لا يوجد ارتباط خطي يذكر بين طلبة الدكتوراه وطلبة الماجستير فيما يتعلق بالموافقة على عبارات المحور المتعلقة بالمعارف والمخاوف.

الجدول (7): نتائج تحليل إجابات المحور (1) حول المعارف والمخاوف.

المحور (1)	ماجستير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	دكتوراه	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ماجستير	المتوسط الحسابي
	أوافق	10.166	5.177	أوافق	3.833	3.131	أوافق	10.166
	محايد	2	3.651	محايد	2	2.309	محايد	2
	لا أوافق	8.083	5.241	لا أوافق	3.166	2.793	لا أوافق	8.083

من الجدول (8)، يبيّن المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير بالموافقة على عبارات محور مصادر المعلومات قيمة تبلغ 12، وهي أكبر من المتوسط الحسابي العام لإجابات

طلبة الماجستير عن نفس المحور، والذي يبلغ 7.1. هذا يشير إلى اتجاه طلبة الماجستير للموافقة على عبارات المحور بشكل عام. بالنسبة لإجابات طلبة الدكتوراه، فإن المتوسط الحسابي للموافقة عن نفس المحور هو 3.8، وهذه القيمة تقترب من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الدكتوراه عن نفس المحور، مما يشير إلى اتجاه عام للموافقة على عبارات المحور بين طلبة الدكتوراه.

يوضح الجدول السابق أيضاً أنّ المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير بالموقف المحايد هو 2، وهذه القيمة أصغر من قيمة المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الماجستير عن نفس المحور، مما يشير إلى عدم اتجاههم لاتخاذ موقف محايد بالنسبة لعبارات المحور. وكذلك الأمر بالنسبة لطلبة الدكتوراه، حيث أن قيمة المتوسط الحسابي لإجاباتهم بالموقف المحايد (2) أصغر من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الدكتوراه عن نفس المحور (3). بلغت قيمة المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير بالرفض (6.6)، وهي أقل من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الماجستير (7.1). وهذا يشير إلى عدم اتجاههم بشكل عام لرفض عبارات محور المصادر والمعلومات. كما بلغت قيمة المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الدكتوراه بالرفض (6.6)، وهي أكبر من قيمة المتوسط الحسابي العام (3). تظهر هذه النتائج على أنّ هناك اتجاه عاماً من قبل طلبة الدكتوراه لرفض بعض عبارات المحور. تطبيق معامل بيرسون للتحقق من الارتباط بين قيم الدكتوراه والماجستير يظهر قيمة (R) تساوي 0.917، وهي قيمة تدل على وجود ارتباط كبير وعلاقة قوية بين الدرجة العلمية (ماجستير أو دكتوراه) ومصادر المعلومات المستخدمة.

الجدول (8): نتائج تحليل إجابات المحور (2).

المحور (2)	ماجستير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير	دكتوراه	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير
	أوافق	12	5.366	%44.72	أوافق	3.8	2.925	%76.99
	محايد	2	2.280	%114.01	محايد	2.2	1.326	%60.30
	لا أوافق	6.6	3.720	%56.36	لا أوافق	3	2.366	%78.88

من الجدول (9)، يبيّن المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير بالموافقة على عبارات محور الثقة بمقدّمي الرعاية الصحية قيمة تبلغ 12.66، وهي أكبر من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الماجستير عن نفس المحور، الذي يبلغ 9. هذا يشير إلى اتجاه طلبة الماجستير للموافقة على عبارات المحور بشكل عام. بالنسبة لإجابات طلبة الدكتوراه، فإن المتوسط الحسابي للموافقة عن نفس المحور هو 2.33، وهذه القيمة أقل من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الدكتوراه عن نفس المحور، الذي يبلغ 3.3. هذا يشير إلى ضعف اتجاههم للموافقة على عبارات المحور بين طلبة الدكتوراه. تبلغ قيمة المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير بالموقف المحايد 0.66، وهي قيمة أقل من قيمة المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الماجستير عن نفس المحور. وهذا يدّل على عدم اتجاههم لاتخاذ موقف محايد من عبارات المحور.

بالنسبة لطلبة الدكتوراه، فإن قيمة المتوسط الحسابي لإجاباتهم بالموقف المحايد هي 3، وهي تقريباً نفس قيمة المتوسط الحسابي العام. يبيّن الجدول السابق أيضاً أنّ قيمة المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير بالرفض هي 7.66، وهي أصغر من قيمة المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الماجستير البالغة 9. هذا يشير إلى عدم اتجاههم بشكل عام لرفض عبارات المحور. كما بلغت قيمة المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الدكتوراه بالرفض 3.66، وهي قيمة تقترب من قيمة المتوسط الحسابي العام. تطبيق معامل بيرسون للتحقق من الارتباط بين قيم الدكتوراه والماجستير بالنسبة للموافقة على عبارات الثقة بمقدّمي

الرعاية الصحية يظهر قيمة (R) تساوي 0.230، وهي قيمة تدل على ارتباط قليل وعلاقة ضعيفة بين الدرجة العلمية (ماجستير ودكتوراه) وثقة الطلاب بمقدمي الرعاية الصّحيّة.

الجدول (9): نتائج تحليل إجابات المحور (3).

المحو (3)	ماجستير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير	دكتوراه	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير
	أوافق	12.66	3.858	30.478 %	أوافق	2.33	1.247	%53.52
	محايد	0.66	0.942	142.85 %	محايد	3	2.160	%0.720
	لا أوافق	7.66	3.681	48.065 %	لا أوافق	3.66	3.091	84.459 %

من الجدول (10)، يتضح أن قيمة المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير بالموافقة على عبارات محور الثقة بوسائل الترويج المتبعة هي 10.5، وهذه القيمة أعلى من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الماجستير، والتي تبلغ 6.5، مما يشير إلى وجود اتجاه من قبل طلبة الماجستير للموافقة على عبارات المحور. بالنسبة لإجابات طلبة الدكتوراه، فإن المتوسط الحسابي للموافقة عن نفس المحور هو 2.5، وهذه القيمة أقل من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الدكتوراه، والتي تبلغ 3.6، مما يدل على عدم اتجاههم للموافقة على عبارات المحور. تبلغ قيمة المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير بالموقف المحايد 5.5، وهي أقل من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الماجستير، كما أن المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الدكتوراه بالموقف المحايد هو 3.5، وهي تقريباً نفس قيمة المتوسط الحسابي العام. بالنسبة لإجابات عدم الموافقة، فإن قيمة المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الماجستير هي 5، وهي أقل من المتوسط الحسابي العام لإجابات طلبة الماجستير، في حين أن قيمة المتوسط الحسابي لإجابات طلبة الدكتوراه هي 3، وهي تقريباً نفس قيمة المتوسط الحسابي العام. تطبيق معامل بيرسون للتحقق من الارتباط بين

درجة الدكتوراه والماجستير بالنسبة للموافقة على عبارات الثقة بوسائل الترويج المتبعة يظهر قيمة (R) تساوي −1. هذا يشير إلى وجود علاقة خطية سالبة مثالية بين المتغيرات، مما يعني أن ارتفاع مستوى التعليم (ماجستير ودكتوراه) يرتبط بانخفاض مستوى الموافقة على عبارات محور الثقة بوسائل الترويج المتبعة.

الجدول (10): نتائج تحليل إجابات المحور (4).

المحور (4)	ماجستير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير	دكتوراه	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل التغير
	أوافق	10.5	3.5	33.33 %	أوافق	2.5	2.5	%100
	محايد	5.5	2.5	45.45 %	محايد	3.5	1.5	0.428 %
	لا أوافق	5	1	%20	لاأوافق	3	1	33.33 %

الاستنتاجات:

استناداً إلى البيانات التي جمعناها وتحليلنا لها كمياً واجتماعياً، يمكننا استخلاص الاستنتاجات الآتية:

1. يوجد تردد في تلقي اللقاح بين طلبة الدراسات العليا في قسم علم الاجتماع، حيث لم يتلقى أكثر من نصف العينة اللقاح حتى الآن، وقد يكون هذا الأمر مرده إلى توفر لقاح استرازينيكا بشكل رئيسي أو نتيجة الإقبال الكبير عليه دون حدوث مضاعفات.

2. تشير نتائج الدراسة إلى وجود مخاوف بين طلاب الدراسات العليا الذكور والإناث، حيث يتعلق قلق الذكور بالآثار الجانبية وفترة التجارب السريرية، في حين يشمل قلق الإناث الآثار الجانبية والشائعات المتعلقة باللقاح، مما قد يؤدي إلى تردد الأشخاص في تلقي اللقاح ويؤثر سلباً على الجهود العامة لمكافحة الأمراض المعدية.
3. توضح الدراسة أن الذكور يميلون قليلاً أكثر من الإناث إلى الثقة بمقدمي الرعاية الصحيّة، مما قد يعود إلى امتلاك الذكور مهارات تواصل أفضل للتعامل معهم.
4. يتأثر الاستعداد لتلقي اللقاح بالترويج له، حيث يميل طلاب الماجستير إلى الموافقة على عبارات المعارف والمخاوف بشكل أكبر من طلاب الدكتوراه.
5. يتبيّن لنا أن طلاب الماجستير يفضلون استخدام وسائل التواصل الاجتماعي للحصول على معلومات حول اللقاح ربما يعود السبب لسهولة الحصول عليها عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي عبر الشابكة الإلكترونية، في حين يتجه طلاب الدكتوراه إلى متابعة منشورات وزارة الصّحّة السّوريّة بنسبة أقل ويعزى السبب إلى متابعتهم منشورات منظمة الصّحّة العالميّة التي ترفد وزارة الصّحّة السورية بآخر المستجدات والمعلومات المتعلقة بجائحة كوفيد-19.
6. يبدو أن طلاب الماجستير أكثر استعداداً وميلاً لتلقي اللقاح مقارنة بطلاب الدكتوراه، ربما نتيجة لتأثرهم بالترويج للقاحات وثقتهم في فعاليتها.

المقترحات:

1- من الضروري إجراء دراسات أوسع لقياس اتجاه طلاب جامعة تشرين وطلاب الجامعات السورية بشكل عام لتلقي لقاح كوفيد-19، وذلك للحصول على مزيد من المعلومات والبيانات حول هذا الموضوع المهم.

2- يتوجب توفير معلومات موثوقة حول لقاحات كوفيد وآثارها الجانبية، ومكافحة الشائعات المصاحبة لها، مع التركيز على نشر هذه المعلومات على منصات التواصل الاجتماعي التي يستخدمها الشباب بكثرة.

3- يجب العمل على توفير اللقاح بطريقة سهلة ووصوله إلى الأماكن التي يتواجد فيها الشباب، وذلك من خلال إنشاء مراكز صحيّة داخل الحرم الجامعي تقدم المعلومات الموثوقة وتنظم ندوات وحوارات لدحض المعلومات المضلّلة وتوجيه الحوارات للتأكيد على أهمية الحصول على المعلومات من مصادر موثوقة.

4- ينبغي إقامة ورش عمل توجيهية تهدف إلى تشجيع الشباب على تلقي لقاح كوفيد، بمشاركة الخبراء المتخصصين لمساعدة الشباب في دحض مخاوفهم والإجابة على أسئلتهم ذات الصلة بشكل صريح.

5- يجب التركيز على إبراز الشخصيات المؤثرة في المجتمع الذين تلقوا لقاح كوفيد-19، من خلال نشر تجاربهم المتعلقة بتلقي اللقاح، حيث قد تؤثر هذه التجارب بشكلٍ إيجابي على قرارات الشباب في تلقي اللقاح.

المراجع

1. Arabi, Y. M., Murthy, S., & Webb, S. (2020). COVID-19: a novel coronavirus and a novel challenge for critical care. Intensive care medicine, 46, 833-836.

2. Badur, S., Ota, M., Öztürk, S., Adegbola, R., & Dutta, A. (2020). Vaccine confidence: the keys to restoring trust. Human vaccines & immunotherapeutics, 16(5), 1007-1017.

3. Ditekemena, J. D., Nkamba, D. M., Mutwadi, A., Mavoko, H. M., Siewe Fodjo, J. N., Luhata, C., ... & Colebunders, R. (2021). COVID-19 vaccine acceptance in the Democratic Republic of Congo: a cross-sectional survey. Vaccines, 9(2), 153.
4. El Hassan, E. L. W., Abu Alhommos, A. K., Aliadhy, D., Alsalman, S., Alnafaa, O., & Mohamed, A. (2022). Public

5. Knowledge, Beliefs and Attitudes toward the COVID-19 Vaccine in Saudi Arabia: A Cross-Sectional Study. Healthcare, 10(5), 853.
6. Globevnik Velikonja, V., Verdenik, I., Erjavec, K., & Kregar Velikonja, N. (2022). Influence of psychological factors on vaccination acceptance among health care workers in Slovenia in three different phases of the COVID-19 pandemic. Vaccines, 10(12), 1983.
7. Hussain, A., Ali, S., Ahmed, M., & Hussain, S. (2018). The anti-vaccination movement: a regression in modern medicine. Cureus, 10(7), 1-4
8. Klib, M., Alazki, O., Nabhan, A. I., Brakat, A. M., Alafandi, B. Z., Idres, F. A., ... & Group, D. C. (2024). Assessing the prevalence and patterns of COVID-19 vaccine side effects among Syrian adults: A cross-sectional study. Preventive Medicine Reports, 37, 102558.

9. Larson, H. J., Gakidou, E., & Murray, C. J. (2022). The vaccine-hesitant moment. New England Journal of Medicine, 387(1), 58-65.
10. Lazarus, J. V., Ratzan, S. C., Palayew, A., Gostin, L. O., Larson, H. J., Rabin, K., ... & El-Mohandes, A. (2021). A global survey
11. Machida, M., Nakamura, I., Kojima, T., Saito, R., Nakaya, T., Hanibuchi, T., ... & Inoue, S. (2021). Acceptance of a COVID-19 Vaccine in Japan during the COVID-19 Pandemic. Vaccines, 9(3), 210.
12. McNeil, A., & Purdon, C. (2022). Anxiety disorders, COVID-19 fear, and vaccine hesitancy. Journal of Anxiety Disorders, 90, 102598.
13. Muralidar, S., Ambi, S. V., Sekaran, S., & Krishnan, U. M. (2020). The emergence of COVID-19 as a global pandemic: Understanding the epidemiology, immune response and potential therapeutic targets of SARS-CoV-2. Biochimie, 179, 85-100.
14. Nuwarda, R. F., Ramzan, I., Weekes, L., & Kayser, V. (2022). Vaccine hesitancy: contemporary issues and historical background. Vaccines, 10(10), 1595.
of potential acceptance of a COVID-19 vaccine. Nature medicine, 27(2), 225-228.
15. Peterson, C. J., Lee, B., & Nugent, K. (2022). COVID-19 vaccination hesitancy among healthcare workers—a review. Vaccines, 10(6), 948.
16. Skafle, I., Nordahl-Hansen, A., Quintana, D. S., Wynn, R., & Gabarron, E. (2022). Misinformation about COVID-19 vaccines on social media: rapid review. Journal of medical Internet research, 24(8), e37367.
17. Tregoning, J. S., Flight, K. E., Higham, S. L., Wang, Z., & Pierce, B. F. (2021). Progress of the COVID-19 vaccine effort: viruses, vaccines and variants versus efficacy, effectiveness and escape. Nature reviews immunology, 21(10), 626-636.

18. أوزي، ع. (1986). علم النفس الاجتماعي. دار النشر. ص. 1.
19. اليحيى د. س. ب. ع. (2021). العوامل المنبئة إلى الاستعداد لتلقي لقاح كوفيد-19 لدى العاملين في المجال الصّحيّ في السعودية. مجلة البحوث والدراسات الاجتماعية، 1(1)، 85-107.

تأثير شبكات التواصل الاجتماعي في مستوى التوافق الزواجي للأسرة السورية لدى عينة من المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق

ختام علي حمود [1]، د. عبير محمد سرور [2]

1: طالبة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.
Khitam.hammoud@damascucusuniversity.edu.sy
2: أستاذ مساعد دكتور، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

الملخص:

هدف البحث إلى قياس درجة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى عينة من المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق. وتعرف العلاقة بين استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وبين مستوى التوافق الزواجي. والكشف عن الفروق على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ومقياس التوافق الزواجي وفق متغيرات البحث: (المؤهل العلمي، عدد ساعات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي يومياً). واعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي، واستخدمت أداتي البحث: (مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، ومقياس التوافق الزواجي). وشملت عينة البحث (175) مراهقة متزوجة. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: توجد علاقة ارتباطيه سلبية ذات دلالة إحصائية بين استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وبين مستوى التوافق الزواجي. يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط إجابات أفراد عينة البحث على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وفق متغير ساعات استخدام شبكات التواصل لصالح المراهقات المتزوجات اللواتي كنَّ يستخدمن شبكات التواصل أكثر من 5 ساعات، ويوجد فروق ذات دلالة إحصائية على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وفق متغير المؤهل العلمي لصالح المراهقات

المتزوجات اللواتي مؤهلهن العلمي (ثانوية ومعهد). ويوجد وجود فروق ذات دلالة إحصـــائية على مقياس التوافق الزواجي وفق متغير المؤهل العلمي، ولا يوجد وجود فروق ذات دلالة إحصائية على مقياس التوافق الزواجي وفق متغير عدد ساعات استخدام شبكات التواصل.

الكلمات مفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي، التوافق الزواجي، الأسرة السورية، المراهقات المتزوجات.

The effect of social networking on the level of marital compatibility in the Syrian family among a sample of married teenage girls in Damascus Governorate

Khitam Ali Hammoud [1], Dr. Abeer Mohammad Souror [2]

1. PhD student, Department of Sociology, Faculty of Arts and Human Sciences, University of Damascus. Khitam.hammoud@damascucusuniversity.edu.sy
2. Assistant Professor, Department of Sociology, Faculty of Arts and Human Sciences, University of Damascus.

Abstract:

The research aimed to measure the degree of use of social networking among a sample of married teenage girls in Damascus Governorate. The relationship between the use of social networking and the level of marital compatibility is known. And revealing differences in the scale of using social networking and the marital compatibility scale according to the research variables: (academic qualification, number of hours of using social networking daily). The researcher relied on the descriptive approach and used two research tools: (a measure of the use of social networks and a measure of marital compatibility). The research sample included (175) married teenage girls. Among the most important findings of the research: There is a statistically significant negative correlation between the use of social networking and the level of marital compatibility. There are statistically significant differences between the average answers of the research sample members on the scale of using social networks according to the variable of hours of use of social networks in favor of married teenage girls who used social networks for

more than 5 hours, and there are statistically significant differences on the scale of using social networks according to the variable of qualification. Educational program for the benefit of married teenage girls whose educational qualifications are (high school and institute). There are statistically significant differences on the marital compatibility scale according to the educational qualification variable, and there are no statistically significant differences on the marital compatibility scale according to the variable number of hours of using social networks.

Keywords: social networking, marital compatibility, Syrian family, married teenage girls.

مقدمة:

يميل الإنسان إلى التجمع مع الآخرين، ومند أن وجد الإنسان، وجدت العلاقات بصورها المختلفة التي تأثرت بالعوامل: (الإنسانية والاجتماعية والثقافية)، ومع تطور الإنسان واحتكاكه مع الآخرين وتفاعله وانضمامه إلى جماعات متعددة بصفته مدني بطبعه، وانطلاقاً من الحاجة لتناقل المعارف. بدأت تظهر حركة التدوين وتراكم المعلومات والمعارف والتراث الثقافي والعلمي بأشكاله المختلفة.

ومن المعلوم أن حياتنا الحاضرة مليئة بالتعقيدات: (المادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية)، وأنه كلما ارتقى المجتمع البشري ازدادت البيئة والحياة تعقيداً، ومنذ أن دخلت الشبكة العنكبوتية إلى حياتنا ونحن نتغير دون أن نتوقف للتفاعل مع هذا التغير، أو الأفاق المحتملة لتطوره، فقد صار البعيد عنا قريباً. وإذا كانت حقيقة التعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي غامضة، فإن طبيعة تلك الشبكات كوسيط تفاعلي، وإقامة العلاقة عبر الشبكة العنكبوتية بمثابة مغامرة مجهولة العواقب مفتوحة على كل الاحتمالات (انظر: الأسطل، 2011، 2). ويتردَّد الأفراد على تلك الشبكات الاجتماعية بدافع مواكبة تغيرات العصر والتطور، ومنهم بدافع حب الاستطلاع، وآخرون بدافع البحث والاستكشاف، وفئة أخرى بدافع التجربة والفضول وحب المغامرة ويحسبها آمنة العواقب.

وقد تنبه التربويون وعلماء الاجتماع لوجود العديد من الآثار الإيجابية أو السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي، ودورها في صقل شخصية الشباب وتنميتها، فالفرد من خلال شبكات التواصل الاجتماعي يستفيد من الأنشطة والبرامج المتاحة له، ويتفاعل مع غيره من الناس من خلال هذه الأنشطة المتاحة، وبذلك يتبادل أنواع السلوك الإنساني مع غيره فيفيد ويستفيد من غيره، ويتعلم أنواعاً من السلوك الاجتماعي، ويكتسب خبرات إيجابية من خلال ذلك التفاعل والأنشطة، ويحاول

أن ينمي لنفسه الإحساس بالمسؤولية والاعتماد على الذات من خلال هذه العمليات والأنشطة وهو يقوم بذلك من خلال المشاركة مع الآخرين من الجماعات الأخرى على صفحات الفيس بوك.

وبناءً على ذلك فإن شبكات التواصل الاجتماعي تتيح للأفراد فرص التواصل مع الآخرين الأمر الذي انعكس على قيامهم بمسؤولياتهم الاجتماعية والزواجية المناطة بهم داخل المجتمع، وذلك من خلال أدوارهم التي يقومون بها داخل الأسرة والمجتمع، ولذا كان من الضروري القيام بدراسة علاقة استخدام الأفراد لشبكات التواصل الاجتماعي بمستوى التوافق الزواجي.

أولاً –مشكلة البحث وتساؤلاته:

تواجه الأسر الحديثة في عهد الزواج العديد من التحديات إثر التطور الكبير في وسائل الاتصال وتزايد استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على اختلاف أنماطها، حيث باتت تلك المواقع جزءا من روتين الحياة اليومية للأفراد. وتعدُّ تلك المنصات سلاحاً ذا حدين، فبقدر الفوائد التي توفرها هذه المواقع، إلا أنها تسببت في العديد من المشكلات والأضرار على مستوى الفرد والأسرة وعلى التوافق الزواجي إذا لم يتم استخدامها بحكمة، فقد ينغمس الزوجان بحياتهما الافتراضية ويغيبان عن بعضهما البعض فينشأ الإهمال ويقل التواصل بينهما.

حيث ترك تفاعل الأفراد مع شبكات التواصل الاجتماعي العديد من الأثار السليبة، وأخطار جسيمة هددت شخصية الفرد ومؤسسة الزواج وتماسك الأسرة والمجتمع بالانهيار، والعديد من المشكلات الزوجية والتوافق بين الزوجين، وأثبت ذلك وجود علاقة تلازمية بين التطور وحدوث المشكلات لأنه كلما زاد التطوَّر والتقدُّم، قل نشاط وحركة الإنسان، وبذلك زاد واقع المشكلات النفسية والاجتماعية (انظر: عمر، 1998، 12).

حيث أكَّدت دراسة قربوسي وحسنة (2018) أنَّ مواقع التواصل الاجتماعي تؤثّر في العلاقة الزوجية واستمرارها والنجاح فيها.

وقد لمست الباحثة مشكلة البحث من خلال تواصلها مع المراهقات المتزوجات في مركز تنظيم الأسرة، وملاحظتها بأن العديد من الخلافات الزوجية التي عبرت عنها المراهقات المتزوجات سببه استخدامهن المفرط لشبكات التواصل الاجتماعي وتقليد بعض طرق التعامل الجديدة بين الأزواج لتحقيق مستوى عالٍ من التوافق الزواجي، من خلال مقارنتهن لواقع حياتهم الزوجية بصور الحياة

الزوجية المعروضة على شبكات التواصل الاجتماعي، وبناءً على مما سبق يمكن تحديد التساؤل الرئيسي للبحث كالتالي:

. ما الآثار الناجمة عن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على التوافق الزواجي

ويتفرع عن التساؤل الرئيسي للبحث السؤالين الآتيين:

1-ما درجة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق؟

2-ما مستوى التوافق الزواجي لدى المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق؟

ثانياً-أهمية البحث ومسوِّغاته: تتمثل أهمية البحث في النقاط التالية:

2-1-الوقوف على بعض الجوانب والنقاط المهمة والمؤثرة في شبكات التواصل الاجتماعي، وعلاقتها بالتوافق الزواجي لدى العاملين.

2-2-قد تفيد نتائج البحث في توجيه نظر المسؤولين عن مراقبة شبكات التواصل الاجتماعي إلى خطورة مثل هذه الشبكات، ونمط التأثيرات التي تحدثه مثل هذه الشبكات على العاملين المتزوجين.

2-3-تمهيد الطريق أمام إجراء عدد من الدراسات والأبحاث التي تناولت الموضوعات المماثلة لموضوعنا هذا بصورة علمية وشاملة والتي تضيف المزيد من المتغيرات المؤثرة في هذا البحث.

ثالثاً-أهداف البحث: يسعى البحث إلى:

3-1-تعرُّف درجة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى عينة من المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق.

3-2-تعرُّف مستوى التوافق الزواجي لدى عينة من المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق.

3-3-الكشف عن العلاقة بين استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وبين مستوى التوافق الزواجي.

3-4-قياس الفروق في إجابات أفراد عينة البحث على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وفق متغيرات البحث: (المؤهل العلمي، عدد ساعات الاستخدام يومياً).

3-5-قياس الفروق في إجابات أفراد عينة البحث على مقياس التوافق الزواجي وفق متغيرات البحث: (المؤهل العلمي، عدد ساعات الاستخدام يومياً).

رابعاً-دراسات سابقة: تناول البحث الحالي مجموعة من الدراسات العربية والأجنبية ذات الصلة بمشكلة البحث، والمنهج المتبع في عرض هذه الدراسات هو منهج التسلسل الزمني من الأقدم إلى الأحدث:

4-1- الدراسات العربية:

4-1-1- دراسة عريج (2013)، سورية: بعنوان: (توقعات ما قبل الزواج عند الزوجين وعلاقتها بالتوافق الزواجي). هدفت الدّراسة إلى التعرف على العلاقة بين التوقعات قبل الزواج والتوافق الزواجي لدى عينة من المتزوجين في محافظة السويداء. وتكونت عينة البحث من (336) زوجاً وزوجة من المتزوجين في مدينة السويداء. وجرى تطبيق الأدوات الآتية: مقياس التوافق الزواجي من إعداد عادل عز الدين الأشول (1989)، مقياس توقعات ما قبل الزواج من إعداد الباحث. ومن أبرز نتائج الدراسة: لا توجد علاقة بين درجة تحقق التوقعات والتوافق الزواجي تبعاً لمتغير الجنس ومدة الزواج، ولا توجد علاقة بين درجة تحقق التوقعات والتوافق الزواجي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الزواجي تبعاً لمتغير الجنس ومدة الزواج. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الزواجي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي.

3-1-2- دراسة أبو حمد (2014)، فلسطين بعنوان: (الإجهاد النفسي وعلاقته بالتوافق الزواجي لدى عينة من الزوجات العاملات في المؤسسات الدولية في قطاع غزة).

هدفت الدّراسة إلى التعرف على العلاقة بين الإجهاد النفسي والتوافق الزواجي لدى عينة من الزوجات العاملات بالمؤسسة الدولية في غزة. وكذلك تعرف مستوى الإجهاد النفسي والتوافق الزواجي لدى عينة من الزوجات العاملات بالمؤسسات الدولية في غزة. وتعرُّف الفروق على مقياس الإجهاد النفسي والتوافق الزواجي والتي تعزى لبعض المتغيرات مثل: (عمر المفحوصة، مستواها التعليمي، نوع العمل، عدد ساعات العمل، مستوى الدخل، عدد سنوات الخبرة). وبلغ عدد أفراد عينة الدراسة (125) سيدة متزوجة عاملة، وجرى استخدام مقياس الإجهاد النفسي والتوافق الزواجي، وقد أظهرت الدراسة النتائج التالية: بلغ الوزن النسبي للإجهاد النفسي لدى النساء العاملات في المؤسسات الدولية (46.2%)، بينما بلغ التوافق الزواجي لدى النساء العاملات في المؤسسات الدولية (83.6%). كما أظهرت النتائج أنه توجد علاقة عكسية ذات دلالة إحصائية بين درجات التوافق الزواجي ودرجات الإجهاد النفسي. ووجود فروق ذات دلالة إحصائية في مقياس التوافق الزواجي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي ولصالح النساء العاملات اللواتي مستوى تعليمهن (إجازة جامعية فأعلى).

4-1-3- دراسة ولي (2020)، السعودية: بعنوان: (دور إدمان استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على التوافق النفسي الزواجي دراسة مقارنة على المطلقين والمطلقات من الجنسين بمحافظة جدة).

هدفت الدراسة إلى تعرُّف دور إدمان استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على التوافق النفسي الزواجي ومدى تأثيره على زيادة حالات الطلاق؛ بغرض الإسهام في طرح توصيات ومقترحات علمية وعملية من خلال ما تسفر عنها من نتائج تساهم في الحد من الاستخدام غير السليم لوسائل التواصل الاجتماعي، وتم تطبيق أدوات الدراسة المتمثلة في: استبيان إدمان استخدام وسائل التواصل الاجتماعي (إعداد الباحث)، استبيان التوافق الزواجي تعريب وتقنين الأشول (1989)، حيثُ بلغت عينة الدراسة النهائية (361) فرداً، وأسفرت نتائج الدراسة عن: وجود علاقة ارتباطية طردية دالة احصائيا بين إدمان وسائل التواصل الاجتماعي والتوافق الزواجي لدى المطلقين، ووجود علاقة ارتباطية طردية دالة احصائيا بين إدمان وسائل التواصل الاجتماعي و التوافق الزواجي لدى المطلقات، وعدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات درجات المطلقين والمطلقات على مقياس التوافق الزواجي، ووجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطي درجات المطلقين والمطلقات على استبيان ادمان وسائل التواصل الاجتماعي لصالح المطلقين، وعدم وجود فروق دالة إحصائياً بين درجات المطلقات والمتزوجات على مقياس التوافق الزواجي.

4-1-4- دراسة عبد القادر (2020)، الأردن: بعنوان: (أثر وسائل التواصل الاجتماعي على طبيعة العلاقات الزوجية).

هدفت الدراسة إلى تعرُّف مدى وجود تأثير لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الزوجية بين المتزوجين في الأردن، كما هدفت الى التعرف على تأثير لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي على نشوء مشاكل بين المتزوجين في الأردن، اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج المسحي، حيث شمل مجتمع الدراسة كافة المتزوجون في الأردن الذين تم عقد قرانهم خلال الفترة (2014-2017)، وتم اللجوء الى أسلوب العينة العشوائية حيث تم تطبيق الدراسة على عينة بلغت 300 فرد من مجتمع الدراسة، وتوصلت الدراسة الى نتائج أهمها وجود دور هام ومعنوي لمواقع التواصل الاجتماعي في التوافق الزواجي، ووجود دور هام ومعنوي لمواقع التواصل الاجتماعي في حدوث المشكلات الزواجية، وبينت الدراسة أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لا بد وأن يكون محدوداً، وأن يقترن بالمسؤولية والاتزان للإبقاء على إيجابياته في العلاقات الزواجية أما في حال كان استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بشكل كبير واتسم بعدم المسؤولية فإنه يؤدي الى نتائج سلبية.

4-1-5- دراسة الصبحي (2021)، السعودية: بعنوان: (أثر وسائل التواصل الاجتماعي على التوافق الزواجي: دراسة وصفية على عينة من الزوجات في المجتمع السعودي).

هدفت الدراسة إلى الكشف عن طبيعة استخدامات الزوجين لوسائل التواصل الاجتماعي، والتعرف على أنواع برامج التواصل الاجتماعي المستخدمة من الزوجين. كما هدفت الدراسة إلى الكشف عن تأثير طبيعة استخدام الزوجين لبرامج التواصل الاجتماعي على التوافق الزواجي. واستخدمت الباحثة في الدراسة الحالية المنهج الوصفي المسحي، وبلغ حجم العينة النهائية (3672) زوجة من مستخدمات مواقع التواصل الاجتماعي في السعودية، واستخدمت الباحثة لجمع البيانات وسيلة الاستبانة بالإضافة إلى مقياس من إعداد الباحثة، وتوصلت إلى النتائج التالية: تبين أن هناك أثر لوسائل التواصل الاجتماعي التي يستخدمها الزوجين على التوافق بين الزوجين، حيث تبين أن هناك علاقة عكسية بين مدة استخدام برامج التواصل الاجتماعي ومستوى التوافق الزواجي، أي أنه كلما قلت مدة استخدام برامج التواصل الاجتماعي زاد مستوى التوافق الزواجي، واتضح عدم وجود علاقة قوية بين أنواع برامج التواصل الاجتماعي المستخدمة ومستوى التوافق الزواجي.

4-2- الدراسات الأجنبية:

4-2-1- دراسة سنغ وجازوال (Singh & Jaswal, 2006)، الولايات المتحدة الأمريكية: بعنوان: (تقييم التوافق الزواجي بين الأزواج فيما يتعلق بالنساء والمستوى التعليمي والحالة الوظيفية).

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين التوافق الزواجي وأسر النساء العاملات وغير العاملات في جميع المستويات التعليمية المختلفة، والتعرف إلى مستوى التوافق الزواجي لأفراد العينة. وقد تم اختيار العينة وفقاً لمتغير عمل المرأة في الأسرة، وقد تم تقسيمها إلى مجموعتين هما: أسر المرأة العاملة، وأسر المرأة غير العاملة، وجرى استخدام مقياس التوافق الزواجي. وأظهرت نتائج الدراسة أنَّ البعد الجنسي للتوافق الزواجي تأثر بمستوى تعليم الزوجات، ونظام العمل.

4-2-2- دراسة كاربنسكي (Karbiniski, 2010)، الولايات المتحدة الأمريكية: بعنوان: (الفيسبوك وثورة التكنولوجيا). هدفت للتعرف إلى أثر استخدام موقع "فيس بوك" على التحصيل الدراسي لدى طلبة الجامعات، وقد طبقت الدراسة على (219) طالباً جامعياً، واستخدم الباحث مقياس استخدام موقع "فيس بوك" ، ومقياس للتحصيل الدراسي، حيث أظهرت النتائج أن الدرجات التي يحصل عليها طلاب الجامعات المدمنون على شبكة الانترنت وتصفح موقع" فيس بوك "أكبر الشبكات الاجتماعية

على الإنترنت أدنى بكثير من تلك التي يحصل عليها نظراؤهم الذين لا يستخدمون هذا الموقع، كما أظهرت النتائج أنه كلما ازداد الوقت الذي يمضيه الطالب الجامعي في تصفح هذا الموقع كلما تدنت درجاته في الامتحانات. كما بينت النتائج أن الأشخاص الذين يقضون وقتاً أطول على الانترنت يخصصون وقتاً أقصر للدراسة مشيراً إلى أن لكل جيل اهتمامات تجذبه"، وأن هذا الموقع يتيح للمستخدم" الدردشة"، وحل الفوازير، وإبداء رأيه في كثير من الأمور والبحث عن أصدقاء جدد أو قدامى.

4-2-3- دراسة فانسون (Vansoon, 2010)، الولايات المتحدة الأمريكية: بعنوان: (الفيسبوك وغزو المجتمعات التكنولوجية). هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية، وقد طبقت الدراسة على عينة بلغ قوامها (1600) شاباً من مستخدمي شبكات التوصل الاجتماعي في بريطانيا، واستخدم الباحث مقياس يقيس درجة استخدام الفيسبوك، وقد أظهرت النتائج أنَّ أكثر من نصف الأشخاص البالغين الذين يستخدمون شبكات من بينها (الفيس بوك وبيبو ويوتيوب) قد اعترفوا بأنهم يقضون وقتاً أطول على شبكة الإنترنت من ذلك الوقت الذي يقْضُونه مع أصدقائهم الحقيقيين أو مع أفراد أسرهم. وأظهرت الدراسة أيضا أنهم يتحدثون بصورة أقل عبر الهاتف، ولا يشاهدون التلفاز كثيراً، ويلعبون عدداً أقل من ألعاب الكمبيوتر، ويرسلون كمية من الرسائل النصية وكذلك البريدية عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وقد بينت الدراسة أنه نحو (53%) من الذين شاركوا في الدراسة المسحية، بأن شبكات التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت ذكروا أنهم حدثت تغيرات في أنماط حياتهم.

4-3- التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة وجدت الباحثة أن بحثها الحالي قد اتفق مع الدراسات السابقة في بعض الجوانب من ناحية كتعرف المشكلات النفسية، أو تعرف أثر شبكات التواصل الاجتماعي، واختلفت في بعض الجوانب من ناحية أخرى وذلك من خلال سعيها إلى تعرف العلاقة بين استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ومستوى التوافق الزواجي؛ وبالتالي فإن الدراسة الحالية تتفق مع الدراسات السابقة التي تم عرضها في أنها تتناول موضوع مواقع التواصل الاجتماعي كمتغير أساسي في البحث.

ويتميز البحث الحالي عن الدراسات السابقة في أنه خصّص لدراسة مواقع التواصل الاجتماعي وعلاقته بمستوى التوافق الزواجي لدى عينة من المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق في حين لم يسبق في –حدود علم الباحثة أن أحد تناول هذا بالبحث.

خامساً –مفاهيم البحث ومصطلحاته:

8–1–شبكات التواصل الاجتماعي (Social Communication Networks): "منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية." (راضي، 2003، 23).

وتُعرف إجرائياً: بأنها الدرجة التي تحصل عليها المراهقة المتزوجة على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي المستخدم في هذا البحث.

7–2– التوافق الزواجي (Marital Adjustment): "هو سلوك كل من الزوجين سلوكاً يهدف إلى تحقيق أعلى درجات النمو والفاعلية والسعادة للفرد للآخر، داعماً ومعززاً لتشكيل أنماط سلوكية متبادلة مشابهة عند الآخر." (ناصر، 2004، 15).

وتُعرف إجرائياً: الدرجة التي تحصل عليها المراهقة المتزوجة من جراء إجابتها على مقياس التوافق الزواجي المستخدم في هذا البحث وقامت الباحثة بإعداده. ويضم الأبعاد الآتية:

1) العلاقات الأسرية (Family relations): "مدى تمتع الفرد بعلاقات سوية ومشبعة بينه وبين أفراد أسرته، ومدى القدرة الأسرية على توفير الإمكانيات الضرورية، ومدى توفر الحب والتعاون والتضحية بين أفراد الأسرة" (الحجار، 2003، 24).

وتُعرف إجرائياً: بأنه الدرجة التي تحصل عليها المراهقة المتزوجة من جراء إجابتها على بُعد العلاقات الأسرية في مقياس التوافق الزواجي المستخدم في هذا البحث والذي قامت الباحثة بإعداده.

2) النضج الانفعالي (Emotional maturity): "القدرة لدى الفرد على التحكم والسيطرة على انفعالاته المختلفة ولديه مرونة في التعامل مع المواقف والأحداث الجارية بحيث تكون استجابته الانفعالية مناسبة للمواقف التي تستدعي هده الانفعالات" (حمدان، 2010، 8).

وتُعرف إجرائياً: بأنه الدرجة التي تحصل عليها المراهقة المتزوجة من جراء إجابتها على بُعد النضج الانفعالي في مقياس التوافق الزواجي المستخدم في هذا البحث والذي قامت الباحثة بإعداده.

3) العلاقات الاجتماعية (Social relations): "هو تلك التغيرات التي تحدث في سلوك الفرد أو في اتجاهاته أو في عاداته بهدف مواءمة البيئة، وإقامة علاقات منسجمة معها إشباعاً لحاجات الفرد ومتطلبات البيئة" (الحجار، 2003، 8).

وتُعرف إجرائياً: بأنه الدرجة التي تحصل عليها المراهقة المتزوجة من جراء إجابتها على بُعد العلاقات الاجتماعية في مقياس التوافق الزواجي المستخدم في هذا البحث والذي قامت الباحثة بإعداده.

4) السمات العصابية (Neurotic features): "هي عكس الاتزان الانفعالي، تبرز توجهاً سلبياً نحو الحياة، وتشير إلى نقص في مقدرتها على توكيد ذاتها، وإلى نقص في حزمها ونشاطها وحيويتها، وميلها نحو الاكتئاب، والتواصل السلبي مع الآخرين، وعدم استطاعتاه من أن تُنشئ معهم علاقات حميمية ودافئة، وهو الأمر الذي ينعكس سلباً على إنجازاتها وصحتها النفسية" (ملحم، 2009، 8).

وتُعرف إجرائياً: بأنه الدرجة التي تحصل عليها المراهقة المتزوجة من جراء إجابتها على بُعد السمات العصابية في مقياس التوافق الزواجي المستخدم في هذا البحث والذي قامت الباحثة بإعداده.

3/7- الزوجات المراهقات (Teenage wives): تُعرّفهم الباحثة إجرائياً بأنهن: كل مراهقة متزوجة عمرها (21) عاماً فما دون، تزوّجت زواجاً شرعياً مسجلاً في محاكم الدولة.

سادساً – الإطار النظري:

6-1- المشكلات النفسية لمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي:

وفيما يلي عرض لأهم تلك المشكلات التي تواجه الشباب مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي:

أولاً . مشكلة الخوف من الآخرين:

تؤثر على طرق استثمار أوقات الفراغ فالإفراط لاستخدامها يؤدي إلى الوحدة والعزلة كنتيجة لمشكلة الخوف من الآخرين يرجع سببها إلى عدم تعرف بعض الأفراد على طريقة التعامل مع الآخرين ويعود لأساليب التنشئة التي تجعلهم يبنون علاقات اجتماعية متوترة بطريقة يشكون فيمن حولهم ويُزرع الخوف في قلوبهم بدلاً من تشجيعهم على إقامة العلاقات الإيجابية مع المحيطين بهم، وقد يرجع سبب العزلة هذه إلى الخوف من المجهول (See: Madelyn, Harris and Lubell, 2002).

ثانياً . مشكلات الكبت والاكتئاب والأرق: تعد مشكلات الأرق والكبت والاكتئاب من أخطر المشاكل النفسية التي يتعرض لها الفرد في الوقت الحاضر ويجب أن تسهم أنشطة وقت الفراغ مع مختلف

مؤسسات المجتمع في مواجهتها والتخفيف من حدتها. ويمكن استعراض هذه المشكلات على النحو التالي:

مشكلة الأرق: يترافق مع مشكلة الأرق العديد من الآلام للمصاب بها كفقدان الحيوية والنشاط، والتأثير السلبي على العمل وعلى حياته ككل، وغالباً ما يعاني صاحب هذه المشكلة من توارد الأفكار على ذهنه وغالباً ما تكون هذه الأفكار سوداء يعمها التشاؤم والهواجس وللعوامل البيئية دور هام في نشأة هذا المرض مثل ضغوط الحياة والتناقض بين القيم والواقع وضعف الروابط الأسرية وضعف القيم والتقاليد. والعادات والرغبة في المحاكاة والتقليد والتطرف والشعور بالسخط وعدم الرضى وكل ما يحيط بالفرد من أحداث وأفعال من شأنها أن تسبب ظهور الأرق لدى الفرد (انظر: العيسوي، 1986، 86).

مشكلة الشعور بالاكتئاب: هي من المشاكل النفسية الخطيرة الناشئة عن المدنية الحديثة حيث ينجم عنها حالة من الوحدة والعزلة والتي تؤدي بالاشتراك مع غيرها من العوامل إلى الإحساس بالاكتئاب، ويعود ذلك إلى أن هذه المدنية الحديثة اهتمت بالجوانب المادية في حين أنها أهملت الجوانب المعنوية وذلك بخلاف الحضارة الإسلامية التي اهتمت بالجانبين معاً (انظر: العيسوي، 1986، 90).

مشكلة الكبت: يعاني منه كثير من الشباب وذلك نظراً لدوافعه الجنسية وغير الجنسية في ظل القيود والضوابط الاجتماعية المفروضة عليه كثيراً من مظاهر الكبت والحرمان فإن أمكن للأنشطة الترويحية في وقت الفراغ أن تظهر الذات معها بما فيها من الذكريات الحبيسة والمكبوتة وإطلاق سراحها وتنفيذ الشحنات الانفعالية المكلفة عبر الأنشطة الترويحية فإنها بذلك تكون قد عملت على إزالة هذه المشكلة من نفسية الفرد (See: Pawlak, 2002).

2- التوافق الزواجي (Marital Adjustment):

أصبح التوافق الزواجي أمراً ضرورياً لنجاح الفرد في عمله وقدرته على التكيف مع ظروف العمل ومتطلباته، إذ إنه لا ينفصل عن الرضا عن الذات والرضا عن العمل والرضا عن الحياة؛ لذا فإنَّ النجاح في دور اجتماعي ما يتطلب امتلاك الفرد لمهارات وخبرات اجتماعية تؤام الدور الذي يمثله وكذلك فإن النجاح في مهنة ما يتطلب قدرته على تنظيم انفعالاته من أجل التكيف مع بيئة العمل المادية والاجتماعية وإقامة علاقات أكثر توافقاً مما يشعره بأهمية ذاته، والسعي إلى تطويرها ضمن

إمكانياته وقدراته المتاحة، وبذل أقصى جهوده للنجاح باستمرار، غير أنه من النادر أن يستطيع الفرد تحقيق أهدافه وطموحاته دون صعوبات أو احباطات أو صراعات تسبّب له الإنهاك النفسي؛ لأن الفرد لا يمكن أن يكون في معزل عن المواقف المستجدة في ظروف العمل أو عن البيئة التي يعيش فيها، وربما يكون عرضة للاختلافات مع الآخرين مما يؤثر على تكيفه مع بيئة العمل وتوافقه الزواجي والأسري.

. مظاهر التوافق الزواجي: يعد التوافق الزواجي موضوعاً حيوياً يحدث بين الزوجين، ومع ذلك يمتد أثره إلى من حولهم، حيث يتم فيه إشباع مجموعة من الدوافع والحاجات، ومن أهم مظاهر التوافق الزواجي:

1. التواضع والتعاون بين الزوجين في أداء الأدوار.
2. الشعور بالسعادة والرضا عن الحياة، والراحة النفسية والسلوك الاجتماعي المقبول.
3. شعور الأبناء بالأمن النفسي.
4. ظهور الدعم والمساندة من الطرف الآخر والأسرة، مما يساهم في حل المشكلات بسهولة نسبياً.
5. الإشباع الجنسي، والتعاون الاقتصادي.
6. النجاح والكفاءة في العمل؛ حيث إن التوافق الزواجي للفرد قد يزيد استقرار الفرد في عمله. (انظر: عبد الله، 2006، 134).

سابعاً – منهجية واجراءات البحث:

7-1- حدود البحث:

7-1-1- الحدود البشرية: شملت المراهقات المتزوجات المترددات على مركز (إعفاف لإعداد وتأهيل المقبلين على الزواج والإصلاح الأسري) المعتمد كأول مركز مختص بالإصلاح الأسري في سورية، والمترددين على جمعية تنظيم الأسرة السورية.

7-1-2- الحدود المكانية: تم التطبيق في مركز (إعفاف لإعداد وتأهيل المقبلين على الزواج والإصلاح الأسري) المعتمد كأول مركز مختص بالإصلاح الأسري في سورية، والمترددين على (جمعية تنظيم الأسرة السورية) في محافظة دمشق.

7-1-3- الحدود الزمنية: تم تطبيق أدوات البحث بتاريخ (2024/3/4- 2024/3/31م).

7-2- متغيرات البحث:

7-2-1- المتغير (التصنيفي): استخدام شبكات التواصل (أقل من ساعتين، من 2 إلى 5 ساعات، أكثر من 5 ساعات). المستوى التعليمي: (ثانوية فما دون، معهد، تدرس في الجامعة).

7-2-2- المتغير المستقل: استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.

7-2-2- المتغير التابع: التوافق الزواجي.

7-3- الإجراءات المنهجية للبحث الميداني:

7-3-1- منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصـــفي، واتبعت الباحثة الخطوات الإجرائية التالية: قامت بالاطلاع على الأدبيات والمراجع النظرية الدراســـات الســـابقة المتعلقة بالبحث، ثم قامت بإعداد وتطبيق أدوات الدراسة، ومن ثم استخراج النتائج وتحليلها وتفسيرها، وتقديم المقترحات المناسبة.

الطريقة المعتمدة في رصد الواقع الاجتماعي: تم اعتماد طريقة المسح الاجتماعي بالعينة.

7-3-2- أدوات البحث:

7-3-2-1- مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي:

- **مرحلة الاطلاع واختيار بنود المقياس:** تم فيها الاطلاع على بعض الدراســـات التي تناولت موضوع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، وكان الهدف من الرجوع إليها معرفة بنود اســـتخدام شـــبكات التواصـــل الاجتماعي التي تناولها الباحثون في دراســـاتهم كدراســـة كل من: (الغامدي، 2009؛ الأسطل، 2011؛ عوض، 2011)، ثم حدَّدت الباحثة في ضوء هذه الاستبانات بنود مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، وراعت الباحثة في اختياره البنودَ الأكثر تداخلاً في موضوع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي كما ورد في الدراسات النظرية لهذه الموضوع. وبعد الاطلاع على الأدوات السابقة بما تتضمنه من بنود لقياس درجة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، تم صـــياغة (34) بنداً. وتتم الإجابة عن كل بند من بنود المقياس من خلال مقياس (ليكرت) الخماســـي، وهو مكون من خمس احتمالات: (موافق بدرجة عالية جداً، موافق بدرجة عالية، موافق بدرجة متوسطة، موافق بدرجة ضعيفة، موافق بدرجة ضعيفة جداً)، وتقابل هذه البنود

درجات (5، 4، 3، 2، 1) على الترتيب لكل بند، ليتم الحكم رقمياً على مدى استخدام شبكات التواصل الاجتماعي من قبل المراهقات المتزوجات.

- **الدراسة الاستطلاعية لأداتي البحث:** بهدف التحقق من وضوح بنود أداتي البحث وتعليماتهما، قامت الباحثة بدراسة استطلاعية، إذ طبقت أداتي البحث على عينة صغيرة من المراهقات المتزوجات في مركز تنظيم الأسرة بلغت (30) مراهقة متزوجة – لم تشملهن العينة الأصلية للبحث–، ونتيجة للدراسة الاستطلاعية، بقيت بنود أداتي البحث كما هي، وكذلك التعليمات المتعلقة بهما، حيث تبين أنها واضحة تماماً ومفهومة.
- **صدق مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي:**

–**الصدق الظاهري:** استخدمت الباحثة طريقة الصدق الظاهري بهدف التحقق من صلاحية بنود مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي إذ تم عرض المقياس على عدد من أعضاء الهيئة التدريسية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية (قسم علم الاجتماع) في جامعة دمشق بلغ عددهم (4) محكمين، لبيان رأيهم في صحة كل بند، ودرجة ملائمتها لغرض البحث، فضلاً عن ذكر ما يرونه مناسباً من إضافات أو تعديلات، وبناءً على الآراء والملاحظات لم يتم استبعاد أي عبارة من المقياس، ولكن تم تعديل بعضها من حيث الأسلوب والصياغة، وبالتالي بلغ المجموع النهائي لعبارات هذه المقياس بصورتها النهائية (34) بنداً.

- **ثبات مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي:** حُسب ثبات المقياس على الطرق التالية:

  - **إعادة التطبيق:** تم حساب معامل الثبات عن طريق تطبيق المقياس وإعادة تطبيقه على نفس العينة بعد أسبوعين، وقد أظهرت النتائج تمتع المقياس بدرجة عالية من الثبات بلغت (0.87).
  - **التجزئة النصفية:** وفي هذه الطريقة تم تقسيم بنود المقياس إلى نصفين متساويين، ضم النصف الأول البنود الفردية في المقياس، في حين ضم النصف الثاني البنود الزوجية، حيث تكون كل جزء من (17) بنداً، وتم حساب معامل الترابط سبيرمان براون وغوتمان بين الجزأين، وجاءت النتائج معامل الترابط سبيرمان براون (0.846)، ونتيجة غوتمان (0.839) وكليهما دال عند مستوى الدلالة (0.01).

7-3-2-2- مقياس التوافق الزواجي:

. مرحلة الاطلاع واختيار المقياس: تم فيها الاطلاع على بعض الدراسات التي تناولت موضوع التوافق الزواجي كدراسة كل من: أبو موسى (2008)، الشهري (2009)، وقامت الباحثة بتطوير مقياس التوافق الزواجي في ضوء الدراسات السابقة والأدب النظري، ويتألف مقياس التوافق الزواجي من (60) بنداً. وهي:

الجدول (1) توزيع بنود أبعاد مقياس التوافق الزواجي

أبعاد مقياس التوافق الزواجي	عدد البنود	أرقام البنود
البعد الأول: (العلاقات الأسرية).	15	1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15
البعد الثاني: (النضج الانفعالي).	15	16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30
البعد الثالث: (العلاقات الاجتماعية).	15	31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45
البعد الرابع: (السمات العصابية).	15	46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60

تتم الإجابة عن كل بند من بنود المقياس من خلال استجابة المفحوص وفق مقياس ليكرت الخماســـي بإحدى الإجابات التالية: (دائماً، غالباً، أحياناً، نادراً، أبداً)، وتقابل هذه البنود درجات (5، 4، 3، 2، 1) على الترتيب لكل بند في بنود المقياس انظر في الملحق رقم (2).

- **صدق مقياس التوافق الزواجي:**

- **الصدق الظاهري:** استخدمت الباحثة طريقة الصدق الظاهري بهدف التحقق من صلاحية بنود مقياس التوافق الزواجي إذ جرى عرض المقياس على عدد من أعضاء الهيئة التدريسية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية (قسم علم الاجتماع) في جامعة دمشق بلغ عددهم (4) محكمين، لبيان رأيهم في صحة كل بند، ودرجة ملاءمته للبعد الذي ينتمي إليه، فضلاً عن ذكر ما يرونه مناسباً من إضافات أو تعديلات، وبناءً على الآراء والملاحظات لم يتم استبعاد أي بند من المقياس، ولكن تم تعديل بعضها من حيث الأسلوب والصياغة، وبالتالي بلغ المجموع النهائي لبنود هذا المقياس بصورته النهائية (60) بنداً.

- **صدق الاتساق الداخلي:** تمَّ إجراء ارتباط المجموع الكلي بالأبعاد الفرعية، كما يظهر في الجدول (2):

الجدول (2) الارتباطات بين المجموع الكلي والأبعاد الفرعية لمقياس التوافق الزواجي

	معامل الارتباط	العلاقات الأسرية	النضج الانفعالي	العلاقات الاجتماعية	السمات العصابية
الدرجة الكلية لمقياس التوافق الزواجي	ارتباط بيرسون	0.425**	0.558**	0.617**	0.580**
	مستوى الدلالة	0.000	0.000	0.000	0.000
	عدد البنود	15	15	15	15

يلاحظ من الجدول (2) أنَّ ارتباط المجموع الكلي مع الأبعاد الفرعية تراوح بين (0.425 و 0.617)، وهو ارتباط مرتفع يدل على أنَّ المقياس يتمتع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي.

- **ثبات مقياس التوافق الزواجي:** تمَّ تطبيق المقياس على العينة الاستطلاعية مرتين متتاليتين بفارق زمني عشرة أيام، وتمَّ حساب معامل الارتباط سبيرمان بين استجابات الأفراد حسب التجزئة النصفية، وبيرسون حسب الإعادة، وألفا كرونباخ، وجاءت النتائج كما يشير إليها الجدول (3):

الجدول (3) نتائج الثبات بالإعادة وسبيرمان براون وألفا كرونباخ لمقياس التوافق الزواجي

أبعاد مقياس التوافق الزواجي	ثبات الإعادة	سبيرمان براون	ألفا كرونباخ
البعد الأول: (العلاقات الأسرية).	0.822	0.763	0.714
البعد الثاني: (النضج الانفعالي).	0.851	0.794	0.722
البعد الثالث: (العلاقات الاجتماعية).	0.848	0.769	0.701
البعد الرابع: (السمات العصابية).	0.862	0.804	0.733
الدرجة الكليّة	0.875	0.821	0.740

يلاحظ من الجدول (3) أن قيمة الثبات بالإعادة لمقياس التوافق الزواجي بلغت في الدرجة الكلية (0.875)، في حين بلغت قيمة ثبات التجزئة النصفية (0.821)، كما بلغت قيمة الثبات وفق قانون ألفاكرونباخ (0.740)، وهكذا نجد أنَّ جميع قيم معاملات الثبات مرتفعة وتدل على ثبات المقياس، وتسمح بإجراء البحث.

7-3-3- إجراءات البحث: بعد التأكُّد من صدق وثبات الأداة وصلاحيتها للتطبيق، طبَّقت الباحثة المقياسين في الفصل الثاني من العام الدراسي (2023- 2024م) على المراهقات المتزوجات المترددات على مركز (إعفاف لإعداد وتأهيل المقبلين على الزواج والإصلاح الأسري)

المعتمد كأول مركز مختص بالإصلاح الأسري في سورية، والمترددين على جمعية تنظيم الأسرة السورية، وذلك على أفراد عينة البحث البالغ عددهم (175) مراهقة متزوجة، وطلبت من المستجيبات وضع إشارة في المكان الذي يوافق رأيهن في مقياس ليكرت الخماسي جانب كل فقرة من فقرات المقياس، ثمَّ تمَّ جمع الأدوات الموزعة وتفريغها وتحليلها باستخدام البرنامج الإحصائي (spss) من أجل استخراج النتائج ومعالجتها.

7-3-4- مجتمع البحث الأصلي: تكوَّن المجتمع الأصلي للبحث من جميع المراهقات المتزوجات المترددات على مركز (إعفاف لإعداد وتأهيل المقبلين على الزواج والإصلاح الأسري) المعتمد كأول مركز مختص بالإصلاح الأسري في سورية، والمترددات على جمعية تنظيم الأسرة السورية للعام الدراسي (2024/2023م)، والبالغ عددهن (535) مراهقة متزوجة.

7-3-5- عينة البحث: لكي نضمن تمثيل المجتمع في العينة تم اعتماد العينة العشوائية البسيطة في السحب لأن المجتمع غير متجانس من حيث الخصائص العمرية والنفسية، ومن أجل ضمان التمثيل لكل مجموعة ضمن العينة تم سحب عينة عشوائية بسيطة اعتماداً على رقم المراهقة في سجلات المركز. وتتكون عينة البحث من (175) مراهقة متزوجة، وتمثل هذه العينة ما نسبته (32.71%) من مجتمع البحث الأصلي. موزعة وفق الجدول الآتي:

الجدول (4) توزع أفراد عينة البحث وفق متغير المؤهل العلمي

المتغير	الفئة	عدد العاملين	النسبة
المؤهل العلمي	ثانوي فما دون	47	% 26.9
	معهد	77	% 44
	تدرس في الجامعة	51	% 29.1
	المجموع الكلي	**175**	**% 100**

الجدول (5) توزع أفراد عينة البحث وفق متغير عدد ساعات استخدام شبكات التواصل

المتغير	الفئة	عدد العاملين	النسبة
عدد ساعات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي	أقل من ساعتين	**15**	**% 8.57**
	من 2 إلى 5 ساعات	**84**	**% 48**
	أكثر من 5 ساعات	**76**	**% 43.43**
	المجموع الكلي	**175**	**% 100**

ثامناً - عرض نتائج أسئلة البحث وفرضياته ومناقشتها:

8-1- عرض نتائج أسئلة البحث:

8-1-1- ما درجة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى عينة من المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق؟

لحساب درجة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى عينة من المراهقات المتزوجات، جرى حساب المتوسط الحسابي لكل بند ثمَّ لكل محور، واستناداً إلى قاعدة التقريب الرياضي يمكن التعامل مع قيم المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة البحث، وتحديد المستويات كما يلي:

الجدول (6) تقدير درجات / استخدام شبكات التواصل الاجتماعي/و /ومستوى التوافق الزواجي/ لدى عينة من المراهقات المتزوجات

المتوسط الرتبي	تقدير الدرجة
1 – 1.8	**ضعيف جداً**
1.81 – 2.60	ضعيف
2.61 – 3.40	متوسط
3.41 – 4.20	مرتفع
4.21 – 5	مرتفع جداً

وتمَّ ذلك بالاعتماد على استجابات المقياس 5-1 ÷ 5 = 0.8؛ وجاءت النتائج على الشكل الآتي:

الجدول رقم (7) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والمتوسط الرتبي لإجابات أفراد عينة البحث عن مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي

م	استخدام شبكات التواصل الاجتماعي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الرتبي	درجة الاستخدام
	الدرجة الكلية	125.05	15.114	3.67	مرتفعة

يتضح من درجات الجدول رقم (7) أنَّ درجة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى عينة من المراهقات المتزوجات كان بدرجة مرتفعة بلغ متوسطها الرتبي (3.67).

أظهرت النتائج وجود انتشاراً لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي بين المراهقات المتزوجات، لأن شبكات التواصل الاجتماعي أسهمت في تفعيل المشاركة لتحقيق رغبة كل فئة مشتركة في نفس الاهتمامات والأنشطة، ويشعر المشارك فيها أنه فاعل ومتفاعل اجتماعياً، وليس كما كان يعتقد في نفسه أنه هامشي لا دور له، لذلك نجحت مواقع التواصل الاجتماعي الالكتروني في التأثير على ملايين المتفاعلين مع الأحداث في تلك الشبكات.

8-1-2- ما مستوى التوافق الزواجي لدى عينة من المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق؟

تمَّ استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والمتوسط الرتبي لكل بُعد من أبعاد المقياس من وجهة نظر أفراد عينة البحث، والتي تتألف من أربعة أبعاد، وجاءت النتائج كما في الجدول (8):

الجدول (8) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والمتوسط الرتبي لإجابات أفراد عينة البحث عن مقياس التوافق الزواجي

م	أبعاد مقياس التوافق الزواجي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرّتبة	المتوسط الرتبي	التقدير
1.	البعد الأول: (العلاقات الأسرية).	48.19	10.718	3	3.21	متوسط
2.	البعد الثاني: (النضج الانفعالي).	49.07	10.066	2	3.27	متوسط
3.	البعد الثالث: (العلاقات الاجتماعية).	48.12	10.862	4	3.20	متوسط
4.	البعد الرابع: (السمات العصابية).	49.47	9.838	1	3.29	متوسط
	الدّرجة الكلية	194.85	22.576		3.24	متوسط

يلاحظ من الجدول (8) أنَّ مستوى التوافق الزواجي لدى عينة من المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق كان بدرجة متوسطة حيث بلغ المتوسط الحسابي الرتبي لإجابات أفراد عينة البحث (3.24). إنَّ أكثر الأبعاد تحققاً وفق تقدير أفراد عينة البحث البعد الرابع الذي جاء في المرتبة الأولى بمتوسط بلغ (3.29)، يليه في المرتبة الثانية بُعد النضج الانفعالي بمتوسط بلغ (3.27)، ثم جاء في المرتبة الثالثة بُعد العلاقات الأسرية بمتوسط بلغ (3.21)، يتبعه في المرتبة الرابعة والأخيرة بُعد العلاقات الاجتماعية بمتوسط بلغ (3.20).

وقد تُعزى تلك النتيجة إلى أنَّ المرأة المتزوجة تعمل في ظل ظروف صعبة جداً، إذ تعمل في ظل ظروف مليئة بالإرهاق والتعب، ناهيك عن طبيعة متطلبات الحياة الكثيرة، وفي المقابل ظروف العمل الصعبة بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي يعيشها المجتمع السوري. كما أنَّ المرأة المراهقة المتزوجة تتعرض لكثير من الضغوط النفسية والمهنية الناشئة عن تعاملها مع أفراد المجتمع، مما قد يزيد من الأعباء الملقاة على كاهلها، وبالتالي تعود لبيتها محمَّلة بمثل تلك الأعباء الوظيفية، إضافةً إلى الأعباء الأسرية والاجتماعية التي قد تترك أثراً سلبياً في نفس المراهقة المتزوجة، فتضطرب علاقتها بأسرتها ومن فيها (الزوج والأبناء). ويؤثر عمل الزوجة أو الزوج المجهد في جو الأسرة وفي مستوى التوافق الزواجي، فترتفع حدة التوترات في محيط الأسرة، التي قد تبلغ أحياناً حافة الأزمة الأسرية، ويضعف التفاعل الأسري بين أفراد الأسرة الواحدة، فالتفاعل بين أفراد الأسرة يُعد من المظاهر الأساسية لتوافق الأسرة، حيث يعطيها أهمية خاصة في نمو شخصية أعضائها.

8-2- نتائج فرضيات البحث:

تمَّ اختبار الفرضيات الآتية عند مستوى الدلالة (0.05):

الفرضية الأولى: لا توجد علاقة ارتباطيه ذات دلالة إحصائية بين استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وبين مستوى التوافق الزواجي لدى عينة من المراهقات المتزوجات في محافظة دمشق.

للتحقق من صحة هذه الفرضية حُسِب معامل الارتباط بيرسون بين درجات أفراد عينة البحث في مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، ودرجاتهم في مقياس التوافق الزواجي، وجاءت النتائج كما يشير إليها الجدول (9):

الجدول (9) نتائج معامل الارتباط بيرسون بين درجات أفراد عينة البحث في مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ودرجاتهم في مقياس التوافق الزواجي

مقياس التوافق الزواجي		الدرجة الكلية لمقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي
العلاقات الأسرية	معامل الارتباط بيرسون	-0.570**
	القيمة الاحتمالية	0.000
النضج الانفعالي	معامل الارتباط بيرسون	-0.462**
	القيمة الاحتمالية	0.000
العلاقات الاجتماعية	معامل الارتباط بيرسون	-0.577**
	القيمة الاحتمالية	0.000
السمات العصابية	معامل الارتباط بيرسون	-0.513**
	القيمة الاحتمالية	0.000
الدرجة الكلية للتوافق الزواجي	معامل الارتباط بيرسون	-0.624**
	القيمة الاحتمالية	0.000

يتبين من الجدول (9) أنَّ قيمة معامل الارتباط بيرسون بلغت (-0.624**)، وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.05)، بين إجابات أفراد عينة البحث على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وإجاباتهم على مقياس التوافق الزواجي؛ مما يشير إلى وجود ارتباط سلبي دال إحصائياً بين استخدام شبكات التواصل الاجتماعي والتوافق الزواجي.

ويمكن تفسير ذلك بأنَّ الظروف الصعبة التي تعيشها المراهقة المتزوجة بشكل عام في المجتمع السوري خاصةً من نواحي الحياة كافة الاجتماعية والاقتصادية والأسرية، كل هذا أثَّر بشكل كبير في مستوى التوافق الزواجي لدى المراهقة المتزوجة، وأدى إلى صراع الأدوار لديها.

وقد أشار لانجل (Langle, 2003, 109) إلى أنَّ استخدام شبكات التواصل الاجتماعي الزائد لدى المراهقة المتزوجة يؤدي إلى مجموعة من الأعراض النفسية والاجتماعية، والتي منها: القلق، وعدم الاتزان النفسي، وعدم التوافق الزواجي، ارتفاع مستوى الضغوط المهنية، وعدم الرضا

الوظيفي، بل إنه في أقصى حالاته قد يؤدي إلى الانتحار، إذا لم يتم تقديم الدعم والمساندة الاجتماعية للمراهقة المتزوجة. لذلك فالمراهقة المتزوجة التي تتعرض للضغط النفسي، ولا تتمكن من مواجهته في الوقت المناسب وبالطرق المناسبة، فإنها قد تصاب بالإجهاد النفسي، وهذا ما يؤدي إلى قيامها بممارسة سلوكيات سلبية داخل العمل، وداخل الأسرة، وإذا استمر الحال على ما هو عليه، فإنها قد تشعر بعدم الأمن والقلق تجاه حياتها، وهذا ما يؤثر سلباً في توافقها الزواجي.

وقد يُعزى ذلك إلى استخدام الإنترنت بشكل دائم يؤدي إلى العديد من المشكلات النفسية لأن التفاعل مع تلك الشبكات يعزل مستخدمه فعلاً عن التفاعل الاجتماعي الواقعي ويجعله يبني مجتمعاً افتراضياً من خلال التفاعل والتواصل الإلكتروني وبذلك وفرت شبكات التواصل بيئة نفسية وعاطفية لمستخدميها لأنه يفتقدها في واقعه فيجدها متوفرة وبكل سهولة في عالم الإنترنت. كما تؤدي الاستخدام غير الصحيح لشبكات التواصل الاجتماعي إلى مواجهة الفرد لصعوبات كثيرة في حياته اليومية، ومظاهر الانحراف والشذوذ في سلوكه الاجتماعية، فتقل فاعلية وكفاية الفرد، وتحد من قدرته على بناء العلاقات الاجتماعية الناجحة مع الآخرين، وانتشار بعض المشكلات النفسية لديه (أبو العطا، 2006، 19).

وهذا ما أكدته نتائج دراستي: (الغامدي، 2009)، الأسطل (2011)، التي أظهرت نتائجهما وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين التردُّد على مقاهي الانترنت وبعض المشكلات النفسية.

الفرضية الثانية: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط إجابات أفراد عينة البحث على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وفق متغير المؤهل العلمي.

للتحقق من صحة هذه الفرضية حُسِبت دلالة الفروق بين إجابات أفراد عينة البحث على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي: (ثانوية فما دون، معهد، تدرس في الجامعة)، وذلك باستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي أنوفا (One Way ANOVA)، وجاءت النتائج كما يشير إليها الجدول (10):

الجدول (10) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي أنوفا للفروق بين متوسطات درجات عينة البحث على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي

مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	قيمة الاحتمال	القرار
الدرجة الكلية	بين المجموعات	9233.647	2	4616.823	29.303	0.000	

	داخل المجموعات	27099.062	172	157.553			دال عند (0.01)
	المجموع	36332.709	174				

يتبين من الجدول (10)، وبعد اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) أن قيمة (ف) المحسوبة بلغت (29.303)، والقيمة الاحتمالية (0.000)، وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.01) في إجابات أفراد عينة البحث على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي. **وبالتالي ترفض الفرضية الصفرية، وتقبل الفرضية البديلة.** ولتحديد موقع المستوى التعليمي ذي الدلالة الإحصائية تم تطبيق اختبار (**LSD**) لحساب دلالة الفروق بين المتوسطات، والجدول (11) يوضح ذلك:

الجدول (11) المقارنات المتعددة بين متوسطات الإجابات على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وفق متغير المستوى التعليمي

LSD		متوسط الفروق	قيمة الاحتمال	القرار
المجموعة أ	المجموعة ب			
ثانوية فما دون	معهد	-5.585	0.058	غير دال
	إجازة فأعلى	*11.708	0.000	دال لصالح حملة الثانوي
معهد	إجازة فأعلى	*17.293	0.000	دال لصالح حملة المعهد

ويمكن تفسير ذلك بأنَّ هناك أنواع من التواصل بين الزوجين، وبما أنَّ الاتصال الفكري هو أهم العوامل في التوافق الزوجي، فالحاصلين على الشهادة الجامعية يمتلكن مستوى مرتفع من التوافق الزواجي، (لما للمرحلة الجامعية من أهمية في تطوير العلاقة بين الشاب والفتاة من خلال الاختلاط والتعارف المتبادل، وتعرّف كل منهما على توقعات الآخر حول الزواج مما يُساعد على بناء توقعات أكثر وضوحاً وواقعية أساسها معرفة الآخر الناتجة عن التأثير المباشر والاحتكاك أكثر من الصورة المجتمعية الجاهزة للشريك والزواج)، وأكثر قدرةً على القيام بالأدوار المختلفة، ويدعمها ما تتميز به الحياة الجامعية من مسؤولية واستقلالية بعيداً عن التأثير المباشر للأهل.

ويُعزى ذلك إلى أنَّ حملة الشهادة الثانوية والمعهد كانوا أكثر حرصاً على زيادة عدد المشاركات والإضافات على شبكات التواصل الاجتماعي، في حين أن حملة الإجازة الجامعية كانوا أقل اهتماماً بالمشاركة على تلك الشبكات بسبب مسؤولياتهم الدراسية والاجتماعية وفق آرائهم وتعبيراتهم. إن المراهقات المتزوجات اللاتي يدرسن في الجامعة مروا بخبرات وتجارب اجتماعية أكثر، وبالتالي أصبحوا أكثر قدرة على إدارة الضغوط الحياتية، وأكثر قدرة على النجاح في العلاقات الاجتماعية، والتواصل مع المحيطين به. كما أنَّ حملة الإجازة الجامعية أصبحوا أكثر إدراكاً لمسؤولياتهم

والتزاماتهن الاجتماعية، ويشعرن بالارتياح للعلاقات الاجتماعية الجديدة، وأكثر قدرة على حل المشكلات التي تواجههم، ويضعون أهداف طموحة أكاديمياً، ويسعون بكل جدية، ويناضلون من أجل تحقيق الأهداف والغايات التي وضعوها لأنفسهن، لذلك يقومن بتنظيم وقتهن في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.

الفرضية الثالثة: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط إجابات أفراد عينة البحث على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وفق متغير عدد ساعات الاستخدام يومياً.

للتحقق من صحة هذه الفرضية حُسبت دلالة الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة البحث على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، تبعاً لمتغير عدد ساعات استخدام شبكات التواصل (أقل من ساعتين، من 2 إلى 5 ساعات، أكثر من 5 ساعات)، وذلك باستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (أنوفا)، وجاءت النتائج على النحو التالي:

الجدول (12) اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لعينة البحث وفق متغير سنوات الاستخدام

استخدام شبكات التواصل		مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	قيمة الاحتمال
	بين المجموعات	9277.433	2	4638.717	22.495	0.000
	داخل المجموعات	81865.357	172	206.210		
	المجموع	91142.790	174			

مناقشة الفرضية: من خلال الجدول السابق نلاحظ أن قيمة الاحتمال (0.000) وهي أصغر من (0.01) وبالتالي **ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة** لأنه توجد فروق بين متوسطات درجات المراهقات المتزوجات على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي تُعزى إلى متغير عدد ساعات استخدام شبكات التواصل، وكما تبين باختبار **(LSD)** لمقارنة الفروق بين المتوسطات أن الاستجابات كانت لصالح المراهقات المتزوجات اللواتي يستخدمن شبكات التواصل يومياً (أكثر من 5 ساعات).

الجدول (13) المقارنات المتعددة بين متوسطات الإجابات على مقياس البحث وفق متغير عدد ساعات الاستخدام يومياً

LSD		متوسط الفروق	قيمة الاحتمال
المجموعة أ	المجموعة ب		
أقل من ساعتين	من 2 إلى 5 ساعات	-13.095*	0.024
	أكثر من 5 ساعات	-15.592*	0.037
من 2 إلى 5 ساعات	أكثر من 5 ساعات	-2.497	0.149

ويمكن تفسر ذلك بأنَّ مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي منذ عدة سنوات يتأثرون بتلك الشبكات ويدمنون عليها، لأنها ذات تأثير عالي الفاعلية لم يتصوره المحللون وخبراء الإعلام

والاتصال. فقد أثبتت فاعليتها في النقل المباشر للأحداث والوقائع، كما أن تلك الشبكات أسهمت في صناعة ثقافة التأثير من قبل بعض المؤثرين من مستخدمي الانترنت، وأطرت تلك الشبكات التفاعلية لعلاقات الكترونية أكثر عمقاً بين المتصفحين، تبادلت فيها المعلومات والبيانات والآراء والأفكار في شفافية وحرية.

الفرضية الرابعة: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط إجابات أفراد عينة البحث على مقياس التوافق الزواجي وفق متغير المؤهل العلمي.

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي أنوفا (One Way ANOVA)، وجاءت النتائج كما يشير إليها الجدول (14):

الجدول (14) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي أنوفا للفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة البحث على مقياس التوافق الزواجي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي

أبعاد التوافق الزواجي	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	قيمة الاحتمال	القرار
العلاقات الأسرية	بين المجموعات	242.322	2	121.161	1.055	0.350	غير دال عند (0.05)
	داخل المجموعات	19747.073	172	114.809			
	المجموع	19989.394	174				
النضج الانفعالي	بين المجموعات	136.725	2	68.362	0.672	0.512	غير دال عند (0.05)
	داخل المجموعات	17492.452	172	101.700			
	المجموع	17629.177	174				
العلاقات الاجتماعية	بين المجموعات	59.432	2	29.716	0.250	0.779	غير دال عند (0.05)
	داخل المجموعات	20469.048	172	119.006			
	المجموع	20528.480	174				
السمات العصابية	بين المجموعات	106.520	2	53.260	0.547	0.579	غير دال عند (0.05)
	داخل المجموعات	16735.057	172	97.297			
	المجموع	16841.577	174				
الدرجة الكلية	بين المجموعات	1624.210	2	812.105	1.604	0.204	غير دال عند (0.05)
	داخل المجموعات	87059.927	172	506.162			
	المجموع	88684.137	174				

يتبين من الجدول (14)، وبعد اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA) أن قيمة (ف) المحسوبة بلغت (1.604)، والقيمة الاحتمالية (0.204)، وهي غير دالة عند مستوى الدلالة (0.05) في إجابات أفراد عينة البحث على مقياس التوافق الزواجي. **وبالتالي تُقبل الفرضية الصفرية التي**

تقول: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات إجابات أفراد عينة البحث على مقياس التوافق الزواجي وفق متغير المؤهل العلمي.

ويمكن تفسير ذلك بأنَّ هناك عواملاً كثيرة أخرى تؤثر في مستوى التوافق الزواجي بين الزوجين غير المستوى التعليمي للزوجة، فقد تؤثر الظروف النفسية المصاحبة للزواج بشكل كبير على العلاقات داخل الأسرة، مما يؤثر ذلك في طبيعة العلاقات داخل الأسرة. كما قد تؤثر الظروف الاقتصادية التي تمر بها الأسرة تأثيراً سلبياً أو إيجابياً على العلاقات داخل الأسرة.

وتختلف نتيجة البحث الحالية مع نتيجة دراسة عريج (2013)، توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الزواجي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي لصالح المؤهل العلمي المرتفع. وتختلف أيضاً مع نتيجة دراسة أبو حمد (2014) التي أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مقياس التوافق الزواجي تبعاً لمتغير المستوى التعليمي ولصالح النساء العاملات اللواتي مستوى تعليمهن (إجازة جامعية فأعلى).

الفرضية الخامسة: لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط إجابات أفراد عينة البحث على مقياس التوافق الزواجي وفق متغير عدد ساعات الاستخدام يومياً.

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي أنوفا (One Way ANOVA)، وجاءت النتائج كما يشير إليها الجدول (15):

الجدول (15) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي أنوفا للفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة البحث على مقياس التوافق الزواجي تبعاً لمتغير عدد سنوات استخدام شبكات التواصل

أبعاد التوافق الزواجي	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	قيمة الاحتمال	القرار
العلاقات الأسرية	بين المجموعات	516.541	3	172.180	1.512	0.213	غير دال عند (0.05)
	داخل المجموعات	19472.854	171	113.876			
	المجموع	19989.394	174				
النضج الانفعالي	بين المجموعات	516.959	2	172.320	1.722	0.164	غير دال عند (0.05)
	داخل المجموعات	17112.218	172	100.071			
	المجموع	17629.177	174				
العلاقات الاجتماعية	بين المجموعات	269.144	2	89.715	0.757	0.520	غير دال عند (0.05)
	داخل المجموعات	20259.336	172	118.476			
	المجموع	20528.480	174				
السمات العصابية	بين المجموعات	65.848	2	21.949	0.224	0.880	
	داخل المجموعات	16775.729	172	98.104			

	المجموع	16841.577	174				غير دال عند (0.05)
الدرجة الكلية	بين المجموعات	2600.365	2	866.788	1.722	0.164	غير دال عند (0.05)
	داخل المجموعات	86083.772	172	503.414			
	المجموع	88684.137	174				

يتبين من الجدول (15)، وبعد اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA) أن قيمة (ف) المحسوبة بلغت (1.722)، والقيمة الاحتمالية (0.164)، وهي غير دالة عند مستوى الدلالة (0.05) في إجابات أفراد عينة البحث على مقياس التوافق الزواجي. **وبالتالي تُقبل الفرضية الصفرية التي تقول:** لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات إجابات أفراد عينة البحث على مقياس التوافق الزواجي وفق متغير عدد ساعات استخدام شبكات التواصل.

ويمكن تفسير ذلك بأنَّ ضعف التوافق الزواجي يحدث نتيجة كثرة الأعباء الوظيفية والأسرية وإدمان غالبية الأفراد على استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، والمتطلبات الزائدة والمستمرة الملقاة على عاتق المراهقة المتزوجة حديثاً، والتي تفوق قدرتها وطاقتها على التحمل، مما تُسهم هذه الأعباء مع مرور الأيام في ظهور مجموعة من المظاهر النفسية والجسدية السلبية، وبالتالي انخفاض مستوى التوافق الزواجي لدى المراهقة المتزوجة حديثاً.

تاسعاً –نتائج البحث ومقترحاته:

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

–توجد علاقة ارتباطيه سلبية ذات دلالة إحصائية بين استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وبين مستوى التوافق الزواجي.

–يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط إجابات أفراد عينة البحث على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وفق متغير ساعات استخدام شبكات التواصل لصالح المراهقات المتزوجات اللواتي كنَّ يستخدمن شبكات التواصل أكثر من 5 ساعات.

–يوجد فروق ذات دلالة إحصائية على مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وفق متغير المؤهل العلمي لصالح الأفراد العاملين الذين مؤهلهن العلمي (ثانوية ومعهد). وخلصت الباحثة في ضوء نتائج البحث الميدانية إلى المقترحات الآتية:

9-1- توفير سبل رعاية المستخدمين لشبكات التواصل الاجتماعي وخاصة العاملين المتزوجين، وتقديم النصح والإرشاد لاستخدامه بالطريقة الصحيحة والآمنة.

9-2- إقامة مراكز ووضع خطط للإرشاد المبكر يمكن للمراهقات المتزوجات اللجوء إليها وتساعدهن في تجنب المشكلات النفسي الناجمة عن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، وتساعدهن في التعامل معها.

9-3- الاهتمام بصحة المرأة المتزوجة النفسية وحاجاتها البيولوجية في محاولة للحيلولة دون وقوعه المشكلات النفسية الخطيرة.

9-4- تقديم برامج تعليمية وإرشادية وأنشطة تثقيفية للعاملين المتزوجين تركز على الجوانب الإيجابية.

معلومات التمويل:

هذا البحث مُمول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

قائمة المراجع:

أ- المراجع العربية:

- أبو حمد، هلال حسين. (2014). *الإجهاد النفسي وعلاقته بالتوافق الزواجي لدى عينة من الزوجات العاملات في المؤسسات الدولية في قطاع غزة.* رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، عمادة الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- أبو موسى، سمية محمد. (2008). *التوافق الزواجي وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى المعاقين.* رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، عمادة الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- الأسطل، يعقوب. (2011). *المشكلات النفس اجتماعية والانحرافات السلوكية لدى المترددين على مراكز الإنترنت بمحافظة خان يونس.* رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، كلية التربية، عمادة الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية، غزة.

- الحجار، بشير. (2003). *التوافق النفسي والاجتماعي لدى مريضات سرطان الثدي بمحافظات غزة وعلاقته ببعض المتغيرات*. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.
- حمدان، محمد. (2010). *الاتزان الانفعالي والقدرة على اتخاذ القرار لدى ضباط الشرطة الفلسطينية*. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإرشاد النفسي، كلية التربية، عمادة الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية، غزة.
- راضي، زاهر. (2003). استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي. *مجلة التربية*، العدد (15)، جامعة عمان الأهلية، عمان.
- الشهري، وليد بن محمد. (2009). *التوافق الزواجي وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى عينة من المعلمين المتزوجين بمحافظة جدة*. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السّعودية.
- الصبحي، هالة محمد. (2021). أثر وسائل التواصل الاجتماعي على التوافق الزواجي: دراسة وصفية على عينة من الزوجات في المجتمع السعودي. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.
- عبد القادر، نسرين عبد الله. (2020). أثر وسائل التواصل الاجتماعي على طبيعة العلاقات الزوجية. *حوليات آداب عين شمس*، 48(7)، 487- 504.
- عبد الله، محمد حسن. (2006). المحاجة والتوافق الزواجي. *مجلة علم النفس العربي المعاصر*. المجلد (2)، العدد (4)، القاهرة، ص. ص: 119- 155.
- عريج، لبيب سلمان. (2013). *توقعات ما قبل الزواج عند الزوجين وعلاقتها بالتوافق الزواجي*. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق، سورية.
- عمر، معين. (1998). *علم المشكلات الاجتماعية*. عمان: دار الشروق.
- عوض، حسني. (2011). *أثر شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب "تجربة مجلس شبابي علار أنموذجاً"*. مؤتمر بجامعة القدس المفتوحة، بعنوان "الشباب الجامعي وشبكات التواصل الاتجتماعي"، فلسطين.
- العيسوي، عبد الرحمن. (1986). *سيكولوجية التنشئة الاجتماعية*. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.

- الغامدي، عبد الله. (2009). *تردد المراهقين على مقاهي الانترنت وعلاقته ببعض المشكلات النفسية لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمكة المكرمة*. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- قربوسي، نور الهدى؛ حسنة، مشري. (2018). *مواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها على العلاقات الزوجية في الأسرة الجزائرية فايسبوك – أنموذجاً– "دراسة ميدانية لعينة من الأزواج من مدينة تبسة"*. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي – تبسة، الجزائر.
- ملحم، مازن. (2009). *العوامل الخمسة للشخصية وعلاقتها ببعض الأساليب المعرفية "دراسة ميدانية مقارنة لدى طلبة كليتي التربية في جامعتي دمشق وحلب"*. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق، دمشق.
- ناصر، عائشة. (2004). *التواصل غير اللفظي بين الزوجين وعلاقته بسمات الشخصية والتوافق الزواجي*. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القاهرة، مصر.
- ولي، معتز سامي. (2020). *دور إدمان استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على التوافق النفسي الزواجي دراسة مقارنة على المطلقين والمطلقات من الجنسين بمحافظة جدة*. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

ب- المراجع الأجنبية:

- Karbiniski, Aren. (2010). *Facebook and the technology revolution.* N, Y Spectrum Publications.
- Langle, A. (2003). Burnout – Existential meaning and possibilities of prevention. *European psychotherapy*, 4 (1), p. p: 107-122.
- Madelyn, S., Harris, J. L., and Lubell, K. (2002). Seeking help from the internet and adolescent problems. *Journal of A. A*, Vol. (206), No.(2). P. p: 32- 51.
- Pawlak, Craig. (2002). Correlates of internets and addiction in adolescents. *Journal of Education psychologist.* Vol 72(5-A), pp 321-365.
- Singh, Ritu., & Jaswal, Sushma. (2006). Assessment of Marital Adjustment Among Couples with Respect to Women's Educational Level and Employment Status. *Anthropologist*, 8 (4).
- Vansoon, Mecheel. (2010). Facebook and the invasion of technological communities. N.Y, New Yurk. *Educational and Psychological Measurement*, Vol 46, No3, P. P: (437-462).

الملحق (1)

بيانات عامة:

المؤهل العلمي:

عدد ساعات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي: أقل من2 ساعة ☐

من 2 ساعة إلى 5 ساعات ☐ أكثر من 5 ساعات ☐

مقياس استخدام شبكات التواصل الاجتماعي

م.	بنود المقياس	درجة الاستخدام				
		عالية جداً	عالية	متوسطة	ضعيفة	معدومة
1.	أستطيع تفسير المصطلحات الواردة بصفحات شبكات التواصل الاجتماعي.					
2.	شبكات التواصل الاجتماعي مهمة جداً بالنسبة لي.					
3.	أتخلص من شعوري بالوحدة عند استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.					
4.	شبكات التواصل الاجتماعي بالنسبة لي أصبحت إدماناً.					
5.	أتعلم كثيراً من استخدامي لشبكات التواصل الاجتماعي.					
6.	تعد الحياة بدون شبكات التواصل الاجتماعي مملة.					
7.	أنسى مشكلاتي عندما استخدم شبكات التواصل الاجتماعي.					
8.	ابتعدت عن زملائي وأسرتي لاستخدامي شبكات التواصل الاجتماعي.					
9.	يصعب تعاملي مع شبكات التواصل الاجتماعي.					
10.	نومي قليل بسبب طول فترة استخدامي لشبكات التواصل الاجتماعي.					
11.	أشعر أن معلوماتي أكثر من غيري لاستخدامي شبكات التواصل الاجتماعي.					
12.	يقل تحصيلي الدراسي لكثرة استخدامي شبكات التواصل الاجتماعي.					
13.	تعد شبكات ألعاب الكمبيوتر على شبكات التواصل الاجتماعي هي المحببة إلى نفسي.					
14.	أتردد قبل استخدامي شبكات التواصل الاجتماعي.					
15.	أشعر بالضيق والانزعاج حينما أخرج من شبكات التواصل الاجتماعي.					
16.	تجاربي على شبكات التواصل الاجتماعي جعلتني أكثر ثقة بنفسي.					
17.	أصبحت أكثر كسلاً في المشي لكثرة جلوسي على الانترنت.					
18.	أكثر من الجلوس على شبكات التواصل الاجتماعي.					
19.	أستطيع متابعة كل جديد على شبكات التواصل الاجتماعي.					
20.	أصبح لي أصدقاء في جميع أنحاء العالم لاستخدامي شبكات التواصل الاجتماعي.					
21.	أشعر بألم في أصابعي لكثرة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.					
22.	توجد صفحة الكترونية خاصة بي على شبكات التواصل الاجتماعي.					
23.	يسألني الكثير من أصدقائي عن استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي.					
24.	أتصفح بريدي الالكتروني قبل أي شيء آخر بمجرد دخولي المنزل.					
25.	تحسنت لغتي الإنكليزية كثيراً لاستخدامي شبكات التواصل الاجتماعي.					
26.	تعرضت للخداع من قبل أفراد عبر شبكات التواصل الاجتماعي.					
27.	يمدحني الكثير بسبب قدرتي على استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.					
28.	تعرفت على ثقافات العالم من خلال شبكات التواصل الاجتماعي.					

.29	زادت مشكلاتي لاستخدامي لشبكات التواصل الاجتماعي.					
.30	يشكو أحد أفراد أسرتي من كثرة استخدامي لشبكات التواصل الاجتماعي.					
.31	أصبح نظري ضعيف بسبب جلوسي على شبكات التواصل الاجتماعي.					
.32	غالباً لا أشارك في المناسبات الاجتماعية بسبب جلوسي على شبكات التواصل الاجتماعي.					
.33	اشعر بالإجهاد من جلوسي على شبكات التواصل الاجتماعي.					
.34	أتبادل خبرات وتجارب على شبكات التواصل الاجتماعي مع أصدقائي.					

الملحق رقم (2)

مقياس التوافق الزواجي

م	بنود المقياس	خيارات الإجابة				
		دائماً	غالباً	أحياناً	نادراً	أبداً
.1	لديك آراء غير منصفة عن باقي أفراد الأسرة.					
.2	تمتلك الفهم الصحيح لمشكلات الأسرة.					
.3	تكره معظم أقارب الأسرة من الطرف الآخر.					
.4	تتصف بالوفاء للأسرة.					
.5	تمدح بأفراد الأسرة.					
.6	تقدّر الحياة الأسرية حق قدرها.					
.7	توافق على تنفيذ ما ترغب فيه الأسرة.					
.8	تخفف من متاعب أعضاء الأسرة.					
.9	تهتم بالأمور التي تتعلق بشؤون ورفاهية الأسرة.					
.10	تنجح في التعاون مع أعضاء الأسرة.					
.11	تحرص على تحمل مسؤوليات الزواج.					
.12	تقدّس الحياة الزوجية وتحترميها.					
.13	تشعر بأنَّ زواجك على قدر كبير من الأهمية.					
.14	تحرص على قضاء وقت الإجازة مع زوجك وأفراد أسرتك.					
.15	نظرتك للحياة متقاربة مع زوجك.					
.16	تكون ناضج في تعاملك مع كثير من المواقف.					
.17	لا تخاف من مسؤوليات الزواج.					
.18	تنسى إساءة الآخرين لك بسرعة.					
.19	تهتم بأشياء يحبُّها زوجك.					
.20	تحرص على حل المشكلات التي تحدث بينكما لا إثارتها.					
.21	تحترم أسرار زوجك الخاصة.					
.22	تشعر بالمودة المتبادلة بينك وبين زوجك.					
.23	تقدر زوجك وتحترميه.					
.24	تغمر حياتك الزوجية الحب والمودة.					
.25	تشعر بالأمان والاطمئنان في حياتك الزوجية.					
.26	تسامح زوجك إذا أخطأ في حقك.					
.27	تتحمل زوجك عندما يغضب.					
.28	لا تتغير مشاعرك – بين حب وكراهية– نحو زوجك بصورة سريعة عادة.					
.29	تلتزم بالصدق والأمانة مع زوجك حتى لو لم يعاملك بالطريقة نفسها.					

30.	تحترم مشاعر زوجك حتى لو اختلف معك في الرأي.					
31.	تحب التواصل مع معظم أصدقاء الأسرة.					
32.	تفرض مطالب مقبولة على الآخرين.					
33.	تحاول تقديم المساعدات لكثير من الأفراد.					
34.	تعرف كيف تشارك الأفراد الآخرين أو تشاطرهم أمورهم.					
35.	تحاول التودد للأفراد الآخرين.					
36.	تعامل الأفراد الآخرين أحسن من معاملتك لأفراد أسرتك.					
37.	يصعب عليك عادةً نسيان لحظاتك الجميلة مع زوجك.					
38.	تتصف بضعف القدرة وقلة الخبرة في التعامل مع الآخرين في العمل.					
39.	تتعلم كثيراً من خبرات وتجارب الآخرين.					
40.	تهتم بصورة أساسية بأن تكوني محبوبة ولك شعبية من طرف الآخرين.					
41.	تقض وقتاً طويلاً في الحفلات أو في صحية الأصدقاء.					
42.	تحرص دائماً على الاختلاط بالناس.					
43.	يسعدك المشاركة في الحفلات والمناسبات الاجتماعية.					
44.	تحترم الآخرين وتحرصين على ودهم.					
45.	يسعدك زيارة الآخرين لك.					
46.	تشعر بالوحدة في معظم الأوقات.					
47.	تفكر في الانتحار.					
48.	تهتم بنفسك بصورة أكثر من اللازم.					
49.	تجرح أحاسيسك بسهولة.					
50.	تتهكم وتحتقر الأفراد الآخرين.					
51.	تشعر بالإحباط وفتور الهمة.					
52.	تنتابك نوبات غضب، عندما لا تسير الأمور كما تشتهي.					
53.	تتصف بالعناد حتى عندما تكوني على خطأ.					
54.	تتصف بالغيرة ولا تتحكمي في نفسك.					
55.	تتصف أحكامك بالسطحية والبساطة.					
56.	لديك أفكار غريبة عن الزواج.					
57.	تغضب بسرعة لأتفه الأسباب.					
58.	يسود النكد والشجارات في حياتك الزوجية.					
59.	تتعامل بحساسية زائدة مع زوجك في أمورك الحياتية.					
60.	ينتابك شعور الإحباط واليأس عند مواجهة الضغوط الحياتية بعد الزواج.					

أنساق اللّون والعبودية في شعر عنترة بن شداد

قراءة ثقافية

الدكتور: سمران متوج

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة: اللاذقية

الملخّص:

تؤدي الألوان في الشعر الجاهلي أدواراً وظيفية حيوية في إظهار الأنساق الثقافية في مضمرات النّص الشعري، وتعين على خلق صور فنية تكشف عن أفكار الشعراء الجاهليين حيال قضايا الوجود والصراع فيه، وتوضح رؤيتهم عن هذا الصراع، ومواقفهم العميقة منه، ويقدّم شعر عنترة بن شداد نموذجاً مثالياً عن هذه الوظائف الفاعلة لأنساق اللّون في مشاهد العبودية والبطولة من أجل تشكيل نسق فردي جديد يواجه النسق الثقافي الجمعي الاستعلائي المضاد، الذي يرى السواد عاراً ينتقص من قيمة الإنسان، ويكون مدعاة لازدرائه، وهذا ما يخلق في البنية النّصبة في شعره جدلية تقوم على ثنائية ضدية بين السواد والبياض، يسعى عنترة من خلال توظيفه اللّون في مشاهد البطولة إلى كشف عيوب هذا النسق الثقافي الجمعي، وتصحيح مواقفه ومفاهيمه السالبة ضد طبقة العبيد، وصياغة رؤية متوازنة من خلال نسقه الفردي الرافض، وخلق مفهوم إنساني عادل تكون قيمة الإنسان فيه مبنية على الفعل البطولي، والأخلاق النبيلة لا على لون البشرة.

الكلمات المفتاحية:

النسق الثقافي، الثنائيات الضدية، اللّون، العبودية، البطولة.

Color and slavery patterns in the poetry of antarah ibn shaddad a cultural reading

Abstract

Color in pre-Islamic poetry play vital functional roles in revealing cultural patterns in the implications of the poetic text, and work to create artistic images that reveal the pre-Islamic peoples ideas about the conflict and their deed positions on it.

The poetry of Antarah ibn shaddad provides an ideal example of these effective functions of colour patterns in scenes of slavery and heroism in order to form a new individual system that confronts the opposing collective, supremacist system. He who sees blackness as a disgrace diminishes the value of man and despises him. This is what creates in the structure of the text in Antarahs poetry a dialectic based on an antithetical duality between blackness and whiteness. Antarah seeks, through his use of color systems in scenes of heroism, to expose the flaws of this collective cultural system and correct its negative positions and concepts against the slave class and formulate a balanced vision through the individual system that rejects and creates a just human concept in which the value of man is based on heroic action and noble morals, not on skin colour.

Key words:

Cultural system, duality, color, slavery, heroism.

المقدّمة:

تنبّه قراءة أنساق الشعر الجاهلي إلى أهمية اللّون ودوره الوظيفي الحيوي في الكشف عن مضمرات الأنساق الثقافية في النّص الشعري، فضلاً عن حلق سياقات وصور فنية، يبلور من خلالها الشاعر الجاهلي مواقفه ورؤاه وأفكاره حيال قضايا الوجود، والصراع فيه.

تقدّم تجربة عنترة بن شداد الشعرية نموذجاً واضحاً عن توظيف اللّون توظيفاً فاعلاً للإفصاح عن موقفه العميق من النسق الثقافي الجمعي الجاهلي المتعالي، والكشف عنه، وتفنيد أخطائه فيما يخص مواقفه من العبد بصفة عامة والعبد الأسود بصفة خاصة، فضلاً عن نقد هذا النسق الثقافي، وتقديم موقفه الرافض له، وصياغة مفهوم ثقافي جديد معارض لمفهوم الجماعة الجاهلية الممعن في نبذ العبد الأسود، واحتقاره، وازدرائه، والمعتد بالعرق الأبيض، وتفضيل الفرد الأبيض على الفرد الأسود مهما اتصف بالمثالب والنواقص، تتمركز وظيفة اللّون في أنساق الحرية والعبودية في أشعار عنترة على الجدلية القائمة على الثنائية الضدية بين السواد والبياض ومفهومها في الموروث الثقافي الجمعي الجاهلي، يسعى عنترة من خلال هذه الجدلية إلى فهم الواقع الثقافي الجاهلي وإظهار نقاطه السالبة وعيوبه، ونقده، وتفكيكه، ورفضه، ومن ثم إعادة صياغة واقع بديل متضمن ثقافة العدالة والنظر إلى جوهر الإنسان لا إلى الشكل واللّون.

مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه:

يحتاج شعر بن شداد إلى مزيد من الجهد الدرسي، واستقصاء المعاني القابعة في أعماق نصوصه الشعرية لاستشفاف قيم أخلاقية نبيلة تتضمنها الرسوم الفنية في أشعاره.

وتريد الدراسة من وسمها بأنساق اللّون والعبودية في شعر عنترة بن شداد قراءة ثقافية، دراسة وظائف اللّون ودوره الفاعل في قراءة أنساق الحرية والعبودية قراءة أكثر عمقاً، تكمن الجدة فيها من خلال تناول مشكلتي الحرية والعبودية من خلال دور اللّون الوظيفي لإظهار مواقف عنترة وأفكاره من الواقع الثقافي للمجتمع الجاهلي الذي يستهجن العبيد، ويحطّ من شأنهم، وينتقص من إنسانيتهم، فضلاً عن مساعي عنترة إلى خلخلة هذا الواقع الثقافي، وهدمه، وتقديم الواقع البديل.

أهداف البحث وأسئلته:

يهدف البحث إلى الكشف عن وعي عنترة بن شداد وظيفة اللّون ودوره الحيوي في صياغة رؤاه، وخلق الصور الفنية المعبّرة عن مواقفه وأفكاره ورؤيته إزاء الصراع الطبقي القائم على واقع ثقافي جاهلي مجحف ينظر إلى العبد الأسود نظرة عار.

يسعى البحث إلى استشفاف قراءة عنترة الواقع الثقافي الجاهلي، وأساليبه في نقد هذا الواقع، وتفكيكه، وإعادة صياغته ليشكّل منه موقفه الثوري الرافض، من خلال تفعيل دور اللّون في الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة في أعماق النّص الشعري.

فرضيات البحث وحدوده:

اتخذ البحث من أشعار عنترة بن شداد وعاءً فنياً، ومساحة شعرية، لتكون مجالاً للدراسة التطبيقية، وتقصي فاعلية دور اللّون الوظيفي في الكشف عن تقييم عنترة للواقع الثقافي الجاهلي، ونقده إياه فيما يتعلق بمشكلتي الحرية والعبودية في المجتمع الجاهلي، فضلاً عن تقديم واقع ثقافي جديد متخلّص من أفكار الظلم والذل والاحتقار.

منهج البحث وإجراءاته:

تعتمد هذه الدراسة منهج التحليل الثقافي لقراءة أنساق اللّون والعبودية، ولكشف مضمرات الأنساق اللّونية المتعارضة، وبصفة خاصة ثنائية السواد والبياض، وتأويل تشكيلات هذه الأنساق في البنية الشعرية العميقة، وذلك وفق دراسة نصيّة تجعل من نصوص الشعر منطلقاً لرصد أنساق الصراع الطبقي في المجتمع الجاهلي، مستندين في ذلك إلى ما يحتاجه البحث من المنهج النفسي والاجتماعي والجمالي.

مفهوم النسق، والنسق الضدي:

يعني النسق في المستوى اللغوي التَّنظيم والتَّنسيق: " نَسَّقَ الشيء: نَظَّمَهُ، ونَسّقه تَنْسيقاً، والتَّنْسيقُ: التَّنْظيمُ، وجعل الأمر مُتناسقاً ونَسْقَاً، وانْتَسق: انتظمَ وكان على نسقٍ واحد، وتَنَاسِقَتِ الأشياءُ وانْتَسَقَتِ وتَنَسَّقَتِ بعضها إلى بعض: تتابعت، ونَاسَقَ بين الشيئين: تابع بينهما ولاءَمَ، والنَّسَقُ من كل شيء، ما كان على طريقةٍ ونظامٍ واحد عام، احتواه في داخله"[1]، ويشكّل النسق ركناً أساسياً في قراء النّص قراءة ثقافية؛ إذ يطغى على تعريف النسق ثقافياً طابع التخفي أو الاستتار أو الإضمار في محاولة كشف المعاني المقصودة القابعة في داخله، وبناءً على ذلك "لا يُنظر إلى النّص من الوجهة الأدبية الجمالية من دون الإحاطة بالنقد الثقافي المتلبس بالنسق المضمر الذي يتوارى في النّص"[2]، ولا يمكن للنسق الانفصام عن واقع الإنسان من الوجهة الاجتماعية والبيئية، بما في مجتمعه من وقائع ومؤثرات وحقائق يرتبط بها الإنسان؛ إذ إن بنية النسق " تتشكّل من كل من عاداه وليس المقصود هنا بالبيئة الطبيعية وحسب، بل كل البشر من حوله، وكذلك كل الأنساق الأخرى"[3]، ولا يبدو هذا التأثر واضحاً أو ظاهراً، مما يعني وجود نسق موازٍ مضمر، يمكن تبيّنه من خلال التأويل وفهم الوظائف الدلالية في السياق النصي، واستيعاب البِنى التاريخية والثقافية والبيئية للمجتمع " حيث تتضمن النصوص في بناها أنساقاً مضمرة ومخاتلة قادرة على المراوغة والتمنع، ولا يمكن كشفها أو كسف دلالاتها النامية في المنجز الأدبي إلا بإيجاز تصور كلّي حول طبيعة البِنى الثقافية للمجتمع، وإدراك حقيقة هيمنة تلك الأنساق المؤسسة على فكرة الأيدلوجيا، ومفهوم المحتمل في صراع القوى الاجتماعية المختلفة"[4]، والنسق في بنية النص الشعري الجاهلي مضمر ظاهر، يتكشف من خلال رؤية الشاعر الجاهلي وثقافته الموروثة في مخزونه الذهني الجمعي، وهذا ما ينبّه إلى وجود المتضادات التي تتشكل في سياق نصي واحد؛ إذ إن مكونات الوجود قائمة على الانسجام والتغاير والتضاد، وهنا تكمن وظيفة النسق بوضوح، والقائمة على التعارض بين الكامن والبارز " والوظيفة النسقية لا تحدث إلا حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب، أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقصاً أو ناسخاً للظاهر، ونقيضاً

[1] ابن منظور، لسان العرب، تنسيق وتعليق: علي شيري،الطبعة الثانية، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، 1992م، مادة نسق.
[2] قاسم، نبأ، الشعر الجاهلي في ضوء الأنساق الثقافية اللامنتمي اختياراً، بغداد، الطبعة الأولى، 2019م، ص18.
[3] لومان، نيكلاس، مدخل إلى نظرية الأنساق، ترجمة يوسف فهمي حجازي، مراجعة وتدقيق: رامز ملا، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا)، الطبعة الأولى، بغداد، 2010م، ص 7.
[4] عليمات، يوسف، النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1430ه-2009م، ص11.

ومضاداً للعلني، ويكون ذلك في نص واحد أو في ما هو في حكم النص الواحد"[1]، ويعني التضاد في اللغة النقيض، فضلاً عن معاني المخالفة والتناظر والتعارض " الضِّد كلُّ شيءٍ ضادَّ شيئاً ليغلبه، والسَوادُ ضدُّ البياض، والموت ضدُّ الحياة، واللّيل ضدُّ النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك، ويقال: لَقِي القومُ أضدّادهم وأندادهُم أي أقرانهم، أبو الهيثم: يقال: ضادَّني فلان إذا خالفك، فأَرَدْتَ طولاً وأَرادَ قِصراً، وأَرَدْتَ ظُلْمَةً وأَرادَ نوراً، فهو ضِدَّكَ وضَديدُكَ"[2]، وهذا يعني أن التضاد الشيء وما يخالفه، ويُعّرف التضاد في المستوى البلاغي من خلال الجمع بين معنيين يتعارض وجودهما في سياق واحد في وقت واحد، وهذا ما يشي به معنى الطباق " أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه، في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرِّ والبرد"[3]، فلا خلاف بين معنى التضاد ومعنى الطباق، وهذا ما يؤكده تعريف الجرجاني، فقد قرنه بمعنى " المطابقة والطباق والتطبيق والتكافؤ، والتضاد هو: أن يجمع بين المتضادين، مع مراعاة التقابل، فلا يجيء باسم مع فعل، ولا بفعل مع اسم"[4] وتبرز أهمية التضاد في الصورة الفنية، والأثر الفاعل في هذا التكوين، وهذا ما لفت إليه عبد القادر الجرجاني في سياق حديثه عن أهمية التضاد في الصور الفنية " وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك ما بين المشرق والمغرب، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت بين مجموعتين، والماء والنار مجتمعين"[5]، ويحمل معنى التكافؤ ومعنى التضاد، فقد عدّه قدامة بن جعفر من نعوت المعاني " ومن نعوت المعاني التكافؤ وهو أن يصف الشاعر شيئاً، أو يذمه ويتكلم فيه، فيأتي بمعنيين متكافئين، أي متقابلين، إما من جهة المصادرة أو السلب أو الإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل"[6]، ويمكن لحظ أهمية تعريف الجرجاني للتضاد في بيان فاعليته في سياق النص الشعري، فضلاً عن تآلف طرفي الثنائية الضدية، وتكاملها،

[1] الغدامي، عبد الله، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، 2001م، ص 77.

[2] الن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة ضدد.

[3] العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين الكتاب والشعر، تحقيق: مفيد قميحة، الطبعة الأولى، لبنان، دار الكتب العلمية، 1981م، ص307.

[4] الجرجاني، كتاب التعريفات، الطبعة الثالثة، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م، ص 61.

[5] الجرجاني، أسرار البلاغة، طبعة أولى، مصر، مطبعة المدني، 1991م، ص 32.

[6] ابن جعفر، قدامة، نتقد الشعر، تحقيق وتعليق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 147-148.

وهذا ما يتيح التنبه إلى أهمية الثنائيات الضدية وأثرهما في نفس مستخدمها، وفي بنية النص الشعري جمالياً، وما تتيحه من دلالات ورموز في النص.

تقوم الثنائية الضدية على تركيب لغوي متقاطع اللفظ والمعنى، متباين، بارز في السياق أو النسق ومضمر، ينشأ من تباين هذا التركيب اللغوي إبداع وجمال شعريين، ويكشف التمعن في مصطلح الثنائية الضدية الرابط القائم بين الأشياء المنفصلة والتآلف بينها، وهذا ما يتيح للذات الشاعرة المقدرة على إبداء المشاعر والأحاسيس المتضادة في أنساق ظاهرة ومضمرة.

السواد والبياض من منظور الثقافة الطبقية في المجتمع الجاهلي:

إنّ الحديث عن قضية تتخذ صبغة اجتماعية سائدة لدى الجماعة الجاهلية يتطلب بحث جذورها الاعتقادية والاجتماعية والنفسية؛ إذ إنّ قضية الوقوف من سواد البشرة موقفاً سلبياً تبديه هذه الجماعة، يستند إلى جملة من المستويات الأسطورية والاجتماعية والمعرفية الثقافية، أفرزت هذا الموقف المعادي للون الأسود، الذي تجلّى في النفور منه واستقباحه، بوصفه لوناً لبشرة جماعة إنسانية، وقد يمكّن اللّون الأبيض من تحقيق الوثبة الأولى في ولوج عالم اللّون الأسود في المفهوم الطبقي الاجتماعي الجاهلي، ليس لأنه نقيض السواد فحسب، بل لأنه اللّون المفضّل لدى العرب الجاهليين أيضاً؛ إذ شكّل مستودعاً يختزن إعجابهم وتفضيلهم لكل صفة، معنوية كانت أم مادية " فقد كان العرب يبغضون اللّون الأسود بقدر ما يحبون اللّون الأبيض، وقد وصفوا كل شيء ممدوح عندهم مادياً كان أم معنوياً بالبياض"[1]، لم يأتِ تفضيلهم للّون الأبيض من فراغ، فقد ارتبط لديهم بجملة من الدلالات والرموز من مثل نقاء العرض من الدنس ومن العيوب[2]، فضلاً عن ارتباطه بالمشاعر والانفعالات السّارة؛ فالأبيض " يرمز إلى الاحتفال والسرور"[3]،، ومن دلالاته الرفعة والسمو، وهذا ما يفسر إقبال المنعمين من سادات العرب على اللّون الأبيض، فقد كان" البياض لون المنعمين السادة من العرب"[4].

[1] خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1959م، ص 108.
[2] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة بيض.
[3] دملخي، إبراهيم، الألوان نظرياً وعملياً دراسة فيزيائية نفسية للألوان، جامعة دمشق، منشورات جامعة دمشق، مطبعة الداودي، 1420-1421ه، 1999-2000م، ص 85.
[4] شلق، علي، العقل في التراث الجمالي عند العرب، دار المدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1985م، ص 45.

إنّ ارتباط اللّون الأسود، وفق ثقافة الجاهليين، بدلالات ورموز ضدية لما ذكرناه عن اللّون الأبيض، جعل منه لوناً يبعث النفور، والإحساس بالكره والحزن والهموم، في الكثير الغالب، وبالخوف والموت والقلق، وقد نتفهم الموقف السلبي إزاء السواد من خلال الركون إلى مظاهر الطبيعة والكون، التي تتحكم في كثير من الأحيان بالنوازع الانفعالية، فالإنسان بطبعه ينساق وراء ما تبعثه رهبة الظلمة والليل من خوف وقلق وتشاؤم، وإحساس بولوج المجهولية والخطر، وقد حاول الدكتور محمد النويهي تفسير تفضيل العرب اللّون الأبيض، وكرههم اللّون الأسود ونفورهم منه، بالعودة إلى ما تنتهي إليه انفعالات الإنسان الذي يواجه الضياء والظلمة في قوله:" ولعل أصل النزعة شبه العالمية إلى تقدير البياض هو خشية الإنسان البدائي من ظلمة الليل، وما تخفيه من أخطار حقيقية كالوحوش المؤذية، والعثرات المردية، والأعداء المتخفين، أو متوهمة كالأرواح الشريرة، والآلهة الغاضبة، وشعور بمزيد من الطمأنينة في النهار المنير"[1]، ويمكن عدّ ارتباط اللّون الأسود بالليل بما يثيره من هواجس ومخاوف وظنون وقلق من أسباب موقف العرب الجاهليين من هذا اللّون، فاللّون الأسود من الألوان التي تولد في نفس العربي مشاعر الحزن والهم والسوداوية، ما دفع العرب إلى عدّه ضمن الألوان التي " تولّد الأخلاط السوداوية، وما يحدث عنها من الفِكر الردية والهموم المؤذية والأحزان الملازمة"[2]، ويحتم أخذ ما اكتنزته الثقافات الأولى المحيطة بالعرب الجاهليين بالحسبان، وهذا ما يعين على استشفاف الأسباب التي جعلت اللّون الأسود مثقلاً بالرهبة والخوف والإحساس بالموت، وهذه ما أدى _بدوره_ إلى تشكيل موروث جمعي ثابت أطل برأسه في الصورة الشعرية الجاهلية بين الفينة والأخرى.

قدّمت الأساطير لون السواد، بوصفه قرين الموت والفناء والزوال إلى طبقات الأرض السفلى، ومن طبقة الذاقورات، وبعضها مساكن الجِنّ، فقد كان السواد رمزاً في الأساطير إلى لون زحل، وكان يمثّل اليوم الأخير من الأسبوع البابلي (السبت)[3]، وعندما نتوقف مع معاني زحل في العقلية

[1] النويهي، محمد، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، ج2/ ص 622.
[2] العلي، أحمد صالح، ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية الأولى، مجلة المجمع العلمي العراقي، عام 1975م، المجلد 26، ص 87.
[3] ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، الطبعة الثالثة، 1961م، المجلد الأول، ج2/ ص 247، وينظر موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، محمد عجينة، الناشر العربية محمد علي الحافي للنشر والتوزيع، تونس، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994م، ج2/ ص 200.

العربية نجد ارتباطاً وثيقاً بيت كوكب زحل، والكوارث والشدائد؛ إذ تدل رؤيته في المنام على القهر، والظلم، والفقد، والتعرض للأهوال والمصائب[1].

ويبرز ارتباط اللّون الأسود لدى العرب بكل ما يسبب الخوف والهلع في قلوبهم من جِنٍّ وشياطين وحيات، وغربان، وذئاب؛ فالسواد قرين عالم الجن، ويأتي خوفهم من الجِنّة لأنها تختار الأمكنة الموحشة المقفرة في الظلام، ويمكن استقصاء موقف الجاهليين من اللّون الأسود، بوصفه لوناً يبعث النفور والتشاؤم، في ارتباطات جماعية تسود أذهان الجاهليين ومواقفهم، من خلال صورة الغراب الذي اختصر في رمزيته ولونه أفكار الشؤم والفِراق والموت والغدر والقباحة والنفور، بدليل الغنى اللغوي الذي تحفل به المعاجم اللغوية العربية بالألفاظ اللّونية التي تستوعب تدرجات السواد، أو توزعها على جسده، فضلاً عن توفير لفظة الغراب كثير من الاشتقاقات اللفظية من مثل: الغريب، والغُرابِي، والغُدّاف، والغُدَافِي[2]، وقد أُطلق على الغراب الأسود حاتم لأنه يختم بالفراق[3]، ويكشف الغراب في الذهنية الجاهلية وأساطير الشعوب السامية عن ارتباط السواد باللعنة، وبالتشاؤم والغدر؛ إذ يظهر الغراب في المرويات تاركاً المهمة الموكلة إليه، ليشغل عنها بأكل جيفة صادفها في طريقه، في أثناء بحثه عن اليابسة، وهنا حلّت عليه لعنة نوح، وهذا ما تسبب في تغير لون ريشه إلى اللّون الأسود[4]، وترفد الأمثال العربية الأدلة على تشاؤم العرب من الغراب والنفور منه، فَلُقّبَ بغراب البين، لأنه ينذر بالفراق بين الناس حتى صار رمزاً للشؤم، ولا سيما صوته[5] ، وقيل فيه أشأم من غراب البين[6]، ويقال أيضاً في أمثال العرب(أفسق من غراب)[7]، فضلاً عن قولهم " أخدع من غراب"[8]، يشكّل ارتباط صورة الغراب بهذه المعاني في جذورها المثيولوجية والذهنية الجاهلية، قرينة لمعاني الغدر والغربة والموت والخيانة والتشاؤم والكراهية، ويقترن الغراب بالزنج من الناس _ لدى العرب قديماً_ ليس بسبب اللّون وحسب، بل بسبب الصفات النفسية المشتركة بين الغراب والإنسان الأسود

[1] النابلسي، الشيخ عبد الغني، تعطير الأنام في تغبير المنام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، صج1/ ص 261.
[2] إبراهيم، عبد الحميد، قاموس الألوان عند العرب، الهيئة المصرية للكتاب، 1989م، ص 182.
[3] عجينة، محمد، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، مرجع سابق، ج1/ ص 324.
[4] عبد الحكيم، شوقي، الفولكلور والأساطير العربية، دار ابن خلدون، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م، ص160.
[5] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1416ه-1996م، ج3/ ص 316.
[6] الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ج1/ ص384.
[7] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة غرب.
[8] المصدر السابق نفسه، مادة غرب.

أيضاً، وفق تصوراتهم، لتصل الصورتان إلى حدّ التماهي (الغراب والعبد)، في الصعيدين الشكلي والمضموني، وهذا ما بدا جلياً في حديث الجاحظ عن الغراب؛ إذ تتماهى في حديثه وتتحد _ في الآن نفسه_ صورة الغراب والزنج من الناس، مما يكشف سبباً من أسباب موقف الجاهليين من العبيد يقول: " وهو مع ذلك يكون حالك السواد شديد الاحتراق، ويكون مثله من الناس الزنج، فإنهم شرار الناس، وأردأ الخلق تركيباً ومزاجاً لا كمن بردت بلاده فلم تطبخه الأرحام أو سخنت فأحرقته الأرحام، وإنما صارت عقول أهل بابل وإقليمها فوق العقول وجمالهم فوق الجمال لعلة الاعتدال[1]، ومن هنا نستطيع تفسير إطلاق تسمية الأغربة على الشعراء السود تشبيهاً لهم بذلك الطائر البغيض المشؤوم في لونه الأسود، وقد جاء في لسان العرب : وأغربة العرب: سودانهم شُبّهوا بالأغربة في لونهم"[2]، وتتضح رؤية موقف العرب الجاهليين من مشكلة السواد في العنصر البشري من خلال التنبه إلى التشكيل الاجتماعي الطبقي لديهم، فضلاً عن أعرافهم الاجتماعية، وقضايا التعصب القبلي، ورابطة الدم، والبناء الطبقي الاجتماعي؛ إذ نجد طبقة العبيد، وطبقة الهجناء، وطبقة السادات، ويدخل ذلك كله في بناء موقف الجاهليين من العرق الأسود، يحتم النظام القبلي الذي يقوم عليه المجتمع الجاهلي عدداً من القيم والمفاهيم التي تحدد سلوك الفرد الجاهلي وتوجهاته، منها اعتماد رابطة الدم، وهذا ما جعل القبيلة البعد الإنساني الوحيد الذي يقوّم من خلاله الإنسان الجاهلي الوجود[3]، فغدت مسألة الدم معقدة في المفهوم الجاهلي، تتطلب بذل الروح في سبيلها، والتفاني في صونها، وهذا ما ولّد التعصب ورفض العناصر الغريبة الوافدة من الخارج، ونقصد أولاد الإماء السود؛ إذ اصطلح على تسميتهم بالأغربة، وهذا يؤكد أن العصر الجاهلي عرف العبودية؛ إذ إن هذا النظام " لم يكن غريباً عن هذه المنطقة من العالم"[4]، أي أن المجتمع الجاهلي عرف ظاهرة المتاجرة بالعبيد، واستقدامهم للعمل في كنف السادة في هذا المجتمع، فأصبحت نظرة المجتمع الجاهلي إلى العبيد نظرة دونية " العبودية لدى العرب الجاهليين مرادف للعار والخسة من أي مصدر أتت"[5]، ونجد في تسمية الابن الناتج من تزوج السيد العربي من أَمَةٍ بالهجين، وعدم نسبه إليهم جزءاً من هذا التعصب الدموي "لأن دماءهم

[1] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، مصدر سابق، ج2/ ص 314.
[2] ابن منظور، مصدر سابق، مادة غرب.
[3] الخليل، محمود، ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، 1989م، ص 32.
[4] مروة، حسن، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي، بيروت، الطبعة السابعة، 1991م، ج1/ ص 300.
[5] تيزيني، طيب، علم الكلام والفلسفة العربية، مطابع مؤسسة الوحدة، جامعة دمشق، 1401-1402ه- 1981-1982م، ص 23.

ليست عربية خالصة، وإنما خالطها دماء أجنبية سوداء لا تصل في نقائها إلى نقاء الدم العربي"[1]، وقد حظي الهجناء من أولاد الإماء السود بأحط منزلة "فقد كانوا سبة يعير بها آباؤهم"[2]، وهذا ما يتضح في ملامح العلاقة بين الأغربة والمجتمع الجاهلي؛ إذ اتسمت بالذل والقهر والاحتقار والهوان، والضعة، عبّرت هذه العلاقة عن قيم المجتمع الجاهلي ومستوياته الاجتماعية والمعرفية الإنسانية.

-أنساق اللّون والعبودية، ودورها الوظيفي في شعر عنترة:

يكشف تتبع النماذج اللّونية في شعر عنترة بن شداد في مشاهد العبودية حضور الألوان: الأحمر والأسود والأبيض بصفة غالبة، تؤدي دوراً وظيفياً حيوياً في إظهار الأنساق الثقافية في أطواء النص الشعري، وتبني صوراً فنية تُبين عن رؤاه للوجود الذي يحوطه، وعن مواقفه من الواقع الاجتماعي بمثالبه وحسناته في تشكيلات فنية تمنح الألوان حيوية تعبر عن هذه الرؤى والمواقف "حين نستقصي الصور التي يرسمها عنترة في توظيفه للّون نرى أنّ تشكيلاتها اللّونية الجميلة تدخل في لوحاته وتحيلها إلى لوحة نابضة بالحياة، ومفعمة بالمعاني التقليدية والفنية المتميزة عبر متابعة الإيحاء بالمعاني والإفادة من الصيغ التراثية"[3]؛ إذ نلحظ في تجربة عنترة حضور اللّون الأحمر في سياق أحاديث فخره ببطولاته التي حمت قومه من الفناء تتمثل بالدم في صور فنية تشي بالشجاعة المتفوقة في التغلب على أعداء قبيلته، ويحضر اللّون الأسود، واللّون الأبيض ليشكّلا ثنائية ضدية في شعره، أضمرت كماً كبيراً من الرؤى والأفكار والمواقف والمشاعر حيال مجتمعه "أما الأحمر فغلب عليه لون الدم يليه لون النار، هذا يَدّل على نقمة الشاعر على القوم الذين عاش وسطهم، وميله إلى الردّ القتالي؛ وهو معتد بنفسه يعالج الأمور بالسيف، وأما الأبيض فقد كان مقابل الأسود ونقيضه، وهما اللونان اللذان أججا مشاعره، وجعلاه ناقماً على هذا المجتمع"[4]، وهما اللونان اللذان شكّلا جدلية في شعره قدّم فيها مفهومه للواقع الاجتماعي في قبيلته، وضمّنها حلولاً تهدم كثيراً من ركائز هذا المجتمع الطبقي، فقد سعى "في ضوء هذه الجدلية إلى قراءة الواقع الثقافي وتفكيكه وإعادة كتابته ليصنع منه

[1] خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص 107.
[2] المرجع نفسه، ص 56.
[3] جواد، عبد الجبار، توظيف اللّون في شعر عنترة بن شداد، جامعة الأنبار، مجلة الأستاذ، العدد 64، المجلد الأول، لسنة 2015م- 1436ه، ص 68
[4] أبو عون، أمل محمود عبد القادر، اللّون وأبعاده في الشعر الجاهلي المعلقات نموذجاً، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م- 1340ه، ص 188.

في النهاية موقف الثورة والرفض"[1]، شكّلت العبودية بسبب لونه الأسود عبئاً شعورياً تمثل بالإحساس بالظلم والقهر في ذاته، لم ترتقِ إلى أن تصبح عقدة نفسية في نفسه، بل حفزته إلى نيل الحرية من خلال الفروسية والقوة بدليل إقراره الظاهري بعبوديته، غير أنها عبودية مقرونة بأفعال البطولة والإقدام، وهذا يبيّن محاولته خلخلة قيم المجتمع الجاهلي الجاحد حق العبد، يقول مقراً بهجنته بما تمثله من استهجان الجماعة الجاهلية ورفضها مبيناً أنّ ما ترفضه الجماعة وتستهجنه لنوازع طبقية يحمل في أطوائه أفعالاً بطولية ترتقي إلى حدّ التضحية في الذود عن هذه الجماعة:[2]

أَنا الـهَجينُ عنترهْ كُلُّ امرئٍ، يحمي حِرهْ

أَسـودهْ وأحمـرهْ والـشَّـعَراتِ الـمُشْعَرَهْ

الـوارِداتِ مـِشْـعَرَهْ

يقدّم عنترة نفسه من خلال تحديد اجتماعي جاهلي يصنّفه في الدرك الأسفل إنسانياً، وفق التقسيم الطبقي الجاهلي (أَنا الهّجينُ)، يحضر في لفظة الهجين كثير من معاني العبودية والضعة المضمرة فيها مثل (أنا الأسود، أنا العبد، أنا الوضيع، أنا ابن السوداء . . .)، وكلها صور يأنف منها المجتمع الجاهلي، وينفر منها، يقابل نسق العبودية واللّون الأسود أفعال تشكّل في ثقافة المجتمع الجاهلي قيماً أخلاقية سامية، وهي الذود عن القبيلة وأبنائها كافة، وبصفة خاصة النساء (كُلُّ امرئٍ، يحمي حِرهْ، أسودهْ وأحمرهْ والشَّعَراتِ المُشْعِرهْ، والوارِداتِ مِشْعَرَهْ)، ويصل عنترة في هذه الأفعال النبيلة حدَّ الإيثار، ويقدّم حماية أبناء قومه ونسائهم على حماية نفسه، وهي محاولة واضحة منه لشدّ المجتمع الجاهلي إلى رؤية الحقيقة وإعادة النظر في ربطه العبد بالمثالب والصفات السيئة، فقد أضمر نسق البطولة نقداً موجعاً لقيم هذا المجتمع الممعن في تمييزه الطبقي، والتعامي عن الحقائق الإنسانية متسبباً في مشاعر القهر والمهانة والإذلال في نفوس العبيد، وأضمر النسق (أَسودهْ وأحمرهْ) فكرة غياب المساواة من المجتمع الجاهلي، وانتفاء العدالة الاجتماعية منه؛ لذا أراد أن يحققها في

[1] عليمات، يوسف، جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م ص 256.

[2] ديوانه، تحقيق: محمد سعيد مولوي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثانية، 1983م، ص 329- 330. قوله:" أسوده وأحمره" أراد أن كل امرئ يحمي أهله من النساء، ويقيهم بنفسه من الأعداء، أبيضاً كُنَّ أم سوداً، وكنى بالأحمر عن العجم، والأسود على غيرهم، والشعرات المشعرة: وأراد بها القبيل والوجه، فقدّم حماية النساء على حماية نفسه.

أنساق نصه، فكانت الحماية والحياة حقاً للجميع، الأسود والأبيض من الناس، وهذا ما بدا جلياً فيما أضمرته الأنساق الثقافية القابعة في هذا النص، "يتأثر النسق بما حوله من دون الإفصاح أو الإبانة عنه، إذ ينطوي تحته نسق ثقافي مضمر، وهو بذلك يُكتشف عبر وظيفة الدلالة النسقية"[1]، ويفاخر عنترة في نص آخر بهجنته وسواده معارضاً مواقف الجماعة الإنسانية الجاهلية منهما، محاولاً إثبات حقه بالتقدير والمساواة من خلال ما تشي به أنساق الهجنة والبطولة، يقول:[2]

إِنِّي أَنَا عنترةُ الهجينْ فجُّ الأنانِ قَدْ عَلا الأَنِينْ

تُظهر قراءة نسق السواد في هذا البيت قبوله من عنترة وتصالحه مع ذاته في سياق فخره بهجنته (إِنِّي أنا عنترةُ الهجينْ)، يقيم عنترة علاقة وشيجة بين الهجنة والقوة، ويعيد توجبه السلاح الذي تشهره في وجهه الجماعة الجاهلية (السواد) إلى وجهها من خلال صورة بطولته التي تسحق أعداء هذه الجماعة وتحميها، وهذا ما يجعل من صورة الهجين متكشفة بقيمتها السامية، وفضائلها على أبناء الجماعة، فقد أضمر نسقا الهجنة والبطولة، هنا، تعرية المجتمع الجاهلي، وكشفا عن هشاشته وتبجحه، وأظهرا بوضوح عيوبه ونواقصه.

ونقع على تركيب شعري يكرره عنترة في غير موضع من أشعاره، ويكشف عن تباهيه بعبوديته وتفاخره بها، ويقدّم من خلاله نسقاً فردياً يشكّل رؤية تغالط النسق الجمعي المناوئ للسواد وللعبودية (أنا العَبْدُ الذي خُبِّرتَ عَنْهُ)؛ إذ يتجلى هذا العبد في أفعال بطولية تمنع الذل والفناء عن أبناء قومه، وهي دعوة صريحة من عنترة إلى تبني فكر جديد يقوم على جعل قيمة الفعل معياراً لتقييم الإنسان، وإسقاط الشكل واللّون من هذا التقييم، يقول:[3]

أَنَـا الـعَبْدُ الـذِي خُبِّرْتَ عَنْـهُ يُلَاقِي فِـي الـكَرِيهَةِ أَلْفَ حُرِّ

خُلِقْتُ مِنَ الحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبَاً، فَكَيْفَ أَخَافُ مِنْ بِيضٍ وسُمْرِ

[1] باسم، نبأ، الشعر الجاهلي في ضوء الأنساق الثقافية االلامنتمي اختياراً، مرجع سابق، ص 18.
[2] ديوانه، تحقيق: محمد سعيد مولوي، مصدر سابق، ص 326، فج الأنان: موضع الموقعة، سمي بذلك لكثرة الجرحى فيه.
[3] شرح ديوانه، الخطيب التبريزي، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1412ه-1992م، ص 86. السِّماك: ما سمك به الشيء، أي رُفع، ويُنظر في المصدر نفسه، ص 90، و ص 188.

وَأَبْطِشُ بالكَمِيِّ وَلَا أُبَالِي، وأَعْلُو لِلسِّماكِ بِكُلِّ فَخْرِ

يظهر في النص نسقان متعارضان (العبد، الحرّ)، يستند نسق الحرّ إلى نظام اجتماعي تحميه سلطة القبيلة، وتعلي من شأنه، وتستعلي على العبد وتحطّ من قدره، يمثل نسق العبد صوتاً فردياً، ويمثل نسق الحرّ نسقاً جماعياً متعالياً مضاداً، يواجهه عنترة (أَنَا العَبْدُ)، بقيم بطولية تبيّن تفوقه على نسق الحرّ الجماعي؛ إذ يواجه في ساحة القتال الأبطال المنتمين إلى طبقة الأحرار، وفق مفهوم النسق الثقافي الجمعي (يُلَاقِي فِي الكَرِيهَةِ أَلْفَ حُرِّ)، مثبتاً تفوقه في مجال الفروسية الذي يعلي من شأوه النسق الجمعي الجاهلي، ويضع الفارس في مكانة سامقة لا تُدانى، وهذا ما يفسر إسهاب عنترة في وصف ما يفعله في المعركة من قتال وقتل "إن سيطرة فكرة القتل في لغة الشاعر تُعدّ تطهيراً للمدنس (لون الشاعر العبد) في رؤية النسق الجمعي، ولذلك فإننا نرى الفرد (العبد) يصنع مالا يصنعه الأحرار من الأبطال في الحرب"[1]، يخترق عنترة النسق الجمعي من خلال مفاهيم هذا النسق، مسهباً في حديثه عن بطولته في القتال، فقد خُلق من الحديد الصلب، وامتلك قلباً شجاعاً لا يهاب السيوف والرماح (فَكَيْفَ أَخَافُ مِنْ بِيضٍ وسُمْرِ)، يتمظهر اللّون الأبيض في نسقين (أَلْفَ حُرِّ، بِيضٍ) متضاداً مع نسق السواد (أَنَا العَبْدُ)، يضمر لون البياض معاني القوة والغلبة لارتباطه بالأبطال الخصوم، وبالسيوف، غير أنّ هذه المعاني تتحول إلى ضعف وانكسار وهزيمة أمام شجاعة عنترة، مما يخلق ثنائيات ضدية تتكشف معانيها من الاستخدام اللّوني (السواد والبياض، القوة والضعف، الشجاعة والجبن، الانتصار والهزيمة)، يغلب السواد فيها البياض، ويستحوذ عليه، وهذا ما تؤكده الصور الفنية التي ترسم أفعال بطولة عنترة المتفوقة في أرض المعركة (أَنَا العَبْدُ يُلَاقِي فِي الكَرِيهَةِ أَلْفَ حُرِّ، خُلْتُ مِنْ الحَدِيدِ، فَكَيفَ أَخَافُ مِنْ بِيضٍ وسُمْرِ، وأَبْطِشُ الكمِيِّ وَلَا أُبَالِي)، ويحقق عنترة مجده الفردي، وسؤدده ورفعته مستعلياً على استعلائية النسق الجمعي الجاهلي (وَأَعْلُو لِلسِّماكِ بِكُلِّ فَخْرِ) متباهياً ومفاخراً بإنجازاته البطولية، فبدا النسق الجمعي الجاهلي هامشاً أمام مركزية فروسية عنترة المنتصرة، مثقلاً بمفاهيمه الخاطئة، ومواقفه السالبة الظالمة إزاء العبد المتمتع بصفات بطولية لا نظير لها، وهذا ما يكشف سلبية النسق الجمعي المضاد، ويُظهر مواطن ضعفه

[1] عليمات، يوسف، جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص 78.

وعجزه، وهذا –بدوره– سيؤثر في استمرارية نظمه الخاطئة، ويؤدي إلى تغيير رؤاه ومواقفه الاستعلائية، وفرض معايير جديدة على تقييم قيمة الإنسان.

يستند عنترة في صراعه من أجل إثبات وجوده الإنساني بوصفه إنساناً حراً في مجتمع لا يقرّ بحقه في الحرية إلى الفروسية والقوة، فكانت ثنائية (الحرية والعبودية) محرّك حياته ووجوده، وكانت البطولة الفذّة محور حركة عنترة الساعية إلى التحرر من نير العبودية بمفهومها الجماعي، وتغيير نهج الجماعة الجاهلية الطبقي، وهدم بنيان منظومته الاجتماعية الظالمة، وإحلال قيم أخلاقية مكانها تتصف بالعدالة والمساواة، وهذا ما يفسر نقد عنترة المتواصل لمواقف النسق الثقافي الجماعي الجاهلي في شعره " فعبودية عنترة كانت أهم عامل من عوامل شعره، وأهم أساس يمكن الاستناد إليه، فشعره كان رد فعل معاكس لقضية العبودية"[1].

يوظف عنترة اللّون في مشاهد البطولة، بوصفه وسيلة فنية فاعلة في تأكيد تفوقه وتفرده في ميدان الفروسية، وإظهار فضله في حفظ وجود القبيلة، مما أتاح الخروج عن النسق الجماعي للشاعر المتحدث بصوت القبيلة (الجماعة) وتكوين نسق صوت الفرد، وهذا ما يمثل ملمحاً من ملامح هدم نسق الذوبان في الجماعة، ورفض غياب الصوت الفردي "إنّ عقدة اللّون كانت سبباً مباشراً في تحول القصيدة العربية من ضمير الجمع إلى ضمير المفرد، وكانت أيضاً سبباً في ظهور ذاتية الشاعر، ومحاولة اقترابه من نفسه، ومحاولة تأسيس عدد من التحولات لتجلي صوت الروح لديه"[2]، يقابل عنترة فوقية نسق المجتمع الجاهلي حيال العبد الأسود، بنسق البطل المتفرد في شجاعته وفروسيته في المعارك التي تدفع الذل والعار عن قبيلته المتعالية عليه وعلى العبيد، وتشكّل مجموعة من الألوان مرتكزاً فنياً يجسد من خلاله عنترة أفعاله البطولية المتفوقة في سعيه إلى تقويض أركان البناء المجتمعي الطبقي الجاهلي؛ إذ عاود عنترة اللّون الأحمر في صورة الدم المهراق على أرض المعركة ليظهر تفوقه البطولي من خلال رسم صورة الخصوم الأبطال الصرعى، وصور تضرّج السيف والرمح بدمائهم في مشاهد حربية بطولية، ويمكن لحظ كثرة ورود لون الحمرة الدموية بألفاظ عديدة في سياق دفع عنترة فكرة تقييم العبد من المجتمع الجاهلي استناداً لإلى سواد لونه، مما يفسر

[1] قادرة، غيثاء، بؤرة التأويل بين النسق والدلالة في الشعر الجاهلي، دار سويد للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، سوريا، 2021م، ص 292.

[2] بدوي، عبده، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، المكتبة العربية، جمهورية مصر العربية، وزارة الثقافة والإعلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص 284.

سعة انتشار اللّونين الأحمر والأسود في شعره وكثافة حضورهما في مجرى أدائه الشعري[1]، ففي نص شعري يصور عنترة أفعاله البطولية مفاخراً بقوته الغالبة، ليبث موقفه من نهج المجتمع الجاهلي الخاطئ في رؤيته للعبد، مبلوراً رؤية جديدة تُفنّد سوء نظرة النُظم الاجتماعية الجاهلية، يقول:[2]

إِذَا لَـمْ أُرَوِّ صَارِمِي مِنْ دَمِ الـعِدى، وَيُصْبِحُ إِفْرِنْدِهِ الدَّمَ يَقْطُرُ

فَلَا كُحِلَتْ أَجْفَانُ عَيْنَيَ بِالكَرَى، وَلَا جَاءَنِي مِنْ طَيْفِ عَبْلَةَ مُخبرُ

أَنَا المَوْتُ إِلَّا أَنَّنِي غَيْرُ صَابِرٍ عَلَى أَنْفُسِ الأَبْطَالِ والمَوتُ يَصْبِرُ

أَنَا الأَسَدُ الحَامِي حِمَى مَنْ يَلُوذُ بِي وَفِعْلِي لَهُ وَصْفٌ إِلى الدَّهْرِ يُذْكَرُ

إِذَا مَا لَقِيتُ المَوْتَ عَمّمْتُ رَأسَهُ بِسَيْفٍ عَلَى شُرْبِ الدِّما يَتَجَوْهَرُ

سَوَادِي بَيَاضٌ حِينَ تَبْدُو شَمَائِلِي وَفِعْلِي على الأَنْسَابِ يَزْهُو وَيَفْخَرُ

أَلَا فَلْيَعِشْ جَارِي عَزِيزاً، وَيَنْثَنِي عَدُوِّي ذَلِيلاً نَادِماً يَتَحَسَّرُ

هَزَمْتُ تَمِيماً ثُمَّ جَنْدَلْتُ كَبْشَهُمْ وَعُدْتُ وَسَيْفِي مِنْ دَمِ القَومِ أَحْمَرُ

بَنِي عَبْسَ ! سُودُوا في القَبَائِلِ وافْخَرُوا بِعَبْدٍ لَهُ فَوقَ السَّمَاكَيْنِ مِنْبَرُ

إِذَا مَا مُنَادِى الحَيِّ نَادَى أُجَبْتُهُ وَحَيْلُ المَنَايا بالجَمَاجِمِ تَعْثُرُ

سَلِ المَشْرَفِيِّ الهِنْدوَانَيَّ فِي يَدِي يُخَبِّرْكَ عَنِّي أَنَّنِي أنا عَنْتَرُ

تتمحور البنية الفنية في هذا النص حول عدد من الثنائيات منها الفرد (عنترة)، والممدوح (القبيلة)، الحياة والموت، البياض والسواد، النصر والهزيمة، العبودية والحرية، القوة والضعف، تتماهى هذه الثنائيات في ثنائية واحدة (السواد والبياض)؛ إذ إنَّ عنترة المُقرّ بعبوديته وسواده (سَوَادِي بَيَاضٌ،

[1] جواد، عبد الجبار، توظيف اللّون في شعر عنترة بن شداد، مرجع سابق، ص 67.

[2] شرح ديوانه، الخطيب التبريزي، مصدر سابق، ص 79-80. الصارم من السيوف: القاطع. الإفرند: جوهر السيف ووشيه. يلوذ بي: يحتمي بي. الشمائل: جمع شميلة، وهي الطبع. الكبش: هنا القائد أو السيد. المشرفي: السيوف المنسوبة إلى المشارف، وهي قرية في العراق واليمن والشام. الهندواني: المنسوب إلى الهند.

وافْخَرُوا بِعَبْدٍ)، يوجه العقل الجاهلي إلى قراءة الحقائق التي عرّاها، وأماط اللّثام عنها مجردة، ومتكشفة، وعزلها عن مفاهيم النسق الجمعي الجاهلي إزاء العبد بهدف تغييرها.

تستند تقانة النص الفنية إلى اللّون، وتوظفه توظيفاً فنياً معبّراً عن أنساق ثقافية مضمرة في أغوار النص، من إحساس بخسف المجتمع الجاهلي وظلمه للعبد، وشعور بالقوة القادرة على إثبات إنسانية العبد وسمو مكانته استناداً إلى أفعاله النبيلة، وبطولته المتفردة، وخلائقه المحمودة؛ إذ يبدو عنترة العبد بطلاً يهرق دماء الأعداء، فتُصَبّغ حمرتها سيفه القاطع، وتسبغ جواهره وزخرفه في إشارة إلى تفوق هذه البطولة (إذا لَمْ أُرَوِّ صَارِمِي مِنْ دَمِ العِدَى، وَيُصْبِحُ إِفْرَنْدَهِ الدَّمُ يُقْطَرُ، بِسَيْفٍ عَلَى شُرْب الدِّما يَتَجَوْهَرُ، وَسَيْفِي مِنْ دَمِ القَوْمِ أَحْمَرُ)، يشي تكرار الحمرة بفروسية عنترة وإقدامه، وبقدرة فائقة على سحق أعداء قومه، ويرسم بدقة ماهية فعل البطولة والشجاعة الحائزة على فوز متجدد، فقد صورت حمرة الدماء بطولة متفردة متفوقة فذّة، ارتسمت من خلال صورة حسية على السيف، استمدت حيويتها من أفعال حركية تجلت في إرواء سيفه من دم العِدى، وإفرنده الذي يقطر من دمهم، وسيفه الريان المشرق من كثرة شرب دماء قتلاه من الأبطال والأقوام المعادين.

تمكّن اللّون في هذا النص من خلق صور فنية أفصحت عن أفكار مكنونة في أعماق النفس الشاعرة، فقد أتاحت صور الحمرة الدموية إمكانية بناء كيان بطولي يستطيع عنترة من خلاله هدم منظومة النسق الجماعي الجاهلي إزاء العبد؛ إذ مكّنت غزارة الدّم وهراقته المتواصلة من إظهار التفوق البطولي لدى عنترة، وكمّ الشجاعة المقدامة الفائق في نفسه، فغدا الموت الذي يحلُّ في أنفس الأبطال، والأسد بكل ما ترتبط به صورة الأسد في النسق الثقافي الجماعي الجاهلي من شجاعة وقوة غالبة، ففضلاً عن هذا المفهوم الثقافي للأسد يضيف عنترة مفهوماً جديداً إليه يتجلى في حماية حمى من يحتمي به، يتعمق دور اللّون الوظيفي في هذا النص من خلال ثنائية السواد والبياض الضدية، والجدلية القائمة عليها، فنكون أمام طرفين نقيضين (السواد والعبودية، والبياض والحرية)، بين طرفين متضادين العبد الأسود والمجتمع الرافض المناهض للعبد، يقرن عنترة البياض بصفاته السامية وأفعاله الكريمة، وخلائقه النبيلة، التي تعلو على من يُعيّره به مجتمعه من ضعة النسب وعبودية (سَوَادِي بَيَاضٌ حِينَ تَبْدُو شَمَائِلِي وَفِعْلِي)، يضمر هذا النسق إشارة واضحة إلى مفهوم المجتمع الجاهلي الخاطئ إزاء العبد وتقييمه قيمة الإنسان، وانسياقه المجحف وراء التفاخر بالنسب،

والاعتداد به (وفِعْلِي على الأَنْسَابِ يَزْهُو وَيَفْخَرُ)، ويضمن هذه الإشارة نقداً عميقاً لقيم هذا المجتمع، ويقدّم مفهومه الفردي في مواجهة مفهوم الجماعة موضحاً موقفه ورؤيته حيال المنظومة الأخلاقية لهذه الجماعة من خلال ثنائية البياض والسواد " يمثل الأبيض والأسود حقيقة نفس الشاعر، ويحملان الدلالة النفسية أكثر من كونهما تقليداً أو تحدياً ورغبة في الإبداع، ولا سيما حين يكونان متقابلين"[1]، يكشف عنترة ماهية الشمائل والأفعال الجليلة من خلال أنساق تدخل في نسيج منظومة القيم الأخلاقية الفاضلة، وفق النسق الثقافي الجاهلي الجمعي، من حماية الجار وإذلال العدو، وهزيمة أعداء قومه، وهي مناقب محمودة في ثقافة الجاهليين، ويضيفها عنترة إلى ما ذكره من صفات التفوق في القوة والشجاعة، وتحدي الموت والتماهي فيه، ففي هذه الصفات ما يكفي لعلو شأو المتصف بها من منظور المجتمع الجاهلي.

يشي لون الحمرة في نسق هزيمة أعداء بني عبس من بني تميم، وقتل سيدهم، والعودة منتصراً إلى قومه بتفوق بطولة الفرد الشجاع (وَعُدْتُ وَسَيْفِي مِنْ دَمِ القَوْمِ أَحْمَرُ)، وهذا ما يضيف إلى رؤية عنترة بعداً فكرياً عميقاً يتجسد في خلق نسق فردي يواجه نسقاً جماعياً معارضاً مضاداً عَرَّى مثالبه، وكشف عيوبه، وقدّم موقفاً جديداً يصحح مفاهيمه؛ إذ حمل نسق سيفه بصورة تضمخه بدم العدى معنى فضل عنترة على أبناء قومه، وقد اتضح هذا المعنى في مطالبة عنترة قومه بني عبس بالفخر واستحقاق السيادة بفعل بطولة العبد الأسود، الذي بلغ مكانة عصية على الآخرين (سُودُوا في القَبَائِلِ وافْخَرُوا بِعَبْدٍ لَهُ فَوْقَ السَّمَاكَيْنِ مِنْبَرُ)، تمثل دعوة عنترة أبناء قومه إلى الفخر به نقداً للمنظومة السلطوية الفوقية السائدة في النسق الجمعي الجاهلي، فلولا شجاعة عنترة، العبد الأسود، وبطولته ما كان لقومه أية قيمة أو حضور بين الأقوام، كشف هذا النقد فشل النسق الجمعي الممثل هنا ببني عبس في إقامة مجدهم وسؤددهم بغير فروسية عنترة وفَعَاله البيض، التي كونت محرك النسق الفردي للإعلان عن فعاليته المؤثرة ووجوده الفاعل في حياة الجماعة الإنسانية، وأنّ قيمة الإنسان في أفعاله وليست في هيئته أو لونه.

ويتصاعد دور اللّون الوظيفي في نقد عنترة لموقف نسق الجماعة الجاهلية الثقافي في رؤيتها المتعالية إزاء العبد، فقد تكرر نقده في صور مكثفة وكاشفة في كم وافر من أشعاره، دافع فيها عن

[1] الديوب، سمر، الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، مطبعة حمص، سوريا، 2009م، ص 276.

لون بشرته، مذكراً أبناء قومه ببطولاته الفذّة، فجاء لون السواد وسيلة فنية لتعرية المجتمع الجاهلي، والكشف عن افتقاده المنطق القويم في كثير من نظمه الاجتماعية التي شكّلت أنساقه الثقافية، يقول:[1]

أُذَكِّرُ قَوْمِي ظُلْمَهُمْ وَبَغْيَهُمْ ... وَقِلَّةَ إِنْصَافِي عَلَى القُرْبِ والبُعْدِ

بَنَيْتُ لَهُمْ بالسَّيْفِ مَجْدَاً مُشَيَّدَاً ... فَلَمَّا تَنَاهَى مَجْدُهُمْ هَدَمُوا مَجْدِي

يَعِيبُونَ لَوْنِي بالسَّوادِ وَإِنَّمَا ... فِعَالُهُمُ بالخُبْثِ أَسْوَدُ مِنْ جِلْدِي

فَوَاذُلَّ جِيرَانِي إِذَا غِبْتُ عَنْهُمُ ... وَطَالَ المَدَى مَاذَا يُلاقُوْنَ مِنْ بَعْدِي

وَكَيْفَ يَحِلُّ الذُّلُّ قَلْبِي وَصَارِمِي ... إِذَا اهْتَزَّ قَلْبُ الضِّدِّ يَخْفِقُ كالرَّعْدِ

وَمَا الفَخْرُ إِلَّا أَنْ تَكونَ عَمَامَتِي ... مُكَوَّرَةَ الأَطْرافِ بالصَّارِمِ الهِنْدِي

وَلَا تَذْكُرا لِي غَيْرَ خَيْلٍ مُغِيرَةٍ ... وَنَقْعُ غُبَارٍ حَالِكِ اللّونِ مُسْوَدِّ

وَلِي مِنْ حُسَامِي كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الثَّرَى ... نُفُوشُ دَمٍ تُغْنِي النَّدامى عَنِ الوَرْدِ

يحوّل عنترة طاقة السواد السالبة من منظور النسق الثقافي الجمعي الجاهلي إلى طاقة إيجابية فاعلة يهدم بها أسس مفاهيم أبناء قومه، وتداعياتها من ظلم وجور وخسف عانى منه (أُذَكِّرُ قَوْمِي ظُلْمَهُمْ لي وَبَغْيَهُمْ وَقِلَّةِ إِنْصَافِي)، يضمر هذا النسق كشفاً واضحاً عن نسق استعلائي ظالم من بني قومه، يغلّفه موقف جاحد منهم (بَنَيْتُ لَهُمْ بالسَّيْفِ مَجْدَاً مُشَيَّدَاً)، وأوصل مكانتهم بأفعاله البطولية المقدامة ذرى المجد، فكان رَدّهم جحود فضله وازدراء مكانته (فَلَمَّا تَنَاهَى مَجْدُهُمْ هَدَمُوا مَجْدِي)، تضمر أنساق النص ضدين متعارضين عنترة بلونه الأسود وخصاله النبيلة، وقومه البيض وموقفهم المضاد من سواده، بخصالهم المشينة، وهذا ما يجعل من لون السواد هنا مزية وقوة فاعلة، تغلب النسق الجمعي، وتُظهر ضآلته وهشاشته أمام الجوهر الإنساني النبيل في نفس عنترة الأسود اللّون، وهذا ما يقوي موقف عنترة في مواجهة الذين يعيبون لونه بالسواد، غافلين عن حقيقة واضحة تحفز

[1] شرح ديوانه، الخطيب التبريزي، مصدر سابق، ص 59. الضدّ: الخصم، مكورة الأطراف: كناية عن العزّ والمنعة، وتكوير العمامة: إدارتها.

إلى النظر إلى قيمة الإنسان من فعله وخلائقه لا من لون بشرته، يفعّل عنترة معنىً جديداً للبياض حين يخصه بالنفس الخيّرة الكريمة، ويتحول بمعنى السواد إلى قيمة فاعلة تقترن كذلك بالجوهر لا بالمظهر (يَعِيبُونَ لَوْنِي بالسَّوَادِ وإِنَّمَا فِعَالُهُمُ بالخُبْثِ أَسْوَدُ مِنْ جِلْدِي)، يشي الإقرار بسواد جلده بدلالة مضمرة على أن الفعل هو من يحدد قدر الإنسان، وهذا هدم واضح لجانب كبير من النسق الثقافي الجمعي الجاهلي؛ إذ إن تحت سواده مناقب حميدة منها حماية أبناء قومه، وردّ الذل عنهم بالسيف الذي يبرق في يده ويشع بلون البياض المشرق (وَصَارِمِي إِذَا اهْتَزَّ قَلْبُ الضِّدِّ يخْفِقُ كالرَّعْدِ)، يرتبط لون الإشراق في السيف بإشراق بياض نفس فارسه عنترة، وبه يبني مكانته العالية متسامياً على استعلائية أبناء قومه (ومَا الفَخْرُ إلَّا أَنْ تَكونَ عَمَامَتِي مُكَوَّرَةَ الأَطرافِ بالصَّارِمِ الهِنْدِي)؛ إذ يحصر مفهوم الفخر بالفعل البطولي، وملازمة أرض المعركة على ظهر الخيل لا بالنسب ولون البشرة البيضاء، ويأخذ لون السواد في الصورة الفنية التي يرسم بها بأسه في المعارك دوراً وظيفياً متقداً، يكشف عن قيمة اللّون التعبيرية، وثراء مكنوناته الدلالية (وَلَا تَذكُرا لِي غَيْرَ خَيْلٍ مُغِيْرَةٍ وَنَقْعَ غُبَارٍ حَالكِ اللَّونِ مُسْوَدِّ)؛ إذ يبدو مشهد المعركة في ظاهره مخيفاً مبهماً شديد العتمة، يتصارع فيه الموت والحياة، غير أنّ هذا السواد الحالك مقترن بعنصر جمالي لأنه يعبّر عن فعل بطولي يصوغه عنترة شعراً تزيده سلطة الشعر المهيمنة في مفهوم النسق الثقافي الجماعي الجاهلي قوة وتأثيراً، يدعو عنترة من خلال توظيف لون السواد هنا إلى النظر إلى السواد من زاوية أخرى تُظهر ارتباطه بالأفعال الكريمة، وهذا يُعدّ تفكيكاً لمفهوم نسق السواد في ثقافة الجماعة الإنسانية الجاهلية التي تقرنه بالتشاؤم والقبح والشر، فرسم نقع الغبار المتطاير في ساحة القتال بلون السواد الحالك إشارة مضمرة إلى بطولة عنترة الأسود الحامية وجود الجماعة بالقتال البطولي، يوحد اللّون الأسود بين عنترة والمعركة، وهنا يتوجب على قومه رؤية السواد رؤية جديدة تعيد تقييم مفهوم إنسانية الإنسان من منظور الجماعة الإنسانية الجاهلية "ويأتي إحساس الشاعر باستلاب هذا النظام الجمعي لحريته من حيث النسب واللّون مدخلاً لتعرية الفكر النسقي الجمعي، وتحديد مدخلات التعامل معه"[1]، ويمنح لون الحمرة بطولة عنترة قيمة أخلاقية سامية، تجعل سواده بياضاً مشرقاً؛ إذ يتجدد دم الأعداء المهراق بسيفه على ثرى المعارك كل يوم (وَلِي مِنْ حُسَامِي في كُلِّ يَوْمٍ عَلَى الثَّرَى نُفُوْشُ دَمٍ)،

[1] عليمات، يوسف، جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، مرجع سابق، ص 76.

تضافر لون الحمرة مع لون السواد لإظهار لون البياض الكامن في الفعل البطولي والخلائق الحميدة، وهذا ما أراد عنترة كشفه من خلال مضمرات اللّون في هذا النص.

يوظف عنترة تقانة اللّون في مواجهة ازدراء النسق الثقافي الجمعي الجاهلي، وتعييبهم لونه الأسود بازدراء يفنّد إشكالية موقفهم وافتقاده المنطق الصحيح في صور شعرية تصرّح بتعييره بلونه ليبني من خلال مكارمه وفروسيته فكراً جديداً يقوم على رؤية الإنسان بفعله، هذا ما يفسر كثرة تكرار هذا التصريح في شعره، ويكشف في الوقت نفسه انتفاء نفسه من عقدة السواد، ويرجح الاعتقاد بأنه يفاخر بسواده ويعتزّ به، بدليل المفاضلة التي يتفوق فيها بفعله على الآخرين، والتي تتكشف في مضمرات أنساق ردّه على من يعيب سواده، وهذا ما يتردد في شعره كثيراً، يقول:[1]

وَمَنْ قَالَ إِنِّي أَسْوَدٌ لِيَعِيبَنِي أُرِيهِ بِفِعْلِي أَنَّهُ أَكْذَبُ النَّاسِ

فَلَوْ لَاحَ لِي شَخْصُ الحِمَامِ لَقِيتُهُ بِقَلْبٍ شَدِيدِ البَأْسِ كَالجَبَلِ الرَّاسي

يضمر لون السواد معنيين متضادين، يشير المعنى الأول إلى نسق ثقافي جماعي، يُعدُّ سواد البشرة عيباً، ويبادر بفعل سالب مسيء (لِيَعِيبَنِي)، ويبيّن المعنى الثاني رفعة اللّون الأسود لارتباطه بحقيقة واقعية تدحض موقف النسق الثقافي الجمعي الجاحد المبني على مشاعر الكراهية، فلا يقوى على إيجاد مبرر أو مسوغ على النقيض من عنترة القادر على إثبات كذب من يعيب عليه سواده بالوقائع والبراهين (أُرِيهِ بِفِعْلِي أَنَّهُ أَكْذَبُ النَّاسِ)، نضمر هذه الصيغة نقداً للنسق الثقافي الجمعي، ومواجهته تهمة الكذب المثبتة ضده، مما يدحض سوء موقف النسق الثقافي ويصغّره بالفعل وبالبطولة المتفردة التي تفاضل بين من يزدري السواد ويعيبه والأسود الفارس البطل المتصف بصفات يعجز عن الاتصاف بها من يعيّره بسواده؛ إذ يلقى الموت (بِقَلْبٍ شَدِيدِ البَأْسِ كَالجَبَلِ الرَّاسِي)، مما يكشف مثالب هذا النسق، ويُظهر عيوبه، ويدعو إلى النفور منه ورفضه، فقد جاء نسق البطولة نسقاً مراوغاً أظهر جمالية معنى البطولة، وتفرد عنترة ببطولة فذّة، غير أنه أظهر ازدراء النسق

[1] شرح ديوانه، الخطيب التبريزي، مصدر سابق، ص 88. الراسي: الثابت، ويُنظر ص 22، وص 231 من المصدر نفسه.

الثقافي الجمعي، وعرّى نواقصه، وأثبت جبنه وتعاليه وعجرفته، وهذا ما يتضح من وصفه من يعيبونه بلونه بالجهالة، يقول:[1]

يَعيبونَ لَونِي بالسَّوَادِ جَهَالةً وَلولا سَوادُ اللَّيلِ ما طلعَ الفَجْرُ

وإنْ كانَ لَونِي أَسْوَدَ فَخَصائِلِي بياضٌ وَمِنْ كَفِّيَّ يُسْتَنْزَلُ القَطْرُ

مَحَوتُ بِذِكْرِي ذِكْرَ كلِّ مَنْ مَضى وَسُدْتُ فَلا زَيدٌ يُقَالُ وَلَا عَمْرُ

تتكرر لفظة السواد(بالسَّوَادِ، سَوادُ، أَسْوَدَ)، مع ألفاظ دالة عليه (اللَّيلِ، ما طلعَ الفَجْرُ)، لإظهار مركزية موقف المجتمع الجاهلي من قضية السواد، وليبني عليها عنترة رؤيته المتعمقة لإثبات ضحالتها وإشارتها إلى الجهل، وإحلال موقف منطقي قوي جديد من هذه القضية؛ إذ يواجه عنترة جهل النسق الجمعي بعقل، ومنطق متفكّر، يبرر أولاً الموقف الجاهل (يَعِيبُونَ لَونِي بالسَّوَادِ جَهَالَةً)، ويبين ثانياً حقيقة علمية مشهودة (وَلولا سَوادُ اللَّيلِ ما طلعَ الفَجْرُ)، تضمر هذه الحقيقة ارتباط السواد بالضياء، وهذا ما يقدّم لرؤية عنترة ويمنحها الوضوح والإثبات، فلا يحتم السواد الخارجي اتصاف الأسود بالمثالب والمناقب السيئة، كما يعتقد النسق الثقافي الجمعي الجاهلي، يحاول عنترة تقديم رؤيته من حلال تصوير فني جمالي يستند إلى عقل حصيف يقدّم الحقيقة من خلال الإقرار بالنفور الظاهري بين السواد والبياض، والكشف عن التعالق والتآلف بينهما في مضمرات النسق، فلا ينفي سواده بياض خصاله، وهذا ما يمنح السواد والبياض معانٍ جديدة في اقترانهما في سياق واحد؛ إذ إنّ السواد يبدو مرتبطاً بالجمال لا بالقبح، والبياض قد يقبع في غور السواد وينتج عنه، وهذا ما أضمره حديث عنترة عن مجده، وخلود ذكره وتفوقه البطولي، ومحو ذكر من سبقه من الأبطال والعظماء، "إنّ عالم الحرب عند عنترة يمثل مدخلاً مهماً لإثبات تميزه، ووسيلة لإظهار جمال الفعل مقابل قبح الصنيع عند الآخر"[2]، وهذا ما يشي بإشارة واضحة إلى العقول لرؤية جديدة للسواد تقوم على أسس منطقية لا على أسس انفعالية سالبة.

[1] المصدر نفسه، ص 8.

[2] عليمات، يوسف، جماليات التخليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، مرجع سابق، ص 258.

ونعثر على شواهد شعرية وافرة في أشعار عنترة تحضّ على هذه الرؤية التي توحد بين السواد وقيم البطولة والأفعال الفضيلة، مما يجعل من هذه القيم والأفعال أسلحة تهدم بنيان منظومة النسق الثقافي الجمعي الجاهلي إزاء السواد والعبودية، يقول:[1]

لَئِنْ يَعِيبُوا سَوَادِي فَهْوَ لِي نَسَبٌ يَومَ النِزَالِ إِذَا مَا فَاتَنِي النَسَبُ

يخلق لون السواد هنا رؤية جديدة تقترن بالفعل البطولي، تُصغّر المعيبين عليه سواده؛ إذ أضمر نسق اللّون معنى السمو والرفعة يفاضل به عنترة النسب المتعارف عليه في النسق الثقافي الجمعي الجاهلي، ويغدو السواد في مفهوم عنترة قيمة جمالية أخلاقية تكنز ضياءً وإشراقاً مخبوءاً كالدُّرّ في جوف الصدف، يقول:[2]

وإن يَعِيبُوا سَوَادَاً فد كُسِيتُ بِهِ فَالدُّرُّ يَسْتُرُهُ ثَوبٌ مِنَ الصَدَفِ

يضمر نسق الدّرّ والصدف بعداً نقدياً عميقاً لطرائق تفكير أفراد المجتمع الجاهلي؛ إذ يكشف هذا النسق خلو عقولهم من الجوهر وافتقاد الرؤية الصحيحة لحقائق الأمور، فهم يعتدون بلون البياض بغضّ الطرف عن افتقاده القيم السامية، ويبغضون السواد على الرغم من اكتنازه حلل الأخلاق المحمودة، مما يقلل من قيم موقفهم المضاد، ويُظهر ضعفه، وبعبارة أخرى يخلخل عنترة هذا البنيان لإسقاطه وهدمه لاحقاً، وإقامة بنيان جديد مناصر للسواد ينتفي منه التعصب والكراهية والخسف حيال أصحاب البشرة السوداء، وتخلو منه النظرة الاستعلائية الفوقية إليهم، وإقامة مجتمع مبني على مفاهيم صحيحة.

تشكّل العبودية عائقاً آخر في وجه عنترة بسبب تعنت مفاهيم النسق الجمعي الجاهلي حيال العبيد يتمثل في سحق حقه في الاقتران بالمحبوبة المنتمية إلى هذا النسق، وتكمن المشكلة الأكبر

[1] شرح ديوانه، الخطيب التبريزي، مصدر سابق، ص 25، ويُنظر ص 82-83، وص 88، وص 105 من المصدر نفسه.
[2] المصدر نفسه، ص 103.

في اتساق المحبوبة عبلة، مع فكر هذا النسق، وتماهيها فيه بدليل تصوير كثير من أشعار عنترة صدّ المحبوبة وتجاهلها ومواقف الهجر واللامبالاة به وبحبه[1].

يلجأ عنترة في محاولاته تغيير مفاهيم عبلة المنبثقة من ثقافة النسق الجمعي إلى عالم الحرب والتفتي، وما يحققه من أمجاد بطولية متفردة مشهودة، والتغني بما يتصف به من شمائل ومناقب محمودة، لإخراج عقل عبلة من دائرة هذا النسق المركزي، وخلق فرصة لإمكانية إقامة الصلة الإنسانية بها، تقوم على الحب المتبادل، موظفاً طاقات اللّون التعبيرية بكفاءة للكشف عن مضمرات الأنساق الثقافية الموجودة في أطواء النص، يقول:[2]

أُعَادِي صَرْفَ دَهْرٍ لَا يُعَادَى وَأَحْتَمِلُ القَطِيعَةَ والبِعَادَا

أُعَلِّلُ بالمُنَى قَلْباً عَلِيلاً، وبالصّبْرِ الجَمِيلِ وَإِنْ تَمَادَى

تُعَيِّرُنِي العِدَى بسَوَادِ جِلْدِي، وَبِيضُ خَصَائِلِي تَمْحُو السَّوَادَا

سَلِي يا عَبْلُ قَوْمَكِ عَنْ فَعَالِي وَمَنْ حَضَرَ الوَقِيعَةَ والطِّرَادَا

وَرَدْتُ الحَرْبَ، والأَبْطالُ حَوْلِي تَهُزُّ أَكُفُّها السُّمْرَ الصِّعَادَا

وَخُضْتُ بِمُهْجَتِي بَحْرَ المَنَايا وَنَارُ الحَرْبِ تَتَّقِدُ اتِّقَادَا

وَعَدْتُ مُخَضَّباً بِدَمِ الأَعَادِي وَكَرْبُ الرَكْضِ قَدْ خَضَبَ الجَوَادَا

يسيطر نسق الصراع على النص، تحتكم فيه الألوان على أفكار عميقة، يوظفها عنترة لإيضاح جوهر التضاد بين الذات الشاعرة (الفرد)، والنسق الجمعي المتضمن عبلة، القائم على النفور من السواد المرتبط بالعار في مفهوم ثقافة الفكر القبلي الجاهلي، فضلاً عن توظيفه لمقاومة هذا الفكر، وتفنيد أخطائه، والكشف عن مكامن مساوئه.

[1] المصدر نفسه، ص 21، ص 23، ص 50، وص 54، ص 62، ص 65، ص 67، ص 72، ص 81، ص 83، ص 84، ص 89، ص 105، ص 120، ص 129، ص 132، ص 136، ص 141، ص 166، ص 167، ص 187، ص 189، ص 192، ص 196.

[2] المصدر السابق، ص 49. كرب الركض: شدته، والمراد العرق المتصبب من الجواد.

تدفع عاطفة الحب المستحوذة على قلب عنترة وعقله إلى مناهضة تصاريف الدّهر، ومجابهتها على الرغم من معرفته بعدم جدوى مصارعة الدّهر أو مقارعته، مظهراً ما يكابده من تباريح الشوق والصبر على فراق المحبوبة ونأيها، لائذاً بالآمال والجَلَد الصابر على القطيعة والهجر، ويتكشف سبب عذابه من خلال مفاهيم ثقافة الفكر القبلي القائم على الظلم والاستعلاء وازدراء الآخر بغير وجه حق (تُعَيِّرُنِي العِدَى بسَوَادِ جِلْدِي)، فصدّ محبوبته وبعدها من نتائج مفهوم الظلم الاجتماعي الذي يعيّر بالسواد ويعيب ذوي البشرة السوداء، يدعو عنترة النسق الثقافي الجمعي القبلي إلى نبذ هذه المفاهيم من خلال مضمرات لون البياض التي تجسد خصائله الكريمة (وَبِيضُ خَصَائِلِي تَمْحُو السَّوَادَا)، غير أن السواد الذي يمحوه البياض هنا هو سواد الخسف الاجتماعي، وسوداوية نظرة ثقافة الفكر القبلي إزاء البشرة السوداء، وهذا ما يقيم مبادئ اجتماعية جديدة تواجه مبادئ المجتمع الجاهلي القبلي، وتنقض مفاهيمه؛ فالبياض بياض النفس بصفاتها ومناقبها الفضيلة، والسواد هو سواد النفس الظالمة، واستناداً إلى هذه المعادلة يغدو السواد الظاهري جمالاً يقابل قبح البياض في نُظم النسق الاجتماعي الجاهلي.

يؤسس عنترة مفهومه الرافض لظلم النسق الجمعي مستعيناً بالقيم الدلالية التي تضمرها لغة النص النابضة بالصور الحية يرسم من خلالها مفاهيمه النسقية التي تتناغم مع المفاهيم النسقية الجمعية المعتدة بالأخلاق الحميدة، والخلال الكريمة، والبطولة الحربية الفريدة بشجاعتها وانتصاراتها (وَرَدْتُ الحَرْبَ، والأَبْطالُ حَوْلِي، وَخُضْتُ بِمُهْجَتِي بَحْرَ المنايا، وَنَارُ الحَرْبِ تَتَّقِدُ اتِّقَادَا، وّعُدْتُ مُخَضَّبَاً بِدَمِ الأَعَادِي)، ليؤمن رابطاً فكرياً يلج من خلاله إلى غور النظم الثقافية الجماعية الجاهلية يمكّنه لاحقاً من فرض نسقه الفردي الحافل بالقيم الأخلاقية السامية.

تشكّل مطالبته عبلة بسؤال قومها عن فَعَاله البيض وبطولاته الاستثنائية في ساحات المعارك دعوة عبلة المتسقة مع النسق الجمعي إلى رؤية الحقيقة القابعة في قلب السواد الظاهري (سَلِي يا عَبْلَ قَوْمَكِ)، يريد من عبلة أن تستشف جوهر شخصيته من إجابة أفراد الجماعة الإنسانية المناهضة الرافضة بسؤالها عن مكرماته (عَنْ فَعَالِي)، وعن شجاعته واستبساله في القتال والحروب، واقتحام الموت والعودة بالظفر من أرض المعركة، أضمر نسق السؤال رغبة عنترة في تغيير مفهوم المحبوبة المنتمي إلى فِكر ثقافة النسق القبلي، وتبني نسقه الفردي القائم على القيم الإيجابية؛ إذ إن عنترة

يريد إقامة الصلة بعبلة التي يريد لها التحرر من فكر النسق القبلي، وليس إقامة الصلة بالقبيلة كما تعتقد نبأ قاسم[1].

تؤدي أنساق اللّون وظائف فاعلة في إظهار مضمرات الأنساق الثقافية، وتُكسب أنساق مكرماته وبطولاته حيوية وقدرة على إحاطتها في صورة مكثفة قادرة على إبداء تفوقها وتفردها، مفسحة الرؤية أمام جدلية الصراع النسقي وتجلياته ما بين طرفين: الفرد/ عنترة بنسقه الفردي المكّون من الفعل البطولي، والجماعة التي تمثل منظومة قيمية اجتماعية تعارض هذا الفرد الواعي بالقواعد والمبادئ التي يؤسس عليها النظام القبلي كيفية تعامله وتقييمه لهذا الفرد، وهذا ما يفسر إسهاب عنترة في أحاديثه عن بطولاته المشهودة بعد اعتراضه على تعيير النسق الثقافي الجمعي إياه بسواد جلده، وإجحاف حقه في معاملته وفقاً لما يتصف به من خلائق محمودة، وفضائل، وفروسية متفردة؛ إذ حريّ بهذا النسق أن يرى البياض لا السواد في عنترة.

تولّد أنساق اللّون في هذا النص معاني البطولة الاستثنائية في سياق لغوي يكنز دلالات التفوق والتفرد في شخصية عنترة الفارس، وتكسبها زخماً وعمقاً، وتمنحها أبعاداً جديدة تجعل من بطولته بطولة عصيّة على الفرسان الآخرين، بدت فيها شجاعته مطلقة، يقتحم ساحة الوغى غير آبه بالموت المتجسد بلون الرماح (السُّمْرَ الصِّعَادَا)، وتزاحم الأبطال حوله، يخوض غمار المنية بتحدٍّ وإقدام، عبّر عن سعتها وامتدادها بلون زرقة البحر يتدافع فيه القتال والقتل (وَخَضْتُ بِمُهْجَتِي بَحْرَ المنَايَا)، في جوٍّ حربي محتدم جسده توهج ألوان النيران المستعر (وَنَارُ الحَرْبِ تَتَّقِدُ اتِّقَادَا)، يغدو النصر فيها إنجازاً بطولياً فائقاً، استوعبه في دلالاته المضمرة لون الحمرة في صورة تخضب عنترة (بِدَمِ الأَعَادِي)، فقد ذهب عنترة إلى المعركة بلونه الأسود المنبوذ من النسق الثقافي الجمعي، وعاد مكتسياً بلون الحمرة (وَعُدْتُ مخَضَباً بِدَمِ الأَعَادِي)، مثبتاً مكانته السامية التي لا يرغب هذا النسق في الإقرار بها، ومؤكداً على تفوق نسقه الفردي، الذي فرضه بفعله البطولي المتفرد من خلال ما أضمرته أنساق اللّون في المشهد الحربي من معاني التفوق البطولي، وما دلت عليه من قيم رفض ظلم النسق الجمعي والاستعلاء عليه لتقويض الأسس التي يبني عليه استعلاءه وانتقاصه قيمة عنترة الإنسان وتهميشه "لقد وجدت الذات النسقية للشاعر نفسها وسط كم هائل من الأعراف والأيديولوجيات التي

[1] الشعر الجاهلي في ضوء الأنساق الثقافية اللامنتمي اختياراً، مرجع سابق، ص 206.

لا تعترف بهوية الذات المهمشة، لذا فإن هذه الذات تبدأ بحركة التمرد على منظومة النسق الجمعي بتقمص مبادئه وأفكاره في الحياة (الكرم والبطولة) لإقامة النسق الاستعلائي"[1]، غير أن عنترة أبدى تفوقاً على هذه المبادئ والأفكار منح نسقه القدرة، وهو الفرد العبد، على فعل ما لا يقدر على فعله الأحرار في السلم (وَبِيضُ خَصَائِلِي تَمْحَو السَّوَادَا)، فقد قام عنترة بترسيخ دعائم نسقه الفردي الجديد ليتعامل مع النسق الجمعي المضاد بما يتسق مع بِنى هذا النسق، ليتمكّن من كشف أسسه وتفكيكها، وتصويب مفاهيمه وأفكاره حيال معايير الحكم على قيمة الإنسان.

الخاتمة:

كشفت مضمرات اللّون في توظيفاتها الفنية في أشعار عنترة عن أنساق ثقافية أبدن رؤى ومواقف فكريةمكنونة في أغوارها، بيّنت ماهية مفاهيم النسق الثقافي الجمعي الضدي حيال فكرة السواد والعبودية، والمفهوم الفردي المواجه لظلم هذا النسق، وخلقت صوراً فنية تضمنت تحديداً واضحاً لفهم عنترة حقائق الصراع الوجودي استناداً إلى مواقف النسق الثقافي الجمعي، وهذا ما بدا جلياً في الوظائف الفنية للألوان في مشاهد الحرب والبطولة، فقد مكّنت الألوان من تجسيد بطولة متفردة متفوقة تغالب استعلاء النسق الثقافي الجمعي، وتفرض نسق عنترة الفردي، وتثبت مكانته وأهميته في حياة الجماعة المناهضة، من خلال ما أضفت الألوان من حيوية على الصور الفنية، وقدرتها على توليد المعاني التي تبيّن قيمة الفعل وتفاهة الشكل، فكانت الألوان وسيلة لإظهار أهمية الفعل البطولي وجماليته، ولبيان قيمة الأفعال الكريمة في مقابل قباحة فعل النسق الجماعي الضدي المتمسك بالمظاهر وبالمفاهيم والأفكار المفتقدة إلى العدالة والإنصاف.

تمكنت الألوان في مشاهد العبودية في شعر عنترة من خلق ارتباطات جديدة بمفاهيم الحرية والاستعباد من خلال عالم الحرب، فقد غدا معنى البياض مرتبطاً بالأفعال المحمودة وبالبطولة في تصور جديد يناقض مفهوم البياض في فكر النسق الثقافي الجمعي ويعارضه، يهدم من خلاله فكرة عَدّ السواد قرين القبح وفق فهم هذا النسق، فقد غدا السواد قيمة سامية في الفعل البطولي.

[1] عليمات، يوسف، جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي نموذجاً، مرجع سابق، ص 79.

مكّنت الألوان من خلال ما صورته من أفعال بطولية استثنائية في شخصية عنترة الفارسة من إنجاز النسق الفردي في تحقيق نقاط قوة تجعل منه نسقاً استعلائيِاً متفوقاً على النسق الاستعلائي الجمعي، بدليل ما رسمته ألوان حمرة الدماء من إنجازات بطولية يعجز عنها أي بطل من أفراد النسق الجمعي، وبدا السواد قوة فاعلة ومطلباً ملّحاً في ساحات الحرب تحقق للنسق الجمعي سؤدداً وحماية بفضل قوة عنترة الكبيرة التي لا تعدلها أو توازيها قوة في ميدان القتال، ودلّ البياض على قيم النبل والخلال الحسنة المقرونة بالبطولة المتفردة، هذا ما جعل الثنائية الضدية بين السواد والبياض من منظور النسق الثقافي الجمعي ثنائية متآلفة منسجمة من منظور النسق الفردي.

شكّلت أنساق الألوان ركيزة أساسية في صراع نسق عنترة الفرد (العبد) لاختراق ركائز النسق الجمعي المضاد، وساعدت على كشفه، وكانت أدوات فاعلة وظفها عنترة لتصحيح أفكار هذا النسق، وخلق الإمكانية لتغيير مفاهيمه، وإحلال ثقافة بديلة تعتد بالفعل الأخلاقي لا بالهيئة والشكل.

المصادر والمراجع:

1-أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، طبعة أولى، مصر، مطبعة المدني، 1991م.

2-الألوان نظرياً وعملياً دراسة فيزيائية نفسية للألوان، إبراهيم دملخي، جامعة دمشق،منشورات جامعة دمشق، مطبعة الداودي، 1420-1421هـ، - 20001999م.

3-بؤرة التأويل بين النسق والدلالة في الشعر الجاهلي، د. غيثاء علي قادرة، دار سويد للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، سوريا، 2021م.

4-تعطير الأنام في تعبير المنام، الشيخ عبد الغني النابلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

5-توظيف اللّون في شعر عنترة بن شداد، عبد الجبار جواد، جامعة الأنبار، مجلة الأستاذ، العدد 64، المجلد الأول لسنة 2015م، 1436هـ.

6-الثنائيات الضدية" دراسات في الشّعر العربي القديم"، سمر الديوب، مطبعة حمص، سوريا، 2009م.

7-جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

8-الحيوان، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1416هـ- 1996م.

9-ديوان عنترة بن شداد، تحقيق محمد سعيد مولوي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطّبعة الأولى، 1411هـ-1991م.

10-شرح ديوان عنترة بن شداد، الخطيب التبريزي، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1412هـ- 1992م.

11-الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، عبده بدوي، المكتبة العربية، جمهورية مصر العربية، وزارة الثقافة والإعلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.

12-الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1959م.

13-الشعر الجاهلي في ضوء الأنساق الثقافية اللامنتمي اختياراً، نبأ قاسم، بغداد، الطبعة الأولى، 2019م.

14-الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة.

15-ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، محمود الخليل، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، 1989م.

16-العقل في التراث الجمالي عند العرب، علي شلق، دار المدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1985م.

17–علم الكلام والفلسفة العربية، طيب تيزيني، مطابع مؤسسة الوحدة، جامعة دمشق، 1401–1402هـ – 1991– 1992م.

18–الفلكلور والأساطير العربية، شوقي عبد الحكيم، دار ابن خلدون، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م.

19–قاموس الألوان عند العرب، عبد الحميد إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، 1989م.

20–قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر الطبعة الثالثة، 1961م.

21–كتاب التعريفات، الجرجاني علي بن محمد، الطبعة الثالثة، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م.

22–كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو الهلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، الطبعة الأولى، لبنان، دار الكتب العلمية، 1981م.

23–لسان العرب، أبن منظور، تنسيق وتعليق: علي شيري، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، 1992م

24–اللّون وأبعاده في الشعر الجاهلي المعلقات نموذجاً، أمل محمود عبد القادر أبو عون، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م.

25–مجلة المجمع العلمي العراقي، ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية الأولى، د. أحمد صالح العلي، المجلد 26، عام 1975م.

26–مجمع الأمثال، الميداني، حققه، وضبطه، وضبط غرائبه، وعلق حواشيه: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، صيدا، 1992م.

27–مدخل إلى نظرية الأنساق، نيكلاس لومان، ترجمة: يوسف فهمي حجازي، مراجعة وتدقيق: رامز ملا، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا)، الطبعة الأولى، بغداد، 2010م.

28–موسوعة أساطير العرب في الجاهلية ودلالاتها، محمد عجينة، الناشر العربية محمد علي الحافي للنشر والتوزيع، تونس، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994م.

29–النزعات المادية الفلسفية العربية الإسلامية، حسن مروة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة السابعة، 1991م.

30–النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، يوسف عليمات، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1430هـ–2009م.

31–النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغدامي، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، 2001م.

32–نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

References:

1-Abu Aun. Amal mahmoud Abdul qader. 2003AD- 1340 AH. Color and its dimensions in pre-Islamuc poetry: the muallaqat as a model. Masters thesis college of graduate studies. An-Najah national university- Nablus, Palestine. 475.

2-AJINA Muhammad. 1994AD- encyclopedia of Arab myths in the pre-Islamic era and their lmlications publisher**:** Arabic Muhammad Ali AlHafinfor publishing and distribution tunis dar Al-Farabi. Beirut. Lebanon. First edition.368.

3-AL ALI. Dr Ahmed saleh. 1975AD- journal of the Iraqi scientific academy, colors of Arab clothing in the early Islamic eras, volume 26.

4-AL-ASKARI. Abu Alhilal. 1981AD- the book of the tow industries: writing and poetry. Edited by mufid qamiha, first baa Lebanon, dar Al-kotob Allmiyah.368.

5-AL-JAJIZ. Abu uthman Amr bin bahr 1416AH- 1996AD- the animal, researched and explained by Abdul salam Haroun, Dar al-jeel, lirouth. 548.

6-AL-JURJANI. Ali bin Muhammad. 1988AD- definitions. Third edition. Lebanon. Beirut. Scientific books house.249.

7-AL-JURJANI. Abdul qadir. 1991AD- secrets of eloquence. Egypt, Al-madani press, first edition, 571.

8-AL-KHALIL. Mahmoud. 1989AD- the phenomenon of anxiety in pre-Islamic poetry, Dar t Talas, Damascus, first edition, 398.

9--AL- GHADAMI. Abdullah. 2001AD- reading in Arab cultural systems, Arab cultural center Casablanca, Beirut, Lebanon, second edition. 315.

10-AL-HAKIM. Shawqi abd. 1983AD- folklore and Arab mythology, dar khaldoun, Beirut, second edition. 227.

11-ALIMAT,youssef.1430AH- 2009AD- the cultural system A cultural reading in the systems of ancient Arabic poetry, modern world of books for publishing and distribution lrbid jidar for the international book for publishing and distribution, Amman, FIRST EDITION, 216.

12-ALEIMAT. Youssef 2004AD- Aesthetics of cultural analysis: pre-Islamic poerty as a model, Arab foundation for studies, publishing and distribution, first edition. 266.

13-AL-MAYDANI. 1992AD- collection of proverbs, verified, separated, and its oddities were corrected, and its marginal notes were annotated by muhyi al-Din a A abd al-hamid, Al-Asriya library for printing and publishing, Beirut, sidon.

14-AL-NABULSI,Sheikh Abdul ghani. Perfuming people in the expression of people, Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution, Beirut, Lebanon. 697.

15-AL-NUWAIHI. Muhammad. Pre-Islamic poetry; Amethod for studying and evaluating it, national house for printing and publishing cairo. 442.

16-AL-TABRIZI. Al-khatib. 1412AH- 1992AD- explanation of antarah ibn Shaddad collection, introduced, marginal notes and indexed by majid tarred, Dar Ak-Arabi, Beirut, Lebanon, 243.

17-BIN JAAFAR. Qudamah. Poetry criticism, inestigation and commentary by abdul moneim khafaji, Dar Al-kotob Al-agamiyah, Beirut, Lebanon. 218.

18-BADAWI. Abdo 1973AD- black poetry and their characteristics in Arabic poetry, the Arab library Arab republic of Egypt ministry of culture and information Egyptian general book authority.267.

19-BIN JAAFAR. qudamah, poetry criticism, investigation and commentary by abdul moneim khafaji, Dar Al-kotob Al-llmiyyah, Beirut, Lebanon. 218.

20-DAMLUKHI. Ibrahim, 1420- 1421AH- 1999- 2000AD-co;ors theoretically and practically A psychophysical study of colos, Damascus university publications Al-Dawudi press. 234.

21-DURANT.will, 1961AD- translated by Muhammad badran, authorshio, translation and publication committee, Egypt, third edition. Beed.

22-IBRAHIM. Abdel hamid،1989 AD- Dictionary of colors in the West، Egypt، Book Authority،273.

23-IBN SHADDAD. Antarh، 1983 AD- his collection Muhammad Molly printing office of the Islamic office of Beirut، Damascus second edition،404.

24-IBN MANZUR. 1992AD- Lisan al-Arab, coordinated and commented on by ali Shiri, second edition, Dar lhya al-turath al-Arabi, Arab history foundation ،BEED

25-JAWAD. Abdul jabbar. 1436AH- 2015AD-the use of color in poetry of Antarah ibn shaddad. university of Anbar Al-ustadh magazine issue 64 volume 1. BEED.

26-KHALFE. Youssef, 1959AD- the vagrant poets, almaaref, cairo, Egypt. 356.

27-LUHMANN. Niklas. 2010AD- introduction to Systems theory, translated by youssef fahmy hijazi reviewed and proofread by ramez malla Al-jamal publications cologne Germany Baghdad , first edition. 425.

28-MARWA. Hassan. 1991AD- materialistic tendencies in Arab Islamic philosophy, Al farabi, Beirut, seventh edition.572.

29-QADIRAghaitha Ali. 2021AD- interpretation between system an meaning in pre-Islamic poetry, Jar suwaid for publishing, printing and distribution, Syria. 404.

30-QASIM. Naba. 2019AD- PRE-Islamic poetry in the light of cultural systems. Non-Affiliated by choice, Baghdad, first edition. 296.

31-SHALQ. Ali. 1985AD- the mind in the aesthetic heritage of the Arabs, Dar Al mada for printing and publishing Beirut, Lebanon, first edition. 274.

32-TIZINI. Tayeb. 1401-1402AH- 1981-1982AD- theology and philosophy, foundation press, Damascus university.143.

(In Arabic المراجع)

التَّوجُّهُ الحواريُّ لخطابِ الشَّخصيَّةِ القائلةِ نحوَ الخطابِ المؤجَّلِ للشَّخصيَّةِ المقول لها في مشاهدِ أخبار العصر الإسلامي

طالبة الدكتوراه: رنا شاهين، كليَّة الآداب، جامعة حمص

إشراف: أ. د. سمر الديوب

ملخَّصُ البحثِ

ينفتحُ البحثُ على المشـــاهدِ الخبريَّة من جهةِ النَّشـــاطِ التَّلفُّظيّ فيها؛ فيَنظرُ إليها من ناحيةِ التَّواصلِ السرديِّ بين الشَّخصيَّةِ والشَّخصيَّةِ المقابلة لها في السِّياق التَّخاطبيِّ مفترضاً اتِّخاذَ خطابِ الشَّـــخصـــيَّةِ الخبريَّة المخاطَبة صـــفة المخاطَب المشـــارِك في إنتاج خطاب الشَّخصيَّةِ الخبريَّة المخاطِبة؛ لإسهامه في تشكيله على المستويين الدِّلاليِّ والتَّركيبيِّ، فيدخلُ

الخطابَ المُؤَجَّلَ للشَّخصيَّةِ المقول لها.

ولإثبات صـحة الفرضـية المذكورة يُخضـع البحثُ مجموعةً من أخبار صـدرِ الإسـلامِ وعصرِ بني أميَّةَ للدِّراسة والتَّحليل تحت محورين رئيسين:

1. يدرسُ المحورُ الأوَّلُ التّوجُّهَ الحواريَّ المضـــمرَ لخطاب الشَّـــخصـــيَّةِ القائلة نحو الخطاب المؤجَّل للشَّخصيَّةِ المقول لها في المشهدِ الخبريِّ.
2. ويدرسُ المحورُ الثَّاني التّوجُّهَ الحواريَّ الصَّـــريحَ لخطاب الشَّـــخصـــيَّةِ القائلة نحو الخطاب المؤجَّل للشَّخصيَّةِ المقول لها في المشهد الخبريِّ.

الكلمات المفتاحيَّة: حواريَّة، خبر، مشهد، قائل، مقول له.

The dialogical orientation of the narrator's speech towards the deferred speech of the narrated character in the scenes of the news of Sadr al-Islam and the era of Bani Umayyah

Summary of the research

The research opens up to the news scenes of the aspect of verbal activity in them; it looks at them in terms of the character and the corresponding character in the communicative context, assuming that the speech of the addressed character assumes the status of the interlocutor participating in the production of the speech of the addressed character, because it contributes to its formation at the semantic and structural levels, so that the two discourses enter into a dialogical relationship resulting from the speaker's attempt to build his speech in anticipation of the deferred speech of the addressed character.

In order to prove the validity of the hypothesis, the research examines and analyses a collection of news fromthe Sadr al-Islam and Bani Umayyah eras under two main axes:

1. The first axis examines the implicit dialogicalorientation of the narrator's discourse towards the deferred discourse of the narrated character in the news scene.
2. The second axis examines the explicitdialogicalorientation of the narrator's discourse towards the deferred discourse of the told character in the news scene.

Keywords: dialogue, news, scene, speakes

مقدمة البحث:

ينظرُ باختين إلى خطاب القائل النَّصِّـيِّ في نطاق العمل التَّخاطبيِّ في ضـوء علاقته بالجواب المرتقب للمقول له، فيتحدَّثُ عن علاقة حوارٍ داخليٍّ تربط خطاب القائل بالخطاب المؤجَّل للمقول له؛ إذ يتوجَّه القائل في العمليَّة التَّواصـليَّة نحو مقولٍ له يتلقَّى ما يُقال، ويتهيَّأُ للرَّدِّ، فيعملُ القائل على تشكيل خطابه مستبقاً ذاك الرَّدَّ، ليصبح "الفهمُ المقابل (الجوابيُّ) قوَّةً جوهريَّةً تسهم في تشكيل الخطاب"[1].

ويسـعى البحثُ إلى دراسـة هذا النَّمط من التّوجُّه الحواريِّ نحو المقول له في مشـاهد أخبار صدر الإسلام وعصر بني أميَّة.

هدفُ البحثِ، وجديدهُ، ومنهجهُ:

تنظرُ الدراسةُ إلى المشهد الخبريِّ من النَّاحية التَّلفُّظيّة التَّخاطبيَّة بوصفه عملاً تواصليَّاً بين شـخصـيَّتين خبريَّتين ترتبطان بعلاقة تفاعلية تتمثَّل في محاولة كلِّ شـخصـيَّة التَّأثير في الشَّـخصـيَّة المقابلة لها في نطاق عمليَّة التَّخاطب. فالشَّـخصـيَّةُ القائلةُ تتوجَّهُ نحو شـخصـيَّة ناشـطة للرَّدِّ، فتصـوغ خطابها محاولةً اسـتباق ردِّها، ليقترن خطاب الشَّـخصـيَّة القائلة مع الخطاب المرتقب للشَّخصيَّة المقول لها بعلاقة حواريَّة تفاعليَّة.

وإذ لم تنشـط أقلام الدارسـين لهذا النمط الحواري دراسـةً وتحليلاً، يعملُ البحث على دراسته في مشاهد أخبار صدر الإسلام وعصر بني أميَّة هادفاً إلى إثبات سبق الإخباريين العرب في التَّنبُّه على تأثير الجواب المرتقب للمقول له في إنتاج خطاب القائل.

تسـتفيد الدراسـة من معطيات التَّداوليَّة، فتتجاوزُ النظرةَ المحايثَةَ لخطاب الشَّـخصـيَّة الخبريَّة بوصفه وحدةً بنائيَّةً تُكوِّنُ مع خطاب الشَّخصيَّة المقابلة وحدة حواريَّة تدخل في تكوين المتن الخبري إلى رصد التأثير المتبادل بين خطابي تينك الشَّخصيَّتين.

[1] باختين، ميخائيل، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافة، دط، 1998م، ص35.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائيّة:

الحواريَّة:

الحواريَّة مصـــطلحٌ يعتمده باختين للدِّلالة على العلاقة التي تربط الخطاب بالخطابات الأُخَر. ويَمِيزُ باختين في كتابه "الكلمة في الرواية" بين نمطين من الحوار المتحقق بين الخطابات:

- حوارٍ محكومٍ بلقاء الخطاب بخطاب الآخر داخلَ الموضوع نفسه.
- وحوارٍ محكومٍ بلقاء الخطاب بخطاب الآخر ضـــمن الأفق الذَّاتيِّ للآخر (المقول له)[1].

ويُعنى البحث بالنمط الثاني محاولاً دراسته في مشاهد أخبار العصر الإسلامي.

الخبر:

الخبرُ شكلٌ أساسيٌّ من أشكال السَّرد العربيِّ القديم، وربما أطلق عليه اسم الحديث الذي ارتبط معناه بما روي عن الرسول (ﷺ) من أقوال. ويشترك الخبر مع الحديث النَّبوي في قيام كلٍّ منهما على سند ومتن، غير أنَّ وظيفةَ السَّند في الحديث النَّبوي هي تحقيق الحديث؛ أي البرهنة على أنه حقيقيٌّ قد صدر عن الرَّسول فعلاً، أما في الخبر الأدبيِّ فالإسناد وسيلة للمشاكلة؛ أي إيهام القارئ أو السامع أن الخبر ممكن الوقوع إن كان مداره على الأحداث، وممكن القول إن كان مداره على الأحاديث[2].

المشهد:

[1] ينظر: الكلمة في الرواية، ص38.

[2] مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1، 2010م، ص170.

يُطلق هذا المصطلح على مواضع القَصِّ المفصَّلِ الذي قد ينطوي على الوصف المبأر، أو الحوار في مقابل السَّرد المجمل. ويتميَّز المشهد بخصيصتين: الأولى تصوير الأحداث بتفاصيلها الكاملة، ونقل خطابات الشَّخصيَّات بحذافيرها، والثَّانية: خلق وهم التمَّثيل[1].

المقاربة التداولية:

دراسة النص في علاقته بالسياق التواصلي[2].

قد يسعى قائلٌ نصيٌّ في مشهدٍ سرديٍّ إلى تشكيل فعله التَّلفُّظي آخذاً في الحسبان الجواب المؤجَّل للمقول له، فيتوقَّع ردود الفعل إزاءَ ما سيقول، ومن ثمَّ يبني خطابه مستبقاً ردود الفعل تلك. وهو ما يعبِّرُ عنه باختين بـ "البناء على أرض المقول له"[3]. وقد سَبَقَ تنبُّهُ العرب على دور الجواب المرتَقَب للمقول له في تشكيل خطاب القائل، فممَّا قاله الجاحظ (ت 255 هـ) في مدح الأسلوب النَّبويِّ: "كان لا يلتمس إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم"[4]. ومدحَ أعرابيٌّ رجلاً، فقال: "يورد ما لا ينكره الخصم، ولا يدفعه الوهم"[5]. وقد تحدَّثت كتب الأخبار عن إخفاق عبد الله بن رَوَاحَة (ت 8 هـ) في هجاء كفَّار قريش؛ إذ اتَّخذ المعاني الإسلاميَّة الجديدة متَّكأً له، في حين نجحَ حَسَّانُ بنُ ثابتٍ (ت 54 هـ) في هجائهم؛ إذ اتَّخذ المعاني الجاهلية المألوفة متَّكأً[6]حتى كان فعله مدحة للنبي (ص)؛ إذ قال: "هَجَاهُم حَسَّانُ،

---

(1) ينظر: معجم السرديات: ص394.

(2) حمداوي، الجميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1 2015م. ص4.

(3) ينظر: الكلمة في الرواية. ص37.

(4) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط7، 1998م، ج2/ ص17.

(5) الأصفهاني، الراغب، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تح: عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1 1999م. ج1/ ص98.

(6) كان يهجو قريشاً ثلاثةُ نفرٍ من الأنصار: حسَّانُ بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. فكان حسَّانُ وكعبٌ يُعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويُعَيِّرانهم بالمثالب. وكان عبد الله بن رواحة يُعيِّرهم بالكفر. فكان في ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قول حسَّان وكعب، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة. فلما أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رواحة. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تح: إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، بيروت، دار صادر، ط3، 2008م، ج4/ ص107.

فَشَـفَى واشـتَفَى"[1]. وبالنَّظر في مشـاهد الأخبار المشـكِّلة مدوَّنة البحث من ناحية التَّواصـل السَّـرديِّ بين الشَّـخصـيَّة والشَّـخصـيَّة المقابلة لها في نطاق العمل التَّخاطبيِّ، يتبيَّن سـعي الشَّـخصـيَّة القائلة إلى تشـكيل خطابها في ضـوء الأفق الفكريِّ للشَّـخصـيَّة المقول لها محقِّقةً أهدافاً محدَّدة.

ويتَّخذُ الحوارُ بين خطاب القائل والخطاب المؤجَّل للمقول لـه في المشـــاهد الخبريَّة المشكِّلة مدَوَّنة البحث نمطين: مضمراً، وصريحاً:

1- الحوارُ المضمرُ بين خطاب القائل والخطاب المؤجَّل للمقول له في المشهد الخبريِّ:

يعمدُ القائلُ إلى استباق خطاب المقول له استباقاً مضمراً، فيدخل معه في حوارٍ داخليٍّ يتولَّدُ عنه فعلٌ تلفُّظيٌّ يحقِّقُ أهدافاً على مســـتوى العمل التَّخاطبيِّ، وينهضُ بوظائفَ على مستوى المسار الحدثيِّ.

1-1- أهداف التَّوجُّهِ الحواريِّ المضـــمر لخطاب الشَّـــخصـــيَّة القائلة نحو الخطاب المؤجَّل للشَّـخصـيَّةِ المقول لها على مسـتوى النشـاط التَّلفُّظيِّ في المشـهدِ الخبريِّ:

1-1-1-استدراج المقول له:

الاسـتدراج من اسـتدرج. واسـتَدرَجَهُ بمعنى أدناهُ منه على التَّدريج. والاسـتدراج أسـلوبٌ بلاغيٌّ يعرِّفـه ابن الأثير (ت 637 هـ) بـالقول: "هو مخـادعـات الأقوال التي تقوم مقـام مخادعات الأفعال"[2]. وتفترضُ عمليَّة اســتدراج القائلِ المقولَ له في مشـــاهد أخبار صـــدر الإسلام وعصر بني أميَّة توجُّهَ الشَّخصيَّة القائلة نحو الجواب المتوقع للشَّخصيَّة المقول لها،

[1] ابن الحجَّاج، مسـلم القشـيري النيسـابوري، صـحيح مسـلم، اعتنى به: نظر محمد الفاريابي، الرياض، دار طيبة، ط1 2006م، (ح 2490).

[2] ابن الأثير، ضـياء الدين، المثل السـائر في أدب الكاتب والشـاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط2، دت، ج2/ ص250.

والعمل على استباقه، ليرتبطَ الخطابان بعلاقة حواريَّة من شأنها إنتاجُ خطابٍ خليقٍ بالتأثير في الشَّخصيَّة المقول لها، واستمالتها.

وقد وجدَ البحثُ أنَّ هذا النَّمطَ من التَّوجُّه يرتبط بما يُسمَّى في الفلسفة بمبدأ الكمون. ويدلُّ المبدأ المذكور على أنَّ "أفضل طريقة توصل المتكلِّمَ إلى إقناع خصمه هي أن يضع نفسه في مكانه، وأن يخاطبه على قدر عقله، وأن يشعره أنَّ ما يقوله له مطابق لمشاغله الفكريَّة وحاجاته. وطريقةُ الإقناع هذه مقابلة للطَّريقة المدرسيَّة التي تحاول إثباتَ الحقيقة ببراهينَ عقليَّةٍ واحدةٍ صالحة لجميع الناس"[1]. وعليه يمكن القول: إنَّ الفلسفةَ تقابل بين نمطين من التَّوجُّه نحو المقول له: أوَّلهما حواريٌّ، وثانيهما خِلوٌ من الحواريَّة.

ويمكن التَّمثيل للتَّوجُّه الحواريِّ نحو الجواب المرتقَب للمقول له؛ بهدف استدراجه بالخبر الآتي[2]:

"حُدِّثتُ أنَّ واصل بن عطاء، أبا حذيفة، أقبل في رفقة، فأحسوا الخوارجَ، فقال واصل لأهل الرفقة: إنَّ هذا ليس من شأنكم، فاعتزلوا ودعوني وإياهم. وكانوا قد أشرفوا على العطب، فقالوا: شأنك. فخرج إليهم، فقالوا: ما أنت وأصحابك؟ فقال: مشركون مستجيرون؛ ليسمعوا كلام الله، ويفهموا حدوده. فقالوا: قد أجرناكم. قال: فعلِّمونا. فجعلوا يعلِّمونه أحكامهم، وجعل يقول: قد قبلت أنا ومن معي. قالوا: فامضوا مُصاحبين فإنكم إخواننا".

ينخرط واصِل بن عَطَاء (ت 131 هـ) في تبادلٍ قوليٍّ مع الخوارج؛ إذ يبادرونه بالسّؤال: "ما أنت وأصحابك؟"، فيجيب: "مشركون مستجيرون؛ ليسمعوا كلام الله، ويفهموا حدوده"، فيخرج تَدَخُّلُ أبي حذيفة عن القواعد التي يُفترض خضوعُ التَّبادل القوليِّ لها؛ جرَّاء عدم مطابقته الواقع[3]؛ إذ يصوغُهُ آخذاً في الحسبان ردَّ فعل الخوارج. وإذ يتأسَّسُ الفكرُ الخارجيُّ على تكفير من يخالف القرآن، يلجأ ابنُ عطاء إلى الآية القرآنيَّة: {وإن أَحَدٌ من

(1) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، دط، 1982م، ج2/ ص245.

(2) ابن يزيد المبرد، محمد، الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد الحميد هنداوي، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، دط، دت، ج3/ ص9.

(3) للتوسع في قواعد المحادثة، ينظر: معجم السرديات، ص394 وما بعدها.

المشركين استجارَك فأجِره حتَّى يسمعَ كلامَ اللهِ}[1] فيكرر مضمونها القضوي[2] بعد توجيهه توجيهاً إثباتيَّاً موهماً أنَّ الملفوظَ ذاتيٌّ باحتوائه قرائنَ تلفُّظيَّةً تحيل على حضور الذات المتلفِّظة. فيُشكِّلُ أبو حذيفة فعلَه التَّلفُّظيَّ في ضوء الأفق الفكري للخوارج؛ ليتمكَّن من استدراجهم، وإحداث تحوُّلٍ في المسار الحدثي؛ إذ يتمكَّن من تخليص نفسه ورفقته من مأزقهم في مواجهتهم فكراً دوغمائيَّاً يستبيح دمَ كلِّ مسلم خارج عنه.

يُنتج الحوار الدّاخليُّ بين خطاب واصل بن عطاء والخطاب المؤجَّل لجماعة الخوارج فعلاً تلفُّظيَّاً يقترحُ البحثُ وصفَه بالبراغماتيّ من جهة نظر المتلفّظ إلى النَّتائج العمليَّة التي قد تترتَّبُ على تلفُّظه.

يُبيِّن الاقترانُ الحواريُّ بين خطاب القائل والخطاب المؤجَّل للمقول له خضوعَ التَّبادل القوليِّ لمقام التَّواصل المُنتِج له. كما يبيِّن أنَّ المقام ليس مقتصراً على وضعيَّة التَّلفُّظ المباشرة التي يشكِّل المتخاطبون، ومكان التَّخاطب، وزمانه عناصرها الرئيسة، بل هنالك عناصرُ أخرى فاعلة في عمليَّة التَّخاطب ترتبط بذوات المتخاطبين من حيث البواطن النَّفسيَّة والعقائد والمقاصد... وهو ما يسمى في النَّقد الحديث بعالم الخطاب.[3]

وإذ يتَّجهُ القائلُ في النَّصِّ السَّابق إلى مقول له مباشر يقصده بالقول عل نحو صريح، يتَّجهُ القائل في النّصِّ الآتي إلى مقول له غير مباشر يقصده بالقول بصورة غير مباشرة في محاولة لاستدراجه إليه على النحو الذي يبينه تحليل الخبر الآتي[4]:

---

[1] القرآن الكريم، التَّوبة، ج10، الآية 6.

[2] يقتضي العمل اللغوي أن نميزَ فيه بين مقوِّمَين أساسيَّين: المضمون القضوي Contenupropositionnel، والقوَّة المضمَّنة في القول Forceillocutionnaire. فحينما نقول مثلاً: "هل جاء زيد؟"، ونقول: "جاء زيد"، نحصل على ملفوظين يتَّفقان في المضمون القضوي الذي هو مجيء زيد، ولكنَّهما يختلفان في نوع قوَّة القول المُؤدَّى بها كلُّ مضمون. فالقوَّة بالقول في الملفوظ الأوَّل هي الاستفهام، أما القوَّة في الملفوظ الثاني فهي الإثبات. معجم السَّرديَّات. ص294.

[3] ينظر: معجم السرديات. ص405.

[4] ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس، بكر عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1996م، ج8/ ص232.

"قَدِمَ معاويةُ المدينةَ ودخل المسجدَ وسعدُ بن أبي وَقَّاصٍ جالسٌ إلى ركن المنبر، فصعد المنبر، فجلس في مجلس النبي (ص). فقال له سـعد: يا معاوية، أَجَهِلتَ فنُعلِّمك، أم جُنِنتَ فنُداويك؟ فقال: يا أبا إسحاق، إني قدمتُ على قومي على غير تأهُّبٍ لهم. وأنا باعثٌ لهم بأعطياتهم إن شاء الله تعالى. فسَمِعَ الناس كلامَ معاويةَ، ولم يسمعوا كلامَ سعدٍ. وانصرف الناس يقولون: كلَّمه سعدٌ في العطاء، فأجابه إليه".

يرى سعد بن أبي وقاص (ت 55 هـ) أنَّ معاويةَ (ت 60 هـ) ليس بأهلٍ للخلافة، فيدخل معه في حوار يتمُّ بترُ تبادله الافتتاحيِّ، ليبدأ بتبادل أوسط[1] يحدِّدُ تدخُّلُ سعد وجهتَه وموضوعه. وإذ تفترضُ عمليَّة التَّبادل القوليِّ ملاءمة التَّدخُّلِ اللاحقِ التَّدخُّلَ السابقَ عليه، يعمد معاوية إلى ردٍّ يشذُّ عن القاعدة المذكورة، ما يوهم بخللٍ في نصيَّة[2] الأثر المنجَز، غيرَ أنَّ مقاربةَ الحوار تداوليّاً بإنزاله في المقام التَّخاطبيِّ المُنتِج له يسوّغُ ما يبدو مختلّاً في التَّحاور بين الشَّخصيَّتَين؛ إذ يتيح على سبيل التّأويل استنباط المقاصد الضِّمنيَّة لقول معاويةَ؛ فسعدٌ من كبار رجالات المدينة[3]، واعتراضه على بيعة معاوية أمام جمهور أهلها من شأنه أن يؤلِّبهم ضده. فيعمدُ معاويةُ إلى بناء خطابه آخذاً في الحسبان ردَّ فعل جمهور أهل المدينة مستغلّاً عدم سماعهم صوت سعد؛ لجلوسه إلى ركن المنبر، فيصوغُ تدخُّلاً يحمل صوتين: صوتَه، وصوتاً سرديّاً زائفاً يتوهَّم الحاضرون أنه صوت سعد، لتتعدَّد الأصوات في ملفوظٍ من شأنه أن يرسِّخَ صورةَ معاويةَ الخليفةِ الذي يُسأل أعطيات القوم ويجيب إليها. فيمكنُ عَدُّ سعدٍ المقولَ له المباشر الذي يتوَّجه إليه معاوية بخطابه، غيرَ أنَّ الخطابَ موجَّهٌ بصورة غير

---

[1] للحوار بنية نظريَّة ثلاثيَّة شبيهة ببنية المحادثة اليوميَّة: تحية أو تبادل افتتاح، وتبادل أوسط أو جوهر الحوار، وتحية أو تبادل اختتام. وغالباً ما تتشدُّ هذه التَّبادلات بعضها إلى بعض بروابط متينة تردُّ إلى احترام المتحاورين قوانين الخطاب أو قواعد المحادثة كأن تُردَّ التَّحيَّة، ويجاب عن السؤال. معجم السَّرديَّات. ص159-160.

[2] نبَّه الباحثون إلى أنَّ النَّصيَّةَ ليست وليدة النظام اللغوي وحده، بل هي مشروطة أيضاً بمقاييسَ تتصل بالمخاطِب والمخاطَب ووضعيَّة التَّلفُّظ. هذه المقاييس هي: الاتِّساق، الانسجام، المقصديَّة، المقبوليَّة، التَّناصّ، الإخباريَّة والمقاميّة. للتوسُّع ينظر: المرجع نفسه. ص453.

[3] فهو أحد من بقي من أعضاء "هيئة المهاجرين الأوَّلين" الهيئة السّياسيَّة الدُّستوريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة التي اختصَّت عقب وفاة النَّبي (ص) بمنصب الخلافة؛ إذ تتشاور لتحديد اسم الخليفة وتبايعه البيعة الخاصة التي ترشِّحه للبيعة العامة. للتوسع ينظر: الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السِّياسة، المؤسَّسة العربية للدِّراسات والنَّشر، دط، دت، ج6/ ص367.

مباشـــرة إلى جمهور أهل المدينة الذين يتَّخذون صـــفة المقول له غير المباشـــر. وبناءً على علاقة الحوار الدَّاخليِّ بين خطاب القائل والخطاب المؤجَّل للمقول له غير المباشـــر يمكنُ الاسـتدلالُ على وجود ضـربٍ من الملاءمة بين التَّدخُّلين المكوِّنين مشـهد حوار سـعدٍ ومعاويةَ بما يحقِّقُ انسجام النَّصِّ، فالتَّدخُّل الأوَّل المُشتَمِل عليه الحوار صيغَ بأسلوب الاستفهام الخارج إلى معنى الإنكار؛ إذ ينكر سـعدٌ على معاويةَ اعتلاءَه المنبر بوصـفه خليفةً للمسـلمين، فيأتي تدخُّل معاوية ملائماً من جهة إثباته صفته تلك بتحدُّثِهِ عن شأنٍ داخليٍّ من شؤون الحكم.

وبنـاءً على مـا تقـدَّم يمكن القول: يؤثِّر الحوار الـدَّاخليُّ بين القـائـل والجواب المؤجَّـل للمقول له في إنجاز خطاب القائل، كما يؤثِّر في تأويله. وإنَّ تأويل خطاب الشَّـخصـيَّة القائلة في ضـوء علاقته الحواريَّة مع الخطاب المرتقب للشَّـخصـيَّة المقول لها أسـهم في تحقيق مقوِّم رئيسٍ من مقوِّمات النَّصيَّة يتمثَّل في انسجام النَّصِّ.[1]

وقد يدخُلُ خطاب القائل مع الخطاب المرتَقَب للمقول له في حوارٍ داخليٍّ يُنتجُ ما يسمِّيه النقد بالجواب المسـكت[2]؛ إذ يسـعى القائل إلى اسـتدراج المقول له ومغالبته بإظهار الحجَّة عليه. ويقترحُ البحثُ ربطَ قضـيَّة إلجام الخصـم بالحجَّة بما يُعرف فلسـفيّاً بالاحتمال الذِّهنيِّ[3]؛ فالقائلُ الحاذقُ يتوجَّهُ إلى مقول له يتوقَّع منه عدداً من الأجوبة الممكنة، فيصـــوغُ فعلاً تلفُّظيَّاً قادراً على ســـدِّ منافِذِ القول عليه، ليرتبط خطاب القائل مع الخطاب المتوقَّع للمقول له بعلاقة

---

[1] ليس الانسجام خاصيَّة لغويَّة في الملفوظات، بل هو نتاجُ نشاطٍ تأويليٍّ. معجم السَّرديَّات. ص41.

[2] يقال في تعريف الأجوبة المسكتة: "هي مجموعة من الأجوبة الحاذقة الذَّكيَّة يردُّ بها المسؤول على من يسأله؛ ليفحمه بالجواب المسـكت". ابن أبي عون، إبراهيم، تح: مي أحمد يوسـف، الأجوبة المسـكتة، القاهرة، عين للدراسـات والبحوث الإنسـانية والاجتماعية، ط1، 1996م، ص37. ويورد إبراهيم فتحي في معجم "المصـطلحات الأدبية" مصـطلحاً قريباً من مصـطلح "الجواب المسـكت" هو: حوار السـطر الواحد (المبارزة الكلامية) stichomythia. ويُعرِّفه بالقول: "في الأصـل يشـير التَّعبير إلى حوار في مسـرحيَّة إغريقيَّة تتبادل فيه الشـخصـيات عبارات لا تزيد على سـطر واحد. وقد اتَّسـع معنى المصـــطلح بعد ذلك ليشـــمل كل حضـــور للبديهة يتجلَّى في الإجابة السَّـــريعة، وكل المبارزات الكلامية التي تدور بين الشخصيَّات في المسرحيات، أو الأنواع الأدبية الأخرى. ومن أمثلته ما تبادله هاملت وأمه من حديث في المنظر الذي قُتل فيه بولونيوس (...) ومن أمثلته الحديثة خطابات الفرسـان الموجَّهة إلى توماس بيكيت في سـطور أربعة كل منها كالنَّصـل الحاد". ص149.

[3] الاحتمال الذهني: هو توقُّعُ الذهن حدوث أمر، وإن كان حدوثه غير يقيني. المعجم الفلسفي، ج2/ ص353.

حواريَّة داخليَّة يمكن استناداً إليها القول: إنَّ الجوابَ المسكتَ ناجمٌ عن توجُّهِ القائل حواريّاً نحو الأجوبة المُتَوَقَّعة للمقول له، والعمل على استباقها بحجَّة تسدُّ فجاج القول أمامه. وإنَّ فعلاً تلفُّظيَّاً غيرَ مؤسَّسٍ على حوارٍ داخليٍّ بين القائل والجواب المتوقَّع للمقول له لا يحجُّ الخصم، فقد جاء في الخبر[1]: "هرب سليمانُ بنُ عبد الملك من الطَّاعون، فقيل له: إنَّ الله تعالى يقول: {لن ينفعَكُم الفِرارُ إن فَرَرتُم مِنَ الموتِ أو القتلِ وإذاً لا تُمَتَّعون إلا قليلاً}[2]. فقال سليمانُ: ذلك القليل نطلب".

لم يستطع القائلُ في الخبر السَّابق استدراجَ سليمانَ (ت 99 هـ) إلى الصَّمت عن الجواب، فلم تسدَّ الحجَّة منافذ القول على الخليفة الذي وجد لنفسه مخرجاً بانتزاعه المستثنى بإلا "قليلاً" الواقع موقع النَّعت لمصدر محذوف تقديره "زماناً" معيداً صياغته؛ ليُبيِّنَ أنَّ هذا الزمنَ القليلَ مطلبهُ.

ونظير ذلك ما جاء في الخبر الآتي[3]:

"وقف رجل للحجَّاج، فقال: أصلح الله الأمير، جنى جانٍ في الحيِّ، فأُخذتُ بجريرته وأُسقِط عطائي. فقال: أما سمعت قول الشَّاعر[4]:

---

[1] الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط1، 1412هـ، ج5/ ص42.

[2] القرآن الكريم، الأحزاب، ج 21، الآية 16.

[3] التذكرة الحمدونية، ج7/ ص200.

[4] وجدتُ البيتَ الأول بصيغته المُثبتة منسوباً إلى ذؤيب بن كعب التميمي في كتابَي: الوساطة بين المتنبي وخصومه، والمستقصى في أمثال العرب. ووجدته على اختلاف في أمثال العرب، وفيه: تعدي الصِّحاحَ فتَجربُ الجُربُ. ينظر: القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دط، دت، ص283.

–الزمخشري، محمود بن عمر، المستقصى في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1987م، ج2/ ص49.

–الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى، أمثال العرب، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الرائد العربي، ط2، 1983م، ص81.

جانِيكَ مَن يَجني عليك وقد تُعدِي الصِّحاحَ مَبارِكُ الجُربِ[1]

ولَرُبَّ مأخوذٍ بذنب صديقه ونجا المقارفُ صاحبُ الذَّنبِ

فقال الرَّجل: كتاب الله تعالى أولى ما اتُّبِع، قال الله عزَّ وجلَّ: {معاذَ اللهِ أن نأخذَ إلا مَن وجدنا متاعنا عندَه}[2]. فقال الحجَّاج: صدقتَ. وأمر بردِّ عطائه".

تفترضُ عمليَّة استدراج المقول له إلى الصَّمت عن الجواب قدرة حجاجيَّة عالية على النَّحو الذي يُبيِّنه تحليل الخبر الآتي[3]:

"أخذَ عبدُ الملك بن مروان بعضَ أصحاب شبيب الخارجيِّ، فقال له: ألستَ القائل[4]:

ومِنَّا شَريدٌ والبَطينُ وقَعنَبٌ ومِنَّا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّما قلتُ: ومِنَّا أميرَ المؤمنين شبيب، وأردت بذلك مناداةً لك. فكان ذلك سبباً لنجاته".

يتأسَّسُ قول عبد الملك (ت 86 هـ) على ما يسمِّيه باختينُ بالحوار المجهريِّ[5]؛ إذ يستدعي الخليفة قول الخارجيِّ بنبرته المُفتخِرَة مضيفاً إليه نبرته السَّاخطة؛ لتستبطنَ كل لفظة جدلاً بين صوت السُّلطة الحاكمة وصوت الخارجين عنها، فيكتسبُ القولُ، إذ يُقال في مقامَين

---

[1] قولُه "جانيك من يجني عليك" مَثَلٌ يُضرَبُ في أخذ البريء بذنب صاحب الجناية. ينظر: ابن سلام، أبو عبيد القاسم، الأمثال، تح: عبد المجيد قطامش، دمشق، دار المأمون للتراث، ط1، 1980م، ص273.

[2] القرآن الكريم، يوسف، ج13، الآية 79.

[3] الأبشيهي، محمد بن أحمد بن منصور، المستطرف في كل فن مستظرف، تح: إبراهيم صالح، بيروت، دار صادر، ط1، 1999م، ج1/ ص197.

[4] البيت لعتبان بن أصيلة الشيباني. ينظر: عباس، إحسان، شعر الخوارج، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1974م، ص183. وفيه: فمنا سويد...

[5] يورد باختين في كتابه "شعرية دوستويفسكي" على لسان راسكولينكوف أحد شخصيَّات رواية "الجريمة والعقاب": (كيف لا والأمر يتعلق برووديا، روديا الذي لا يقدَّر بثمن، روديا البكر)، ثم يعلق عليه بالقول: (تتردَّدُ أصداء صوت الأم بنبراتها الطافحة بالحب جنباً إلى جنب مع صوت راسكولينكوف بنبراته الطافحة بالسخرية والاستياء (بسبب التضحية من أجله) لقد تغلغل الحوار إلى داخل كل كلمة مثيراً فيها روح الصراع والخصومة. هذا هو الحوار المجهري). ينظر: باختين، ميخائيل، شعرية دوستويفسكي، تر: جميل التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، بغداد، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط1، 1986م. ص106.

تلفُّظيَّين متباينين، نبرتين مختلفتين مرتبطتين بالسِّياقين المقاميَّين اللذين تمَّ إدراج القول فيهما. وإنَّ الخارجيَّ، إذ يستمع إلى عبد الملك ويتوقَّع منه إصدار حكم بالقتل ضده، يحاول استباقَ حكمه بخطاب يُلجم خصمه، ويخرجه من مأزقه، فيعمد إلى تغيير الحركة الإعرابيَّة من الرَّفع إلى النَّصب ناقلاً البيت من مستوى دلالي إلى آخر؛ فقد أُسِّسَ البناءُ اللغويُّ لعجز البيت على النحو الآتي:

خبر مبتدأ مضاف إليه بدل (أ)

ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ

ليُؤسَّسَ بعد تغيير الحركة الإعرابيَّة على النحو الآتي:

خبر منادى لأداة نداء محذوفة مضاف إليه مبتدأ (ب)

ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ

فكان البناءُ اللغويُّ الجديد سبباً لنجاة الخارجيِّ، فبعد أن كان (شبيب) في التركيب (أ) عطف بيان على (أمير المؤمنين)؛ لغرض توضيحه، أصبح مبتدأ في التَّركيب (ب)؛ لينضمَّ إلى قائمة الأسماء التي سبق تعدادها.

وكثيراً ما يعتمد القائل في المشاهد الخبريَّة مبدأ محاجَّة الخصم بكلامه[1]؛ إذ تنشأ بين خطاب القائل والخطاب المؤجَّل للمقول له علاقةُ حوار داخليٍّ قوامها أنَّ القائلَ إذ يستمعُ إلى خصمه الذي يحاول حَجَّهُ، يتنبَّهُ إلى زلل يقعُ فيه، فيعمد إلى الحجَّة التي يقيمها خصمُه عليه فينقلُها من حيِّز الابتداء إلى حيِّز الجواب رامياً إيَّاه بثالثة الأثافيِّ كما يبيِّن تحليل الخبر الآتي[2]:

[1] محاجة الإنسان بكلامه، أو من فمكَ أُدينكَ: تُقال بحق الخصم الذي تقارعه، سواء أكانت هذه الحجَّة قائمة على خطأ، أم كانت مبنيَّة على تردُّد الخصم وتراجعه. لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفيَّة، تعريب: خليل أحمد خليل، أشرف عليه: أحمد عويدات، بيروت، باريس، منشورات عويدات، ط2، 2001م، ص31.

[2] البيان والتبيين، ج4/ ص75.

"دخل رجلٌ من بني مخزوم، وكان زبيريَّاً، على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: أليس قد ردَّك الله على عقِبَيك؟ قال: أَوَمَن رُدَّ إليك فقد رُدَّ على عَقِبيه؟ فاستحيا وعلم أنه أساء".

لجأ عبد الملك إلى أسلوب إنشائي يقوم على الاستفهام الخارج عن أصل معناه؛ ليقرِّرَ معنى رجوع المخالف له عما كان فيه. وقد أساء الخليفة التعبير؛ إذ قال: "أليس قد ردَّك الله على عقبيك؟"فجاء الجارُّ والمجرور "على عقبيك" في موضع الحال؛ إذ المعنى: ناكصاً على عقبيك. ولا يُقال ذلك إلا في الرُّجوع عن الخير[1]. فما كان من الزُّبيريِّ إلَّا أن انتزع هذا القول من فم عبد الملك وأعادَ صياغتَه على وفق أسلوبٍ إنشائيٍّ استفهاميٍّ غرضُه التَّهكُّمُ، لترتدَّ أرعاظُ النَّبلِ على الخليفةِ الذي يقول الخبر إنه استحيا وعلم أنه قد أساء.

لقد انتزعَ المخزوميُّ حجَّتَه من فم عبد الملك؛ ليعيدَ توظيفها في خطابه على نحو مضادٍّ. فخضعت الحجَّةُ عينُها في نصِّ الخبر لمستويين متضادَّين:

- فقامت في المستوى الأول بوصفها حجَّةً يقيمُها المبتدئ على خصمه.
- وقامت في المستوى الثَّاني بدورٍ مضادٍّ للدَّور الذي اضطلعت به في المستوى الأوَّل؛ إذ عمد إليها المجيب محوِّلاً إيَّاها إلى حجَّةٍ يقيمها على مبتدئه قاطعاً عليه طريقَ الرَّدِّ.

ونظير ذلك ما جاء في الخبر الآتي[2]:

---

[1] ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1987م، مادة (نكص).

[2] ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذَّاهن والهاجس، تح: محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، دط، دت، ج2/ ص77.

"دعا عبد الملك بن مروان رجلاً إلى غدائه، فقال له: تغدَّيت. فقال عبد الملك: ما أقبح بالرَّجل[1] أن يأكلَ حتى لا تكون فيه بقيَّةٌ للطعام! فقال: يا أمير المؤمنين بي فَضـــل، ولكنِّي كرهتُ أن آكل، فأصيرَ إلى ما استقبح أمير المؤمنين".

ومهما بدت الحجَّةُ واهيةً، فإنَّ انتزاعَها من فم الخصـــم يُكســـبهُا صـــفةَ الإفحام، ففي الخبر[2]:

"ســـمعَ عبدُ الملكِ عبدَ الله بن يزيد بن معاوية يتكلَّم، فلحن، فقال: هذا خليفة ابن خليفة ابن خليفة. فقال عبد الله: ابنك الوليد يلحن. فقال: أخوه سـليمان لا يلحن. فقال عبد الله: أخي خالد لا يلحن.

فقولُه: "أخي خالد لا يلحن" حجَّةٌ ضـعيفةٌ واهية، غير أنها اكتسبت صـفة الإفحام؛ لأن عبد الملك اتَّخذها سبيلاً؛ ليُسكتَ عبد الله إذ قال له: ابنك الوليد يلحن، فأعادها عليه عبد الله، فلم يملك لها عبد الملك بعد إذ ذاك ردَّاً.

وإذ تمَّ في الأخبار السّـابقة انتزاعُ الحجَّة من فم الخصـم؛ ليُعادَ توظيفُها صـراحةً، يبيِّن الخبرُ الآتي انتزاعَ الحجَّة من فم الخصـــم، ليُعادَ توظيفُها كنايةً، فقد روي "أنَّ عروةَ بن الزُّبير إذا أسرع إليه إنسانٌ بسوء لم يُجِبه، ويقول: إني لأتركك رفعاً لنفسي عنك.

فجرى بينه وبين علي بن عبد الله بن عبَّاس كلام، فأسـرع إليه عروة بسـوء، فقال علي: إني لأتركك لِمَا تترك النَّاس له. فاشتدَّ على عروة"[3].

لقد اسـتطاعَ القائلُ اسـتدراجَ خصـمه إلى الصَّـمتِ عن الجواب بحجَّة انتزعها من فيه ناقلاً إيَّاها من حيِّز الابتداء إلى حيِّز الجواب؛ لتتحوَّلَ من حجَّةٍ عليه إلى حجَّـة لـه، فتحقِّقَ غاية الإفحام.

---

[1] كذا، والأولى: أقبح بالرَّجل.

[2] الأجوبة المسكتة، ص25.

[3] ابن المعتز، عبد الله، البديع، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس: إغناطيوس كراتشقوفسكي، بيروت، دار المسيرة، ط3، 1982م، ص64.

وقد يتمُّ استدراجُ المقول له باعتماد أساليبَ بلاغيَّةٍ؛ إذ يدخلُ خطابُ القائل مع الخطاب المرتقب للمقول له في حوارٍ داخليٍّ يُنتج خطاباً بلاغيَّاً يتداخلُ فيه السَّرديُّ والشِّعريُّ، فيتوسَّلُ السَّاردُ بالخطاب الشِّعريِّ؛ للتَّأثير في المقول له واستدراجه إليه.

ويمكنُ الحديث عن أربع تقنيات بلاغيَّة تعتمدها الشَّخصيَّةُ القائلة في مشاهد أخبار صدر الإسلام وعصر بني أميَّة؛ لاستدراج الشَّخصيَّةِ المقول لها:

- الاستدراج بالتَّضادِّ.
- الاستدراج بتجاهل العارف.
- الاستدراج بأسلوب الحكيم.
- الاستدراج بحسن التَّعليل.

- **الاستدراج بالتَّضادِّ:**

قد يستدرجُ القائلُ المقولَ له بإنتاجِ ثنائيَّة ضديَّة تدفعُ المقول له لإصدار حكمٍ قيميٍّ يُعلي الطَّرفَ الأوَّلَ ويُهمِّشُ الطَّرف المقابل على النحو الذي يبيِّنه تحليل الخبر الآتي[1]:

"حُدِّثتُ أنَّ أبا بكر، رحمه الله، ولَّى يزيدَ بن أبي سفيان رُبعاً من أَرباع الشَّام. فرقي المنبر، فتكلَّم، فأرتج عليه، فاستأنف، فأرتج عليه، فقطع الخطبة، فقال: سيجعل الله بعد عُسرٍ يُسراً، وبعد عِيٍّ بياناً. وأنتم إلى أميرٍ فعَّال أَحوَجُ منكم إلى أميرٍ قوَّال".

تضطلع العبارة التي يختم بها يزيد كلامه "وأنتم إلى أميرٍ فعَّال أَحوَجُ منكم إلى أميرٍ قوَّال" بإنتاج قطبين يشكّلان طرفي ثنائيَّة ضديَّة تضع الفعل في مقابل القول مانحةً الأفضليَّة للفعل. وكان الأحرى بالوالي الجديد أن يُحسن المقال، ثم يشفعه بالفعال، فالخطابة من لوازم السِّيادة عند العرب، غير أنَّه لمَّا أُغلِقَت عليه أبواب القول وخشي أن ينتقص منه أهل الشَّام، استبقَ ردَّةَ فعلهم بإفقاد الخطابة أهميَّتها بإدخالها، بوصفها كلاماً، في علاقة ضديَّة مع الفعل دافعاً المتلقِّين لإصدار حكمٍ قيميٍّ يُعلي شأن الفعل في مقابل تهميش شأن القول؛ ليبدو

[1] الكامل في اللغة والأدب. ج1/ ص153.

أمامهم رجل أفعال لا رجل أقوال. وقد أحدثَ السَّجعُ في العبارة المُنتِجَة للتَّضادِّ إيقاعاً أشبهَ الإيقاعَ الدَّاخليَّ في البيت الشِّعريِّ مرشِّحاً التَّضادَّ ومُكسِباً إيَّاه القوَّة التَّأثيريَّة المطلوبة.

وقد يلجأ القائلُ في استدراج المقول له إلى توليد معنى مضادٍّ لمعنى سابق عليه بما يسميِّه ابن أبي الإصبع (ت 654 هـ) بالتَّوليد[1] كما يتبيَّن في الخبر الآتي[2]:

"أُتِيَ الحجَّاج بدوابَّ لابن الأشعث، فإذا سماتُها "عُدَّة"، فوسم تحت ذلك "للفِرار" ".

يأتي الخطابُ المولَّد "عدَّة للفِرار" حاملاً صوت عبد الرَّحمَن بن الأشعث، وصوت الحجَّاج (ت 95 هـ) الذي يتبنَّى صوت ابن الأشعث، بقصد تحويل دلالته. وحدثَ أن خلعَ ابن الأشعث طاعة الحجَّاج، وعزم على إخراجه من أرض العراق، فحاربه الحجَّاج، وانتصر عليه في موقعة "دير الجماجم" سنة 83هـ. ولمّا صارت خيلُهإليه وقد وَسَم على أفخاذها "عدَّة"، جعل تحتها "للفرار"، ليتمكَّن الحجَّاج من تطوير خطاب الآخر بوضعه في سياقٍ مضادٍّ يُنتج مستوى دلاليَّاً يستبق به الحجَّاج أيَّ محاولة للخروج عليه. فيستحضر الحجَّاج في خطابه المولَّد مقولاً له غير مباشر يتمثَّل في مَن تُسوِّل لهم أنفسهم بالخروج على الطَّاعة، ومفارقة الجماعة، فيستبق محاولاتهم بخطابٍ قادرٍ على ترهيبهم، فالخيل التي تُعَدُّ للهجوم عليه لن تلبث أن تتحول إلى عدة للهرب أمام بطشه وجبروته.

- **الاستدراج بتجاهل العارف:**

[1] التَّوليد على ضربين: من الألفاظ، ومن المعاني. فالذي من الألفاظ على ضربين أيضاً: توليد المتكلِّم من لفظه ولفظ غيره، وتوليده من لفظ نفسه. والأول (وهو المراد في هذا البحث) هو أن يزوِّج المتكلِّم كلمة من لفظه إلى كلمة من غيره، فيتولَّد بينهما كلام يتضاد مع غرض صاحب الكلمة الأجنبيَّة. وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة. ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشِّعر والنَّثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حنفي محمد شرف، دط، دت، ص494.

[2] التَّوحيدي، أبو حيَّان، البصائر والذَّخائر، تح: وداد القاضي، بيروت، دار صادر، ط1، 1988م، ج4/ ص240.

يُعرَّفُ تجاهلُ العارف بأنه سوقُ المعلوم مساق غيره؛ لنكتة[1]. وقد يعمد القائلُ، إذ يتوجَّهُ حوارياً نحو الخطاب المرتقب للمقول له، إلى التَّفوُّه بكلامٍ يخرجه مخرجَ الجهل بالشيء مع علمه به ضمناً مُحدِثاً ضرباً من الحوار الأجناسيِّ بين الشِّعريِّ والسَّرديِّ، بهدف التَّأثير في المقول له، واستدراجه كما يبيِّن تحليل الخبر الآتي[2]:

"يروى أنَّ ليلى الأخيليَّة قدمت على الحجَّاج، فأنشدته[3]:

إذا وردَ الحجَّاج أرضاً مريضةً تَتَبَّعَ أقصى دائها فشفاها
شفاها من الدَّاءِ العُقَامِ الذي بها غلامٌ إذا هزَّ القناةَ ثناها[4]

فقال: لا تقولي: غلامٌ، قولي هُمَامٌ... فلمَّا كان الغدُ، دخلت عليه فقال: يا غلام، أعطها خمسمائة. فقالت: أيُّها الأمير، اجعلها أُدماً. فقال قائل: إنَّما أمر لك بشاء. قالت: الأميرُ أكرمُ من ذلك. فجعلها إبلاً إناثاً استحياءً، وإنَّما كان أمر لها بشاء أولاً".

عمدت ليلى إلى مدح الحجَّاج بفضيلة الشَّجاعة واصفةً إيَّاه بشدَّة البطش، والنِّكاية في العدوِّ في محاولة منها هزَّ أريحيَّته للعطاء. لكنَّ الحجَّاج رأى منها تقصيراً عن بلوغ غرضها إذ قالت: "غلام إذا هزَّ القناة ثناها"، فاقترح عليها قول "همام" عوض "غلام"؛ ليَحسُنَ الكلامُ بمطابقته الغرض المقصود، وعدم عدوله عنه. وعليه أمر لها بالصلة، فقال: "يا غلام، أعطها خمسمائة"، فسارعت ليلى للقول: "اجعلها أدماً" مستغلَّةً صمتَ الحجَّاج عن تفسير المبهم "خمسمائة" وإن كان معلوماً من السياق، بدليل قولِ أحد الحاضرين: "إنَّما أمر لك بشاء"، لكنّها تجاهلت علمها بذلك، وساقت الكلام مساقَ المتيقِّن أنَّ الأميرَ لكرمه، قد أمر لها بخمسمائة

---

[1] عيسى، محمد سلمان-دهمان، أحمد علي، البلاغة العربيَّة (البيان والبديع)، منشورات جامعة البعث 2002-2003م. ص57.

[2] الكامل في اللغة والأدب، ج1/ ص365.

[3] البيتان على اختلاف في ديوان ليلى الأخيليَّة، تح وشرح: واضح الصمد، بيروت، دار صادر، ط2، 2003م. ص88-89.

[4] داءٌ عَقام وعُقام: لا يَبرأ. والضم أفصح. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، دط، دت، مادة (عقم).

من الإبل، وعليه جاء قولها "اجعلها أدماً"، ليعود ضمير الغيبة المقترن بفعل التَّصيير على الإبل، وهو ما يبيِّنه المفعول الثَّاني للفعل المذكور، فالأُدْم: البيض من الإبل، وهي أكرمها. فتمكَّنت ليلى بسوقها المعلومَ مساق غيره من تحويل عطاء الحجَّاج من خمسمائة من الشَّاء إلى خمسمائة من الإبل.

- **الاستدراج بأسلوب الحكيم:**

يُعرَّف أسلوب الحكيم بأنَّه: "تلقِّي المخاطَب بغير ما يترقَّب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنَّه الأولى بالقصد، أو السَّائل بغير ما يتطلَّب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله، أو المهم له"[1].

ويتمُّ استدراجُ المقولِ له في أخبار صدر الإسلام وعصر بني أميَّة بأسلوب حكيم بحمل القائلِ كلامَ المقول له على غير المعنى المراد موجِّهاً إياه إلى ما ينبغي له أن يقصده. فيتوجَّهُ القائل نحو المقول له توجُّهاً حواريًّاً قوامه أنَّ الشَّخصيَّةَ الخبريَّةَ إذ تستمع إلى الشَّخصيَّة المقابلة لها في نطاق العملالتَّخاطبيِّ تتنبَّهُ إلى ثغرةٍ لغويَّةٍ تمكِّنها من حمل كلامها على معنى غير المعنى المراد على النحو الذي يبيِّنه تحليل الخبر الآتي[2]:

"توعَّد الحجَّاجُ القبعثريَّ، فقال: لَأَحملَنَّكَ على الأدهم.

فقال القبعثريُّ: مِثْلُ الأمير يحمل على الأدهم والأشهب.

فقال الحجَّاجُ: قصدتُ الحديد.

فقال القبعثريُّ: لأَن يكون حديداً خيرٌ من أن يكون بليداً".

---

[1] التنوخي، عز الدين، تهذيب الإيضاح (شرح كتاب الإيضاح للخطيب القزويني)، مطبعة الجامعة السورية، دط، 1949م، ص200.

[2] حَبَنَّكة، عبد الرحمن، البلاغة العربيَّة، دمشق، دار القلم، ط1، 1996م، ج1/ ص499.

يعمد القبعثريُّ إلى نقل كلام الحجَّاجِ من مستوى سلبيٍّ يتمثَّلُ في الوعيد والتَّهديد إلى مستوى إيجابيٍّ يبرز قدرته وسلطته مستفيداً من ظاهرة المشترك اللفظيِّ[1] التي يتمُّ على أساسها التَّعامل مع العلامة اللغويَّة "الأدهم" بإقصاء معناها الذي أراده الحجَّاج، وهو القيد، ومنحِها معنى جديداً؛ إذ جُعلت صفة لونيَّة للخيل[2]. والعرب تقول: ملوك الخيل دُهمُها، فَمِثل الحجَّاجِ يحمل على دُهمِ الخيل، وفي ذلك إبرازٌ لسلطته. وقد أكَّد القبعثريُّ هذا المعنى حين لجأ إلى أسلوب العطف جارَّاً معنى الفعل "يحمل" إلى "الأشهب"[3] مشركاً إيَّاه في حكم "الأدهم"، فأفادت "الواو" التَّشريك اللفظيَّ والمعنويَّ؛ لترسيخ المعنى الجديد لكلمة "الأدهم"، ودفعِ معناها الذي أراده الحجَّاج. وحين يصرُّ الحجَّاجُ على معناه الذي أراده؛ إذ يقول: قصدت الحديد، يعاود القبعثريُّ الاستفادة من ظاهرة المشترك اللفظيِّ جاعلاً الحديد صفة للفرس الأدهم، فيقول: الفرس الحديد؛ أي الجلد، خيرٌ من الفرس البليد.

لقد "أبرز القبعثريُّ وعيدَ الحجَّاجِ في معرض الوعد متوصِّلاً أن يريه بألطف وجه أن مثله خليقٌ بأن يَصفَدَ لا أن يُصَفِّدَ، وأن يَعِد لا أن يوعد"[4]. فشكَّل فعلَه التَّلفُّظيَّ تحت تأثير الرَّدِّ المُسبق للحجَّاج في محاولةٍ لثنيه عن موقفه، وتوجيهه لما ينبغي أن يكون عليه.

- **الاستدراج بحسن التَّعليل:**

يتَّخذ التَّعليل شكلاً أدبيَّاً حين يحقِّقُ انتقالاً بلاغيَّاً من الحقيقي إلى الخياليِّ، فيتمُّ تقديم علَّةٍ متخيَّلة للمعلول، إذ يتم تجاهلُ علَّتِه الحقيقيَّةِ، وهو ما يُعرف بحسن التَّعليل، ويعرِّفه

---

(1) يقول الأبشيهي في كتابه "المستطرف في كلِّ فنٍّ مستظرف" عن فائدة المشترك اللفظي: "لولا الاشتراك ما تهيَّأ لمُتسنِّرٍ مُرادٌ، ولا سَلِمَ له في التَّخلُّصِ قيادٌ". ج1/ ص159.

(2) الدُّهمَةُ: السواد. والأَدهم: الأسود، يكون في الخيل والإبل وغيرهما، فرس أَدهَمُ، وبعير أَدهَمُ. لسان العرب، (دهم).

(3) الشُّهبة: البياضُ الذي غَلَبَ على السَّواد. يقال: فرسٌ أشهبُ. لسان العرب، (شهب).

(4) السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1987م، ص328. أصفَدَه: أعطاه. وصَفَّدَه: أوثقه وشدَّه وقيَّده في الحديد وغيره. لسان العرب، مادة (صفد).

البلاغيون بقولهم: "هو أن يُدَّعى لوصف علَّةٌ مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقيٍّ"[1]. لذا عُدَّ حسن التَّعليل ضربٌ من الحيلة والخداع، لكنَّه الخداعُ المكشوفُ وهو مع ذلك المقبولُ المتجاوَزُ عنه؛ لِمَا يحمله من طاقتَي الإدهاش، والإمتاع.

وقد تمكَّن الخارجُ على عبد الملك في الخبر الآتي[2] من تسويغ خروجه بطريقة طريقةاستطاعت استمالة عبد الملك الذي يقول الخبر إنه عفا عنه، وخلّى سبيله:

"أُتي عبد الملك بن مروان برجل كان مع بعض مَن خرج عليه، فقال: اضربوا عنقه. فقال: يا أمير المؤمنين، ما كان هذا جزائي منك. قال: وما جزاؤك؟ قال: والله، ما خرجت مع فلان إلَّا بالنظر لك، ذلك أنِّي رجل مشؤوم، ما كنت مع رجل قطُّ إلَّا غُلب وهزم، وقد بان لك صحَّة ما ادَّعيت. وكنت لك خيراً من مئة ألف معك. فضحك وخلَّى سبيله".

ظهورُ الحركات الخارجة على الدَّولة أمرٌ ثابت ذو علَّة ظاهرة تتمثَّل في محاولة الخارجين تقويض أركان النِّظام القائم، وإقامة نظام آخر مقامه، لكنَّ الخارجيَّ تجاهل العلَّةَ المذكورة وسوَّغ فعلته تسويغاً خارجاً عن المعهود مُدَّعياً أنَّه خرج مع أعداء الخليفة حتى يَشأَمَهُم، فيجرَّ عليهم الشرَّ والهزيمة، ليتمكَّن بخطابه المؤسَّس على استباق ردة فعل الخليفة من تحويل مسار الأحداث من مستوى سلبي (القتل) إلى مستوى مضادٍّ (العفو) بما أدخله من سرور على نفس عبد الملك؛ إذ قابله بضحكٍ أعقبه إصدار عفو عنه.

وإذ تشكَّلَ خطابُ القائل في المشاهد الخبريَّة السَّابقة بتأثير الرَّدِّ المُسبَق للمقول له بهدف استدراجه، يتَّخذ في الخبر الآتي هدفاً مغايراً يتمثَّلُ في مراعاة مقام التَّواصل.

1-1-2- مراعاة مقام التَّواصل:

---

[1] ابن معصوم المدني، علي، أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، ط1، 1969م، ج6/ ص136.

[2] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، أخبار الأذكياء، بعناية: بسام عبد الوهَّاب الجابي، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2003م، ص158.

من ذلك ما جاء في الخبر الآتي[1]: "قال الحجَّاجُ للمُهَلَّب وهو يماشـــيه: أنا أطول أم أنت؟ فقال: الأمير أطول، وأنا أبسط قامة".

لم يُجِبِ المُهَلَّبُ (ت 83 هـ) بالقول: أنا أطول منك، وكان يفوقُ الحجَّاجَ طولاً؛ لأنَّ كلمة "أطول" وإن كانت تحيل على معنى الطُّولِ نقيضِ القِصَرِ، فإنَّها تحيل كذلك على معنى الطَّول؛ أي الفضـــل. والعرب تقول: طاولني، فطلته؛ أي كنتُ أطولَ منه من الطُّول والطَّول جميعاً. والمهلَّب إذ يســـتمعُ إلى الحجَّاج، يدرك أنه يقوم باختباره، فيُشـــكِّل خطابه على نحو يعينه على تجاوز هذا الاختبار، فكان من حســـن تصـــرُّفه أن قال: "الأمير أطول وأنا أبســـط قامة"، فأحال في الجملة الأولى على معنى الطَّول، ثمَّ لجأ في الجملة الثانية إلى جداول اللغة الاســـتبداليّة[2]؛ ليختار من جدول يضـــمُّ على المســـتوى الدِّلاليِّ مترادفات: أطول، أبســـط... فيختار الوحدة اللغويَّة "أبسط" التي تدلُّ على تفوُّقِهِ في الطُّول، ليتمكَّن من إجابة الأمير ملتزماً جانب اللباقة والأدب في الحديث مع أولي الأمر.

---

[1] التَّذكرة الحمدونيَّة. ج1/ ص441.

[2] تشكّل اللغة منظومة ترتبط عناصرها بعلاقات وقواعد محدَّدة تشكل بنيتها.

ينظر: القضـماني، رضـوان، مدخل إلى اللسـانيات، منشـورات جامعة البعث، د ط، د ت، ص16. والمقصـود بالعلاقات البنيويـة داخـل منظومـة اللغـة: العلاقـات النّظميّـة *relations syntagmatiques*، والعلاقـات الجـدوليـة *relations paradigmatiques*، والعلاقات التّراتبيَّة *hierarchi* التي تتمُّ بين وحدات مســـتويات اللغة. يقابل سوسير بين العلاقات النّظميّة، والعلاقات الجدولية بوصفهما علاقتي حضور وغياب، إذ تتشكَّلُ العلاقاتُ النّظميّةُ السِّياقيَّة من ائتلاف الوحدات اللغوية، وتجاورها على المحور الخطِّيِّ وفق قوانين بنية المنظومة اللغوية. ويتمُّ انتقاء الوحدات المذكورة من جداول اســـتبداليَّة تشـــكّل في ذهن المتكلِّم علاقاتِ تجمُّعٍ فِئَوي على المحور العموديِّ، تقوم على التّداعي والتَّذكُّر. بناءً على ذلك يمكن القول: إنَّ المتكلِّمَ الحاذقَ قادرٌ على التحكُّم باللغة لتقوم بوظيفة التبليغ اللغويِّ بالشَّـــكل الأنسب حين يكونُ اختيارُ مفردةٍ دون أخرى – على المستوى الدِّلاليِّ – اختياراً للكلمة المناسبة التي تقوم بدورها متجاورةً مع الكلمات الأُخر في وحدة المســـتوى النَّحويِّ. وتمتازُ اللغةُ العربيَّة عن ســـائر اللغات بكثرة مفرداتها التي تختلف لفظاً وتتَّحدُ معنى، فتشكّلُ على مستوى الدِّلالة جداول عموديَّة يضمُّ بعضها بديلات قد تصل إلى مائة بديلة. في هذا السياق يقول ابن فارس (ت 395هـ) في الصَّاحبي في فِقْهِ اللغة العربية ومسـائِلها وسُـنَنِ العرب في كلامها، علق عليه ووضـع حواشـيه: أحمد حسـن بسـج، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م. ص59: "معلوم أن العَجَم لا تعرف للأسـد غير اسمٍ واحدٍ، فأما نحن، فنُخرج له خمسين ومائة اسم".

وإذ توجَّهتِ الشَّخصيَّةُ القائلةُ نحو الشَّخصيَّةِ المقول لها حواريّاً، لتحقيق أهدافٍ محدَّدةٍ على مستوى النَّشاط التَّلفُّظيِّ في المشهد الخبريِّ، فإنَّ لتوجُّهِهَا الحواريِّ وظائفَ على مستوى المسار الحدثيِّ في المنجز الخبريِّ.

1-2-وظائفُ التَّوجُّه الحواريِّ المضمرِ لخطاب الشَّخصيَّةِ القائلة نحو الخطاب المؤجَّل للشَّخصيَّةِ المقول لها على مستوى مسار الحدث في المنجَز النَّصيِّ:

يسهم توجُّه القائل حوارياًّ نحو الجواب المؤجَّل للمقول له في نصٍّ خبريٍّ يشكِّلُ مقطعاً قصصيّاً تامّاً[1] في دفعِ مسار الحركة السَّرديَّة بتحويلِ الاضطَّراب إلى اضطَّراب معاكس على النحو الذي يبيِّنه تحليل الخبر الآتي[2]:

أُعجِبَ هشام بن عبد الملك بعُمَرَ بن هُبَيرَة لما شخص إليه، فحسده سعيد بن الوليد كاتب هشام، وأراد أن يُفسد حاله عند الخليفة. وكان ابن هبيرة يسير، إذا ركب هشام، بالبعد منه. وكان هشام معجباً بالخيل. فاتَّخذ سعيدٌ عدة خيل جياد، وأضمرها، وأمر المُجرين لها أن يعارضوا هشاماً إذا ركب، فإن سألهم، قالوا: إنَّها لابن هبيرة. فركب هشام يوماً، فعورض

[1] يعدُّ تودوروفُ المقطعَ القصصيَّ التَّامَّ جماعَ خمسةِ جملٍ قصصيَّة أساسيَّة؛ فالقصَّة المثلى تنفتح بوضع أوَّليٍّ متَّسمٍ بالتوازن (1)، ثم سرعان ما يعتري ذاك التوازنَ اضطِّرابٌ نتيجة قوةٍ ما (2)، وينجم عنه اختلالُ توازنٍ (3)، فينقلب بتأثير قوَّةٍ مضادَّةٍ إلى اضطِّراب معاكس (4)، ثم يؤول في الختام إلى وضعٍ نهائيٍّ متَّسمٍ أيضاً بتوازن فريد (5). ينظر: معجم السَّرديَّات. ص88. فالجملةُ القصصيَّةُ هي الوحدة القصصيَّة الدُّنيا، وتوافق عملاً لا يمكن تجزئته. ينظر: المرجع نفسه. ص128.

[2] ينظر الخبر في: الجَهشَـيَاريِّ، محمد بن عَبدُوس، الوزراء والكتَّاب، حققه ووضع فهارسه: مصطفى السَّقا وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1938م. ص59-60.

بالخيل، فنظر إلى قطعة من خيل حســـنة، فقال: لمن هذه؟ فقالوا: لابن هبيرة. فاســـتشـــاط غضـباً، وقال: واعجباه! اختان[1]ما اختان، ثمَّ قدم! فوالله ما رضـيت عنه بعد، ثم هو يباريني في الخيل! عليَّ بابن هُبيرة. فدُعِيَ به من جانب الموكب، فجاء مســـرعاً، فقال: ما هذه يا عمر؟ ولمَنْ هي؟ ورأى الغضبَ في وجهه، فعلم أنَّه قد كِيدَ، فقال: خيلٌ لك يا أمير المؤمنين، علمت عَجَبَك بها، وأنا عالمٌ بجيادها، فاخترتُها وطلبتُها من مَظانِّها، فَمُر بقَبضِـــها. وكان ذلك سبب إقباله عَلَيه.

يتأسَّسُ الخبرُ السَّابقُ على خمسة جمل قصصيَّة تشكِّلُ مقطعاً قصصيَّاً يُفتَتَحُ بوضع أوَّليٍّ يتَّسمُ بتوازن يشكِّلُ الجملة القصصيَّة الأولى: **أُعجب هشام بن عبد الملك (ت 125 هـ) بعمر بن هُبيرة (ت 110 هـ) لمَّا شخص إليه.** تُحدث حيلةُ سعيد بن الوليد (الأبرشِ الكلبيِّ) اضطِّراباً يشكِّلُ الجملة القصصيَّة الثَّانية: **فاتَّخذ سعيدٌ عدَّة خيل جياد وأضمرها وأمر المجرين لها أن يعارضـوا هشـاماً إذا ركب، فإن سـألهم، قالوا: إنَّها لابن هبيرة. فركب هشـام يوماً فعورض بالخيل، فنظر إلى قطعة من خيل حســـنة، فقال: لمن هذه؟ فقالوا: لابن هبيرة. فاسـتشـاط غضـباً.** فتكونُ النَّتيجةُ اختلالَ التَّوازنِ في الجملة القصـصـيَّة الثالثة: **عليَّ بابن هبيرة.** فيُحوِّلُ خطابُ ابن هبيرةَ الاضـطِّرابَ إلى اضـطِّراب معاكس يشـكِّلُ الجملة القصـصـيَّة الرَّابعة: **قال ابن هبيرة: خيلٌ لك يا أمير المؤمنين، علمت عجبك بها، وأنا عالم بجيادها، فاخترتها، وطلبتها من مظانِّها، فمُر بقبضها. فأمر بقبضها.** ما يُفضي إلى إعادة التَّوازن في الجملة القصصيَّة الخامسة: **وكان ذلك سبب إقباله عليه.**

يخضـعُ متنُ الخبرِ السَّابق لتحوُّلٍ منطقيٍّ قوامُه خمسةُ جملٍ قصـصيَّة: (1) توازن (2) اضـطِّراب (3) اختلال توازن (4) اضـطِّراب معاكس (5) توازن فريد. ويسـهم التَّوجُّه الحواريُّ لابن هبيرة نحو الجواب المؤجَّل للخليفة في تحويل الاضـطِّراب المُشـكِّل الجملة القصـصـيَّة

[1] اختان: خان. لسان العرب. مادة (خون). وقد جاء في الكشَّاف، لأبي القاسم محمود ابن عمر الزَّمخشريِّ (ت 538هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1 1418هـ=1998م) في تفسير قوله تعالى {عَلِمَ اللهُ أَنَّكُم تَخْتانون أنفُسَـكُم} (القرآن الكريم، البقرة، ج2، الآية 178): الاختيان من الخيانة كالاكتسـاب من الكسـب فيه زيادة وشدَّة. ج1/ ص388.

الثَّانية إلى اضطِّراب معاكس شكَّل الجملة القصصيَّة الرَّابعة. ويأتي ملفوظ ابن هبيرة مؤسَّساً على فرضـــيَّات يبنيها وهو يســـتمع إلى الخليفة (فعلم أنَّه قد كيدَ)، فيتنبَّأ بردود فعله، ويعمل على استباقها بخطاب يلين شكيمتَه، ويسلُّ سخيمتَه، ليسهم الحوار الدَّاخليُّ بين خطاب القائل والخطاب المرتقب للمقول له في دفع مســـار القصِّ بإنتاجه فعلاً تَلفُّظيّاً يســـهم في ســـيرورة التَّحوُّل.

وإذ نتجت الأفعال التَّلفُّظيَّة في المشاهد السَّابقة بفعل حوارٍ داخليٍّ مؤسَّسٍ على استباقٍ مضـمر للخطاب المرتقب للمقول له، تَنتجُ الأفعال التَّلفُّظيَّة الدَّاخلة في تكوين المشـاهد الآتية بفعل حوارٍ صـريح مؤسَّـسٍ على اسـتباقٍ مكشـوف للخطاب المتوقَّع للمقول له، ليحقِّقَ فعل التَّلفُّظ حضـــوراً علنيَّاً لخطاب القائل (الذَّات)، والخطاب المؤجَّل للمقول له (الآخر)، فيقترن الخطابان بعلاقة حواريَّة تبيِّنُ دور وعي الآخر في تشكيل وعي الذّات.

2- الحوار الصَّريح بين خطاب القائل والخطاب المؤجَّل للمقول له في ملفوظ الشَّخصيَّةِ الخبريَّة:

يعمدُ القائلُ إلى اســـتباق خطاب المقول له اســـتباقاً صـــريحاً، فيدخل معه في علاقة حواريَّة تشـكِّلُ فعلاً تَلفُّظيّاً يمتلك خاصِّـيَّاتٍ بنيويَّةً تتمثَّلُ في إلحاق الخطابِ المتوقَّع للمقول له بخطاب القائل تركيبيَّاً، فيُصـــاغ بعبارة القائل من دون إحداث قطيعة تَلفُّظيَّة بين تلفُّظ القائل وتلفُّظ المقول له على النَّحو الذي يبيِّنه الخبر الآتي:

جاء في الخبر[1]: "التفت عليٌّ إلى قبور، فقال: يا أهل الثَّراء والعزِّ، الأزواجُ قد نُكحت، والأموال قد قُســـمت، والدُّور قد سُـــكنت. هذا خير ما عندنا، فما خير ما عندكم؟ ثم قال لمن حضر: والله، لو أُذن لهم، لأجابوا إنَّ خيرَ الزَّاد التَّقوى".

[1] ابن بحر الجاحظ، عمرو، المحاسن والأضداد، حققه وقدم له: فوزي عطوي، دط، 1969م. ص98.

يســـهم الخطابُ المتوقَّع للآخر في إنتاج الملفوظ الذي ختم به علي قوله مفكِّكاً وحدتَه اللغويّة، وفاتحاً إيّاه على تعدُّديَّة الخطابات التي تقترن حواريَّاً، لتبيِّنَ أنَّ وعي الآخر جزءٌ متمِّمٌ لوعي الذات، ففي اســتباق عليٍّ ردَّ الموتى صــراحةً حثٌّ لمتلقِّي الخطاب على التَّمسُّــك من خشية الله بالسَّبب الأقوى، وجعل تقوى الله عمادهم في الأمور الدُّنيويَّة جميعها. فيأتي استباقُ ردِّ الأموات ليحدِّدَ وُجهَةَ الأحياء.

ويبيِّنُ الاســتباقُ الصَّــريحُ للخطاب المؤجَّل للمقول له في الأفعال التَّلفُّظيَّة أن لا انفكاك لوعي الذَّات عن وعي الآخر، من ذلك ما جاء في الخبر الآتي[1]:

"أرادَ الحجَّاجُ الخروجَ من البصــرة إلى مكَّةَ، فخطب الناس، فقال: يا أهل البصــرة، إنِّي أريد الخروج إلى مكَّةَ، وقد اســتخلفتُ عليكم محمداً ابني، وأوصــيتهُ فيكم بخلاف ما أوصــى به رسول الله (ﷺ) في الأنصــار، فإنَّه أوصــى في الأنصــار أن يُقبل من محسـنهم، ويُتجاوز عن مسـيئهم. ألا وإنِّي قد أوصــيته فيكم ألا يَقبل من محسـنكم، ولا يتجاوز عن مسـيئكم. ألا وإنَّكم قائلون بعدي كلمةً ليس يمنعكم من إظهارها إلا الخوف، ألا وإنَّكم قائلون لا أحســـن الله له الصَّحابة. وإنِّي مُعَجِّلٌ لكم الجواب: لا أحسن الله عليكم الخلافة".

يمكنُ فهم الحواريَّة المتحقِّقة بين خطاب الحجَّاج والخطاب المتوقَّع لأهل البصـــرة في ضــوء التَّحليل الذي قدَّمه باختين لبطل قصَّــةِ دوســتويفســكي "مذكَّراتُ قبو"[2]؛ إذ يبيِّنُ موقفَ البطلِ المتوتِّر تجاه الوعي الغيري الذي يحاولُ اســـتباقَ ردودِه؛ ليُعبِّرَ عن اســـتقلاليَّتِهِ التَّامَّة عنه، وعدمِ مبالاته تجاهه[3]، غير أنَّ محاولاتِه تلك تبيِّنُ تبعيَّتَه للوعي الغيري، وعجزَه عن أن يطمئنَّ إلى تقرير المصير الذي حدَّده شخصيَّاً. إنَّه برفضه يُثبتُ بالضَّبط ما أراد رفضه[4].

---

[1] ابن زكريا، المعافى، الجليس الصـالح الكافي والأنيس الناصـح الشـافي، تح: محمد مرسـي الخولي، عالم الكتب، ط1، 1993م، ج1/ ص291.

[2] دوستويفسكي، فيدور، مذكَّرات قبو، تر: أحمد الويزي، الدَّار البيضاء، المغرب، المركز الثَّقافي العربي، ط1، 2014.

[3] فممَّا يقوله: "ألا يتراءى لكم أيُّها السَّـادة أنِّي أقف أمامكم مثلما يقف مذنب يقرُّ بجريرته (...) إنِّي على يقين أنَّ هذا ما يتبادر إلى ذهنكم...إنما الأمر عندي سيان، ظننتمُ ذلك أم لم تظنُّوه...المصدر نفسه. ص10.

[4] يُنظر: شعريَّة دوستويفسكي. ص334.

لا يقتصر إسهامُ الخطاب المؤجَّل للمقول له في تشكيل خطاب القائل دلاليًّاً فحسب، بل يسهم في تشكيله تركيبيًّاً على النَّحو الذي يبيِّنه تحليل النُّصوص الآتية:

"قال المدائنيُّ: أرسل زياد إلى رجل من بني تميم من قعدة[1] الخوارج، فاستدعاه، فجاءه خائفاً، فقال له زياد: ما منعك من إتياني؟ قال: قَدِمتَ علينا، فقلت: (إنِّي لا أعدكم خيراً ولا شـرّاً إلا وفيتُه وأنجزتُه)، وقلت: (من كفَّ يده ولسـانه لم أعرض إليه). وكففت يدي ولسـاني، وجلستُ في بيتي. فأمر له بصلة[2]".

يسـهمُ الخطابُ المؤجَّلُ لوالي العراق في تشـكيل خطاب الخارجيِّ على المسـتوى التَّركيبيِّ؛ إذ يصوغُ القَعَدِيُّ خطاباً يستدعي فيه قولَ زياد (ت 53 هـ) بطريقة الخطاب المباشر المسبوق بمعلنات القول، فيَقطعُ السَّردَ؛ ليُسلِمَ قيادَ القولِ إلى زياد. فيأتي خطابُ والي العراق مستقلّاً من النَّاحية التَّلفُّظيَّة عن خطاب القَعَدِيِّ، ما يترتَّبُ عليه بروزُ صوتِ والي العراق في مقابل خفوت صوت القَعَدِيِّ بما يُظهر سطوته وإذعان الخارجيِّ له. فيتمكَّن بهذه الصِّياغة الخطابيَّة من تخليص نفسه، والفوز بصلة من والي العراق.

وإذ يصوغُ القائلُ في الخبر السَّابق خطابه قاصداً إخراجَ الخطاب المنقول عن سلطته باعتماده نمط الخطاب المباشر بغية إبراز سطوة المقول له ومن ثمَّ تغيير المسار الحدثيِّ، يُخضع القائل في الخبر الآتي الخطاب المنقول لسلطته باعتماده نمط الخطاب المرويِّ؛ لتحقيق استرسالٍ تركيبيٍّ ينجم عن إدراج الخطاب المنقول في السِّياق الوارد بضمير الغائب من دون اللجوء إلى أيِّ معلن من معلنات القول؛ ليبرزَ القائل النَّاقل سطوتَه محاولاً مدَّ المقول له بها:

---

[1] جاء في تاج العروس: "القَعَدُ: جمع قاعدٍ. وفي بعض النُّسخ: القَعَدَةُ بزيادة الهاء. وهو من القَعَدَةِ قومٍ من الخوارج قعدوا عن نُصرةِ عليٍّ (ر)، وعن مقاتلته. ومن يرى رأيَهم؛ أي الخوارج: قَعَدِيٌّ. وهم يرون التحكيم حقاً غيرَ أنهم قعدوا عن الخروج على الناس. ينظر: الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، دط، دت، مادة (قعد).

[2] التَّذكرة الحمدونية، ج8/ ص54-55.

"كتب الحجَّاج إلى عبد الملك بن مروان يُعظِمُ لـه أمر قَطَري، فكتب إليـه عبد الملك: (أوصيك بما أوصى به البكريُّ زياداً)" [1].

يُخضِـعُ عبدُ الملك (ت 86 هـ) صـوتَ البكريِّ لسـلطته القوليَّة بتسـريده. وفحوى قول البكريِّ[2]:

أقول لزيدٍ لا تُترتِر فإنَّهم	يَرَونَ المنايا دونَ قتلِكَ أو قتلي
فإن وضعوا حرباً فَضَعها، وإن أبَوَا	فشُدَّ وقودَ النَّارِ بالحَطَبِ الجَزلِ
وإن عَضَّتِ الحربُ الضَّروسُ بنابها	فعُرضةُ نارِ الحرب مثلُكَ أو مثلي

يُضفي عبدُ الملك على القول السَّابقِ صبغةً سرديَّةً بتحويله إلى حدثٍ مندرجٍ في سرده مُتجنِّباً إحداثَ قطيعةٍ تركيبيَّةٍ بين السَّرد والاستشـهاد، فلا يَتَسَـلَّمُ قيادَ القول سـواه. وإذ يلتمسُ عبدُ الملك من جانب الحجَّاجِ ضـعفاً، يُبدي بهذه الصِّـياغة الخِطابيَّة القائمة على إخضـاع الخطاب المنقول لسلطةِ القائلِ النَّاقلِ قوَّة هدفها مدُّ الحجَّاج بالقوَّةِ المطلوبةِ لحسمِ أمرِ الأزارقة.

[1] البكري، أبو عبيد الأَونَبي، بمشاطرة: الميمني، عبد العزيز، سِمطُ اللآلي، ويحتوي على النِّصف الأول من: اللآلي في شرح أمالي القالي، دط، دت، ج1/ ص68.

[2] الأبيات بصـيغتها المثبتة في سـمط اللآلي، ج1/ ص68. وهي على اختلاف في شـرح ديوان الحماسـة. ينظر: المرزوقي، أحمد بن محمد، علَّق عليه وكتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدِّين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م، ص265 وما بعدها.

خاتمة:

لقد تجاوزت لغةُ الشَّخصيَّة القائلة في الأخبار السابقة وظيفَتها في إفهام المخاطَب، لتدخلَ في حوارٍ مع خطابه المُتوقَّع، ليُسهمَ الخطابُ المُتوقَّعُ للمقولِ له في تشكيل خطاب القائل على المستويين الدِّلاليِّ والتَّركيبيِّ.

وقد خرج البحث بالنتائج الآتية:

- سبقُ الإخباريين العرب في التَّنبُّه على ما يسمِّيه باختين بتأثير الجواب المرتقب للمقول له في إنتاج خطاب القائل.
- يدخل خطاب القائل مع الخطاب المرتقب للمقول له في مشاهد النُّصوص التي شكلت مدونة البحث في علاقة حواريَّة تتَّخذ نمطين: مضمراً، وصريحاً. فإما أن يعمد القائل إلى استباق خطاب المقول له استباقاً مضمراً، فيدخل معه في حوار داخلي يتولد عنه فعلٌ تلفُّظيٌّ يقترح البحث وصفه بالبراغماتي من جهة نظر المتلفِّظ إلى النتائج العملية التي قد تترتب على تلفُّظه. وإما أن يستبق القائل خطاب المقول له صراحةً ليحقق فعل التَّلفُّظ حضوراً علنيَّاً لخطاب القائل والخطاب المؤجل للمقول له فيقترن الخطابان بعلاقة حواريَّة تبيِّن دور وعي الآخر في تشكيل وعي الذات.
- يقترحُ البحثُ وصفَ خطاب الشَّخصيَّةِ الخبريَّة القائلة المتوجه حواريَّاً نحو الجواب المتوقع للشَّخصيَّةِ المقول لها بالانعكاسيِّ ويعرِّفه بأنَّه: خطابٌ يحدِّدُ طريقةَ تشكيله الدِّلاليَّة والتَّركيبيَّة الجوابُ المؤجَّلُ للشَّخصيَّةِ المقول لها.
- يربط البحثُ التوجه الحواريَّ المضمرَ لخطاب الشَّخصيَّةِ القائلة نحو الخطاب المؤجَّل للشَّخصيَّةِ المقول لها بما يُعرف فلسفيَّاً بمبدأ الكمون، متوصِّلاً إلى أنَّ الفلسفة تقابل بين نمطين من التوجه نحو المقول له: أحدهما حواري، والآخر خلوٌ من الحواريَّة.

- يبيِّن الاقترانُ الحواريُّ بين خطاب القائل والخطاب المؤجَّل للمقول له خضـــوعَ التَّبادل القوليِّ لمقام التَّواصل المُنتِج له.
- يبيِّن الاقترانُ الحواريُّ بين خطاب القائل والخطاب المؤجَّل للمقول له أنَّ المقام ليس مقتصــراً على وضــعيَّة التَّلفُّظ المباشــرة التي يشــكِّل المتخاطبون، ومكان التَّخاطب، وزمانه عناصـرها الرئيسـة، بل هنالك عناصـرُ أخرى فاعلة في عمليَّة التَّخـاطـب ترتبط بـذوات المتخـاطبين من حيـث البواطن النَّفســيَّـة والعقـائـد والمقاصد... وهو ما يسمى في النَّقد الحديث بعالم الخطاب.
- يؤثِّر الحوار الدَّاخليُّ بين القائل والجواب المؤجَّل للمقول له في إنجاز خطاب القائل، كما يؤثِّر في تأويله. وإنَّ تأويل خطاب الشَّخصيَّة القائلة في ضوء علاقته الحواريَّة مع الخطاب المرتقب للشَّخصيَّة المقول لها يسهم في تحقيق مقوِّم رئيسٍ من مقوِّمات النَّصيَّة يتمثَّل في انسجام النَّصِّ.
- أنتج الحوار الداخليُّ بينَ خطاب القائل والخطاب المرتَقَبِ للمقول له فنَّاً قائماً بذاته هو فنُّ الجواب المسكت، فالجواب المسكتناتج عن توجُّه القائل حواريَّاً نحو الأجوبة المُتَوَقَّعة للمقول له، والعمل على استباقها بحجَّة تسدُّ فجاج القول أمامه.
- الخطاب الخبريُّ الحواريُّ خطاب إنشائي تتجسَّم إنشائيَّته في توجُّهاته الحوارية.

قائمة المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشَّعر والنَّثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حنفي محمد شرف، دط، دت.
- ابن أبي عون، إبراهيم، تح: مي أحمد يوسف، الأجوبة المسكتة، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1996م.
- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط2، دت.
- ابن الجوزي، عبد الرَّحمن بن عليّ، أخبار الأذكياء، بعناية: بسام عبد الوهَّاب الجابي، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2003م.
- ابن الحجَّاج، مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، اعتنى به: نظر محمد الفاريابي، الرياض، دار طيبة، ط1 2006م.
- ابن بحر الجاحظ، عمرو، البيان والتَّبيين، تح وشرح: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط7، 1998م.
- ابن بحر الجاحظ، عمرو، المحاسن والأضداد، حققه وقدم له: فوزي عطوي، دط، 1969م.
- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس، بكر عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1996م.
- ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1987م.
- ابن زكريا، المعافي، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح: محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، ط1، 1993م.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم، الأمثال، تح: عبد المجيد قطامش، دمشق، دار المأمون للتراث، ط1، 1980م.

- ابن عبد البر، يوســـف بن عبد الله النمري القرطبي، بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذَّاهن والهاجس، تح: محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، دط، دت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصَّاحبيُّ في فِقْهِ اللغة العربيَّة ومسائِلها وسُنَنِ العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م.
- ابن المعتز، عبد الله، البديع، اعتنى بنشـــره وتعليق المقدمة والفهارس: إغناطيوس كراتشقوفسكي، بيروت، دار المسيرة، ط3، 1982م.
- ابن معصوم المدني، عليّ، أنوار الرَّبيع في أنواع البديع، حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، ط1، 1969م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، دط، دت.
- ابن يزيد المبرد، محمد، الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد الحميد هنداوي، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، دط، دت.
- الأصـــفهاني، أبو الفرج علي بن الحســـين، الأغاني، تح: إحســـان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، بيروت، دار صادر، ط3، 2008م.
- الأصـــفهاني، الراغب، محاضـــرات الأدباء ومحاورات الشـــعراء والبلغاء، تح: عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1 1999م.
- البكري، أبو عبيد الأوْنَبي، بمشـــاطرة: الميمني، عبد العزيز، سِـــمْطُ اللآلي، ويحتوي على النّصف الأوّل من: اللآلي في شرح أمالي القالي، د ط، د ت.
- التنوخي، عز الدين، تهذيب الإيضـــاح (شـــرح كتاب الإيضـــاح للخطيب القزويني)، مطبعة الجامعة السورية، دط، 1949م.
- التَّوحيديِّ، أبو حيَّان، البصـــائر والذَّخائر، تح: وداد القاضـــي، بيروت، دار صـــادر، ط1، 1988م.

- الجَهشَـيَاريِّ، محمد بن عَبدُوس، الوزراء والكتَّاب، حققه ووضـع فهارسـه: مصـطفى السَّقا وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1938م.
- ديوان ليلى الأخيَلِيَّة، تح وشرح: واضح الصمد، بيروت، دار صادر، ط2، 2003م.
- الزُّبيدي، السَّيد محمد مرتضـى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السَّتار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، دط، دت.
- الزمخشـري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصـوص الأخيار، بيروت، مؤسـسـة الأعلمي، ط1، 1412هـ.
- الزمخشـري، محمود بن عمر، المسـتقصـى في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العالمية، ط2، 1987م.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1987م.
- الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى، أمثال العرب، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الرائد العربي، ط2، 1983م.
- عباس، إحسان، شعر الخوارج، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1974م.
- القاضـي الجَّرجاني، عليُّ بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضـل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسـى البابي الحلبي وشـركاه، دط، دت.
- المرزوقي، أحمد بن محمد، شـرح ديوان الحماسـة، علق عليه وكتب حواشـيه: غريد الشيخ، وضـع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م.

قائمة المراجع العربية:

- حَبَنَّكة، عبد الرحمن، البلاغة العربيَّة، دمشق، دار القلم، ط1، 1996م.
- حمداوي، الجميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1 2015م.
- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، دط، 1982م.
- عيسى، محمد سلمان–دهمان، أحمد علي، البلاغة العربيَّة (البيان والبديع)، منشورات جامعة البعث 2002–2003م.
- فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، د ط، د ت.
- القضماني، رضوان، مدخل إلى اللسانيات، منشورات جامعة البعث، د ط، د ت.
- الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السِّياسة، المؤسَّسة العربية للدِّراسات والنَّشر، دط، دت.
- مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1، 2010م.

المراجع المترجمة:

- باختين، ميخائيل، شعريَّة دوستويفسكي، تر: جميل التَّكريتي، مراجعة: حياة شرارة، بغداد، الدَّار البيضاء، دار توبقال للنَّشر، ط1، 1986م.
- باختين، ميخائيل، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافة، 1998م.
- دوستويفسكي، فيدور، مذكَّرات قبو، تر: أحمد الويزي، الدَّار البيضاء، المغرب، المركز الثَّقافي العربي، ط1، 2014.
- لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفيَّة، تعريب: خليل أحمد خليل، أشرف عليه: أحمد عويدات، بيروت، باريس، منشورات عويدات، ط2، 2001م.

Resources

- Al Quran Al kareem
- Ibn Abe Al Isba Al Masre, tahrer al tahber fe senat alshar wa alnther wa byan iajaz Al Quran, tahkek: Hanafe Mouhammad Sharaf
- Ibn Abe Awn, Ibrahim, tahkek: Mye Ahmad Yousef, alajoebah almoketah , Alkahera, ayen le alderasat wa albohoth alensaneha wa alijtemaeha
- Ibn Al Ather, Deaa al Deen, almathal alsaer fe adab al kateb wa al shaer , kadamho wa alk aleh : Ahmad al Hofe, Badawe tabanh, dar nhda Maser
- Ibn al Joze, Abd al Rahman bn Ali , akhbar alathkeaa, benayt: Bssam Abd al Wahab al Jabe, Beirut, dar ibn Hazm
- Ibn al Hajaj, Muslem al Keshere al Nesabore , saheh muslem , iatanah beh : Nathr Mouhammad al Farabi, al Ryad, dar Tebah
- Ibn Bahr al Jahez, Amro, albyan wa altabeen, tahkek wa sharh: Abd al Salam Haroon, al Kaherah , maktabh l Khanjie
- Ibn Bahr al Jahez, Amro, al mahasen wa al adad, hakakho wa kadam laho: Fawze Atawe
- Ibn Hamdoon, Mouhammad bn al Hasan bn Mouhammad bn Ali , al tathkarah al hamdoneih, tahkek: Ihssan Abass, Bakr Abass, Beruit, dar sader
- Ibn Dored, Mouhammad bn al Hasan, jmharet al logha, tahkek : Ramze Moneer Balbake, Beruit dar al alm llmalayen,
- Ibn Zakaria, al Moafe, al jalees al saleh al kafe wa al anes al naseh al shafe, tahkek: Mouhammad Mourse al Khole, alam al ketab
- Ibn Salam, Abo Abeed Al Kasem, al amthal, tahkek: Abd al Majeed ktamsh, Damascus, dar al maamoon le altorath
- Ibn abd al Ber, Yousef bn Abd Allah al Nmre al Qrtobe , bahjet al majales wa Anas al mojales wa shhz al thahen wa al hajes, tahkek: Mouhammad Morse al Khole, Beruit, dar al kotob al almeyah
- Ibn Fares, Abo al Hussein Ahmad, al Sahebie fe fekeh al loghah al Arabeiha wa masaeloha wa senan al Arab fe klameha, alak

aleih wa wadah hawasheh: Ahmad Hasan Besj, Beruit, dar al kotob al elmeyah

- Ibn al Moataz, Abd Allah al Badea, nasharh wa alak al mokademah wa al fahares : Eghnatyos Kratchkofske, Beruit, dar al maserah
- Ibn ma'soum al Madane, Ali, Anwar al rabea' fe anwaa' al badea' , hakakh wa tarjm le shoa'areh : Shaker Hade Shker,
- Ibn Manzoor, Mouhammad bn Makram, lesan al Arab, Beruit, dar sader
- Ibn Yazed al Mbrd, Mouhammad, al kamel fe al loghah wa al adab, tahkek: Abd al Hameed Hindawe , al Mamlakah al Arabyeh al Soa'adyeh, wezaret alshuwuwn aleslamia wa alawqaf wa aldaewa wa alershad
- Al Asfahane, abo alfarj Ali bn al Hussein , alaghane, tahkek: Ehssan Abbas, Ebrahim Alsa'afeen, Bakr Abbas, Beruit, dar sader
- Al Asfahane, alragheb, mohadrat al'udaba' wa mohawrat alshueara' wa albulagha' , tahkek : Omar al Taba', Beruit , dar alarkam bn abe alarkam
- Al tanokhe, Ez al Deen, tahtheb ledah (sharh ketab aledah lealkhateb al Qazwene), matba't aljamea'h al ssoria,
- Altwhede, Abo Hyan, albaser wa althakhaer, tahkek: Wedad al Kade, Beruit, dar sader,
- Al Jahshayare, Mouhammad bn Abddos, alwzra' wa alkotab, hakakaho wa wadae faharesaho: Moustafa al Saka wa akharoon, alKahera, madbet Mostafa albabe alHalabe wa aowladoho,
- Dewan Leila alakhyalya, tahkek wa shareh: Wadwh AlSamad, Beruit, dar sader,
- AlZobayde, Alsayed Mouhammad Mortada ALhusseine, taj alaroos mn jwaher alkamous, tahkek: Abd Alstar Ahmad Fraj, matbat hokomt al Kweit,
- Al Zamakhshare, Mahmoud bn Omar, rabea' alabrar wa nsous alakhyar, Beruit , moaasaset ala'lame,

- Al Zamakhshare, Mahmoud bn Omar, almostkse fe amthal al Arab, Beruit , dar alkotob al alamyeh,
- Al skake, Yousef bn Ali Bkr, moftah al aloom, dabataho wa katab hwameshaho wa alak aleh: Na'em Zarzor, Beruit, dar alkotob alelmyeh,
- Aldabe, almofadal bn Mouhammad bn Ya'la, amthal alarab, tahkek: Ehsan Abass, Beruit, dar alraed al Arabe
- Abass, Ehssan, sha'r alkhwarej, Beruit, dar althakafah
- al Kade al Jarjare, Ali bn Abd al Azez, al wasata bain al Motanabe wa khosomoh, tahkek: Mouhammad abo al Fadel Ibrahim, Ali Mouhammad al Bajawe, matbaet Issa al Babi al Halabi wa shorkaeh,
- Al Marzoke, Ahmad bn Mouhammad, sharh dewan alhamasah, alak aleh wa katab hawasheh: Ghareed al Sheikh, wadae faharesaho alamah: Ibrahim Shams al Deen, Beruit, dar alkotob alalmeia,

Arabic Refrences:

- Habankh, Abd al Rahman, alblagha alarabia, demashk, dar alkalam,
- Salebah, Jamil, almoajam alfalsafe,Beruit, dar alketab allobnane
- Issa, Mouhammad Salman-Dahman, Ahmad Ali, alblagha alarabyeh (albyan wa albadea'a)
- Fathe,Ibrahim, muejam almostalahat aladabia, almuasasa alarabyia le al nasheren al motaheden,
- al Kadmane, Radwan, madkhal ela allessaneat, manshorat jame't al Ba'ath,
- al Kayale, Abd al Wahab mawsuea alseyase, almuasasa alarabyia lildirasat wa alnasher,
- majmuea men almualifin, mujam alsrdyat, eshraf: Mouhammad al Kade, alrabetah aldoalia lilnashreen almostakleen,

Translated Refrences

- Bakhteen, Mekhaeel, alkalemah fe alrwaya, tarjamet: Youssef Halak, Demashk, Syria, manshorat wezaret
- Bakhteen, Mekhaeel, shareit Dustuyfiski, tarjamet: Jamel
- al Takrete, moraja't: Hayat Shrarah, Baghdad,al Dar al Beda', dar Tobkal lilnasher, althkafeh,
- Dustuyfiski, Fedor, mothakrat kabo, tarjamrt: Ahmad al Weze, al Dar al Beda', al Mghreb, almarkz althkafi al Arabi,
- Laland, andreh, mawsoet Laland alfalsafeh, tareeb: Khalel Ahmad Khalel, ashrafa aleh: Ahmad Ewedat, Beruit, Paris, manshorat Ewedat,

ثورة خوسيه دي سان مارتن وأثرها على الحركات التحررية في أمريكا الجنوبية

- طالب دراسات عليا (ماجستير): م. ربيعة حسن الحسين

قسم التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الآداب – جامعة حمص

الملخص

في صفحات التاريخ تخلد أسماء القادة الذين نذروا حياتهم لنيل الحرية، وخوسيه دي سان مارتن واحد من أبرز الشخصيات في تاريخ أمريكا اللاتينية، إذ نال شهرة واسعة لقيادته ثورة عارمة ضد الاستعمار الإسباني في أمريكا الجنوبية.

انطلقت شرارة ثورة سان مارتن سنة 1817م، فقاد جيشاً عظيماً عبر جبال[1] الأنديز الشاهقة، متحدياً كل الصعاب لتحرير تشيلي من قبضة الاستعمار، وقد نجح جيشه في هزيمة الإسبان في معركة تشايكابوكو، تاركاً أثراً عميقاً في نفوس شعوب أمريكا الجنوبية المتطلعة للحرية.

لم تقتصر ثورة سان مارتن على تشيلي فقط، بل امتدت لتشمل دولاً أخرى مثل الأرجنتين والبيرو وبوليفيا والإكوادور، فقد ألهمت انتصاراته حركات التحرر في تلك الدول، ودفعت شعوبها إلى المطالبة بحق تقرير مصيرها، وقد تميزت هذه الثورة بمبادئها النبيلة،

[1] جبال الأنديز: هي سلسلة جبلية واسعة ممتدة على طول الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية، يقارب طولها 7100كم، تمتد السلسة في سبع دول هي: الأرجنتين، الإكوادور، بوليفيا، بيرو، تشيلي، كولومبيا، فنزويلا.

بتركيزها على الوحدة بين شعوب أمريكا الجنوبية، ورفض كل أشكال العنف والتمييز ،كما حرص على إرساء قواعد الديمقراطية والعدالة الاجتماعية في الدول التي تم تحريرها.

الكلمات المفتاحية:

(حركات التحرر، خوسيه دي سان مارتن، الأرجنتين، بيرو، تشيلي، بوليفيا، الإكوادور).

Summary

In the pages of history, the names of leaders who dedicated their lives to achieving freedom are immortalized, and Jose de San Martin is one of the most prominent figures in the history of Latin America. He gained wide fame for leading a massive revolution against Spanish Colonialism in south America. The spark of the San Martin Revolution was launched in 1817 AD, he led a mighty arme across the towering Andes, defying all odds to liberate Chille from the grip of Colonialism. Gete succeeded in defeating the Spanish in the Battle of chacayoco, leaving a mark. Deep in the souls of the peoples of south America aspiring to freedom. San Martin revolution was not limited to Chile only, but rather extended to include other countries such as Argentina, Peru, Bolivia and Ecuador. His victories inspired the liberation movements in those countries and pushed their peoples to revolution with its noble principles, focusing on unity between the demands for the right to self determination of The people of south America, democracy

and social justice as a whole. Editing forms. He was keen to establish rules.

Keywords:

(Freedom movements, Jose de San Martin, Argentina, Peru, Chie,

محتويات الدراسة

أولاً: المقدمة

ثانياً: تأثير ثورة سان مارتن على الحركات التحررية في أمريكا الجنوبية

1- شخصية سان مارتن القيادية

2- تأثير الثورة على الوعي السياسي في أمريكا الجنوبية

3- تأثير الثورة على الحركات التحررية في الأرجنتين

4- تأثير الثورة على الحركات التحررية في بيرو

5- تأثير الثورة على الحركات التحررية في تشيلي

6- تأثير الثورة على الحركات التحررية في بوليفيا

7- تأثير الثورة على الحركات التحررية في الإكوادور

ثانياً: العوامل التي ساهمت في تأثير ثورة سان مارتن

1- الأيديولوجية الثورية لسان مارتن

2- النجاح العسكري لسان مارتن

ثالثاً: التأثيرات السياسية والثقافية والاجتماعية لثورة سان مارتن على الحركات التحررية في أمريكا الجنوبية

1- على الصعيد السياسي

2- على الصعيد الاقتصادي

3-على الصعيد الاجتماعي

4- على الصعيد الثقافي

الخاتمة

المقدمة:

شكلت حروب استقلال أمريكا الجنوبية في القرن التاسع عشر حدثاً هاماً في تاريخ أمريكا الجنوبية وأوروبا، وأدت إلى سقوط الحكم الاستعماري الإسباني في المنطقة، وإلى تأسيس دول مستقلة جديدة، وقد كان لثورة سان مارتن (أحد قادة هذه الثورات) تأثيراً كبيراً على مجرى الأحداث.

ولد سان مارتن في الأرجنتين عام 1778م، وتلقى تعليماً عسكرياً في أوروبا، وشارك في الحروب النابليونية مظهراً قدراته القيادية، وبعد انتهاء الحروب عاد سان مارتن إلى أمريكا الجنوبية، ثم بدأ بالتخطيط لثورة ضد الحكم الإسباني.

كان لسان مارتن رؤية واضحة لمستقبل أمريكا الجنوبية، فقد كان مؤمناً بتوحيد الدول المستقلة الجديدة في اتحاد قوي، وبضرورة إقامة نظام ديمقراطي في هذه الدول أيضاً.

بدأ سان مارتن ثورته في تشيلي عام 1817م، وقاد جيشاً قوامه ثلاثة آلاف جندي عبر به جبال الأنديز محققاً انتصاراً حاسماً على القوات الإسبانية في معركة مايبو عام 1818م؛ مما أدى إلى استقلال تشيلي.

وبعد ذلك انتقل سان مارتن إلى بيرو، ثم قاد حملة عسكرية ضد القوات الإسبانية، مسجلاً انتصاراً حاسماً في معركة أياكوتشو عام 1824م، مما أدى إلى استقلال بيرو.

وإن ثورة سان مارتن كانت نقطة تحول في حروب استقلال أمريكا الجنوبية، إذ مهدت الطريق لاستقلال العديد من الدول الأخرى في المنطقة، بما في ذلك الإكوادور (1822م)، وبوليفيا (1852م)، وفنزويلا (1811م)، وأثرت تأثيراً كبيراً في أفكار القومية والوحدة في أمريكا الجنوبية.

أهمية البحث:

تعد ثورة سان مارتن من أهم الثورات التي قادت إلى تحرير أمريكا الجنوبية من الاستعمار الإسباني، فلعبت دوراً محورياً في إلهام الحركات التحررية الأخرى في المنطقة، وساهمت في نشر الأفكار القومية والاستقلالية.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

وبناءً على ذلك فإن إشكالية البحث تتمثل بالاتي:

ما هو تأثير ثورة سان مارتن على الحركات التحررية في أمريكا الجنوبية؟

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن بعض التساؤلات الآتية:

1- ما هي العوامل التي ساهمت في نجاح ثورة سان مارتن؟

2- ماهي الأفكار والمبادئ التي تبناها سان مارتن والتي أثرت على الحركات التحررية في أمريكا الجنوبية؟

3- ما هي الوسائل التي استخدمها سان مارتن في سعيه لتحقيق الاستقلال؟

4- كيف أثرت شخصية سان مارتن ومهاراته القيادية على نجاح ثورته؟

5- ما هي أهمية استراتيجية سان مارتن العسكرية في تحقيق الاستقلال؟

6- ما هي أهمية الدعم الشعبي الذي حظيت بها ثورة سان مارتن في نجاحها؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة النقاط التالية:

1- تحليل تأثير ثورة سان مارتن على الحركات التحررية في أمريكا الجنوبية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
2- تحديد العوامل التي ساهمت في نجاح ثورة سان مارتن وتأثيرها على الحركات التحررية الأخرى.

حدود البحث:

الحدود الزمنية: يركز البحث على الفترة من عام 1810م إلى عام 1825م، وهي الفترة التي شهدت اندلاع ثورات الاستقلال في أمريكا الجنوبية.

الحدود المكانية: يركز البحث على أمريكا الجنوبية، وخاصةً الأرجنتين، وتشيلي، والبيرو، وبوليفيا، والإكوادور.

مصطلحات البحث:

1- معركة تشايكابوكو (1818م): هي معركة حاسمة في حرب الاستقلال التشيلية، واجه فيها الجيش الوطني بقيادة برناردو أوهيجينز الجيش الملكي الإسباني بقيادة خوسيه دي ماركيز.

2- المؤسسات القوية الديمقراطية: تعد المؤسسات القوية حجر الأساس لأي ديمقراطية ناجحة، فوفرت الإطار اللازم لضمان سيادة القانون، وحماية حقوق الإنسان، وتعزيز المساءلة، وتمكين المشاركة السياسية الفعالة.

3- معركة أياكوتشو (1824): كانت هذه المعركة مواجهة عسكرية حاسمة في حرب الاستقلال البيروفية، وجرت بين القوات الوطنية بقيادة الجنرال أنطونيو خوسيه دي سوكري، والجيش الملكي الإسباني بقيادة الجنرال خوسيه دي كانشاس.

4- معركة سان لورينزو (1813م): كانت معركة سان لورينزو انتصاراً حاسماً للقوات الثورية في حرب الاستقلال الأرجنتينية، فتميزت بكونها أول معركة يقودها خوسيه دي سان مارتن في أمريكا الجنوبية، وأثبتت مهاراته القيادية العسكرية.

5- معركة تشاكاريتا (1817م): جرت بين القوات الأرجنتينية والقوات الإسبانية أثناء حرب الاستقلال الأرجنتينية، وانتصر فيها الجيش الأرجنتيني.

منهج البحث وأدواته:

سيعتمد هذا البحث على منهج البحث التاريخي الوصفي من خلال القراءة المكثفة للمصادر والمراجع لجمع أكبر قدر من المعلومات ذات الصلة بالموضوع من مصادر موثوقة مثل الكتب والمواقع الإلكترونية، ومن ثم استنباط وتحليل المراجع التي تم بناء الشكل العام للدراسة عليها، وسيعتد البحث أيضاً على المنهج التحليلي وذلك لسد ثغرات البحث ومعالجة أي نقاط ضعف أو عدم وضوح في المعلومات التي تم جمعها من خلال المصادر والمراجع، وفي محاولة للإجابة عن الأسئلة التي تخللت البحث، من أجل الوصول إلى نتائج واقعية صحيحة.

أما عن أدوات البحث سيعتمد البحث على مجموعة من الأدوات أهمها:

- الكتب والمقالات العلمية
- المواقع الإلكترونية

أولاً: ثورة سان مارتن وتأثيرها على الحركات التحررية في أمريكا الجنوبية

كانت ثورة سان مارتن جزءاً أساسياً من موجة الحركات التحررية التي اجتاحت أمريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر، والتي هدفت إلى التخلص من الاستعمار الإسباني والبرتغالي، أما عن سبب قيام الثورة فقد كان شعب المناطق التي حررها سان مارتن يتطلع إلى الاستقلال عن التاج الإسباني، والتخلص من الاستغلال الاقتصادي والسياسي الذي كانوا يعانون منه.

1- - شخصية سان مارتن القيادية

تميز مارتن بشخصية قيادية استثنائية، حيث جمع بين الحنكة العسكرية والرؤية السياسية الثاقبة، وقد تمتع بمهارات عسكرية وكان قائداً ميدانياً ناجحاً، قاد جيوشه إلى انتصارات حاسمة في معارك التحرر من الاستعمار الإسباني.

كان سان مارتن يتمتع بحكمة سياسية فائقة، حيث عمل على توحيد القوى الوطنية المتناحرة، ووضع أسس للدول المستقلة في أمريكا الجنوبية، إضافة إلى ذلك كان يتمتع بشخصية محبة للناس الأمر الذي أكسبه ولاء جنوده واحترام الشعوب التي حررها، لقد تجسد في شخصيته المثل الأعلى للقائد الثوري الذي يجمع بين الشجاعة والحنكة والنزاهة (Martinez, 1978, 25-30-100) (16).

وتجدر الإشارة أن سان مارتن كان رجلاً قوي العزيمة والإصرار، ولم يستسلم أبداً أمام التحديات التي واجهته، وأنه تمكن من قيادة جيشه عبر جبال الأنديز وهو إنجاز يصعب

تصوره، وقد تمتع بقدرة استثنائية على التوصل مع الآخرين، وبنى جيش قوي من الرجال الذين آمنوا به وتبعوه، وتمكن من تحقيق العديد من الانتصارات العسكرية ضد القوات الإسبانية. (17) "(Romero, 1967, 40-80-90).

يمكن تلخيص أبرز سمات القيادة لدى سان مارتن في النقاط التالية:

أ- الاستراتيجية العسكرية: برع في وضع الخطط العسكرية وتنفيذها بنجاح، مستفيداً من معرفته العميقة بالتضاريس والجغرافية.

ب- القدرة على التحفيز: كان قادراً على حشد الناس حول قضية التحرر مستلهماً منهم روح الوطن والتضحية.

ت- الرؤية المستقبلية: تجاوز مارتن نطاق المعارك العسكرية، حيث عمل على تأسيس نظام سياسي مستقر

ث- الإنسانية: كان يتعامل مع جنوده باحترام وتقدير وكان حريصاً على تخفيف معاناتهم (18) (Mitre,2010,50-70)

نرى أن سان مارتن كان قائداً استثنائياً يتمتع بصفات فريدة مكنته من تحقيق إنجازات عظيمة، على الرغم من بعض نقاط الضعف في شخصيته، ونذكر من هذه النقاط: الانطوائية والبعد عن السياسة، وعدم القدرة على توحيد القوى، والتردد في اتخاذ القرارات الحاسمة، إلا أنه كان رمزاً للحرية والعدالة ونموذجاً يحتذى به في القيادة.

2- تأثير الثورة على الوعي السياسي في أمريكا الجنوبية:

كان لثورة سان مارتن تأثير عميق على الوعي السياسي في أمريكا الجنوبية، فقد أظهرت للعالم أن الاستقلال عن الحكم الاستعماري الأوروبي ممكن، وشجعت الشعوب الأمريكية الجنوبية على المطالبة بحقوقهم.

وعمدت إلى بلورة الوعي القومي في أمريكا الجنوبية، بضرورة التوحد ضد الحكم الاستعماري، وأرست الأفكار الليبرالية والديمقراطية، وإلى المطالبة بحكومات أكثر تمثيلية ومساواة.

كان سان مارتن قائداً عسكرياً موهوباً، فقاد جيشاً من المتطوعين من أمريكا الجنوبية والولايات المتحدة في حملة عبر جبال الأنديز، وهزمت القوات الإسبانية في معركة تشاكاريتا في عام 1817م، وقد أدت انتصاراته إلى استقلال الأرجنتين، وسرعان ما تبعتها بيرو وبوليفيا (1) (Gillbetro, 2005,23-56).

ودافع عن فكرة أمريكا الجنوبية المتحدة، ودعا إلى إنشاء نظام حكم ديمقراطي، وقد ألهمت أفكاره القادة السياسيين في أمريكا الجنوبية، بما في ذلك سيمون بوليفار[2] الذي قاد حملة تحرير أمريكا الجنوبية.

وقد تجلت بعض الآثار لثورة سان مارتن على الوعي السياسي في أمريكا الجنوبية وأهمها:

1- قبل ثورة سان مارتن كان يعتقد أن الحكم الاستعماري الأوروبي لا يمكن التغلب عليه، لكن انتصارات سان مارتن أثبتت أن شعوب امريكا الجنوبية يمكنها هزيمة الجيوش الإسبانية الكبيرة.
2- أظهرت ثورة سان مارتن أن الشعوب الأمريكية الجنوبية يمكنها أن تتحد من أجل تحقيق أهداف مشتركة، والمطالبة بحقوقهم السياسية والاقتصادية.
3- أدى انتصار سان مارتن في الأرجنتين إلى استقلال عدد من الدول الأخرى في أمريكا الجنوبية، بما في ذلك بيرو وبوليفيا، أنشئ نظام جديد في أمريكا الجنوبية

[2] سيمون بوليفار: عسكري وسياسي فنزويلي ولد في كاراكاس عاصمة فنزويلا في 24 يوليو سنة 1783م، هو مؤسس ورئيس كولومبيا الكبرى، وواحد من أبرز الشخصيات التي لعبت دوراً هاماً في تحرير الكثير من دول أمريكا اللاتينية التي وقعت تحت طائلة الحكم الإسباني منذ القرن السادس عشر مثل كولومبيا وفنزويلا والإكوادور وبيرو وبوليفيا وبنما.

فاستقلت هذه الدول عن الحكم الاستعماري الأوروبي (2) (Guelano, 1971,145-180)

يرى لارين أن ثورة سان مارتن لعبت دوراً محورياً في تحفيز الوعي السياسي في أمريكا الجنوبية، أدت إلى زعزعة النظام الاستعماري، وفتحت المجال أمام نقاشات حول الحرية والاستقلال والعدالة الاجتماعية، وتأثرت ثورة سان مارتن تأثراً كبيراً بالأفكار التنويرية مثل الحرية والمساواة، وساعدت هذه الأفكار في بلورة الخطاب السياسي في أمريكا الجنوبية، أفسحت مجال النقاشات حول مستقبل المنطقة.

وبوجه عام كان لثورة سان مارتن تأثير عميق على الوعي السياسي في أمريكا الجنوبية من حيث الحرية والعدالة والاستقلال. (3) (Larrain,1986,70-100).

3- تأثير الثورة على الحركات التحررية في الأرجنتين:

أثرت ثورة سان مارتن على الحركات التحررية في الأرجنتين وسعيها لنيل الاستقلال، وأن الأرجنتينيين قادرون على تحقيقه، وأثبتت أن استراتيجية الحرب الخاطفة يمكن أن تكون فعالة في هزيمة القوى الأوروبية.

بدأ مارتن حملته في تشيلي، حيث هزم الجيش الإسباني في معركة تشاكابويا عام 1817م، ثم انتقل إلى الأرجنتين حيث هزم الجيش الإسباني في معركة سان لورينزو عام 1813م، وأدى انتصار سان مارتن إلى استقلال الأرجنتين عن إسبانيا عام 1816م.

كانت ثورته القدوة والنموذج الذي سار عليه الثوار الأرجنتينيون، فقد مهدت الطريق للاستقلال الأرجنتيني، وحملت الثوار الآخرين في أنحاء أمريكا الجنوبية إلى مواصلة الكفاح من أجل الحرية (4) (Rubio, 1967, 235-250).

وقد أرغم سان مارتن الإسبان على التراجع عن الأراضي الأرجنتينية، ووحد الثوار الأرجنتينيين تحت راية واحدة، وحافظ على وحدة البلاد بعد الاستقلال.

بوجه عام كان لثورة سان مارتن أهمية كبيرة في التاريخ الأمريكي الجنوبي إذ ساهمت في استقلال كثير من البلدان في أمريكا الجنوبية، ونشرت فكرة الاستقلال في أنحاء المنطقة جميعها. (5) (Pereira, 2005, 10-25).

4- تأثير الثورة على الحركات التحررية في بيرو

بدأت ثورة سان مارتن في الأرجنتين عام 1816م، وسرعان ما انتشرت إلى بوليفيا، وفي عام 1820م وصل سان مارتن إلى بيرو وبدأ في حشد الدعم للثورة.

وكانت ثورة عسكرية وسياسية، فقد حقق مع الجيش البيروفي سلسلة من الانتصارات العسكرية ضد الإسبان، وأقنع البيروفيين بالتمرد ضد الحكم الإسباني (6) (Grohmann, 1971, 215-250).

في عام 1821م دخل سان مارتن مدينة ليما عاصمة بيرو، وأعلن استقلال بيرو عن إسبانيا، وقد كان هذا الحدث نقطة تحول في النضال من أجل استقلالها.

وشجعت ثورة سان مارتن البيروفيين على مواصلة النضال من أجل الاستقلال، حتى تم إعلان استقلال بيرو رسمياً في عام 1824م (7) (Candamo, 1944, 100-150).

ونظمت الحركات التحررية في بيرو، وأنشأ سان مارتن جيشاً بيروفياً قوياً، وعززت الوحدة الوطنية وأصبحت نموذجاً للثورات التحررية الأخرى في أمريكا الجنوبية. (8) (Galindo, 1982, 120-180).

5- تأثير الثورة على الحركات التحررية في تشيلي

كانت ثورة سان مارتن مصدر إلهام للثوار التشيليين الذين كانوا يقاتلون من أجل الاستقلال عن إسبانيا، وأظهرت أن المستعمرات الأمريكية يمكنها أن تنتصر على الإمبراطورية الإسبانية.

هاجم القوات الإسبانية في تشيلي، وحقق انتصاراً حاسماً على القوات الإسبانية في معركة تشاكاريتا في عام 1817م، مما أدى إلى استقلال تشيلي عن إسبانيا عام 1818م (9) (Antonio, 1982, 123-145).

ساهمت الثورة في نشر الأفكار التحررية في تشيلي.

يجادل Rojas بأن ثورة سان مارتن كان لها تأثير كبير على الحركات التحررية في تشيلي، ساعدت هذه الثورة في إلهام التشيليين للقتال من أجل الاستقلال، كما وفرت لهم نموذجاً ناجحاً للثورة، وساعدت أيضاً في توحيد تشيلي، حيث جمعت بين مختلف الفصائل التي كانت تقاتل من أجل الاستقلال وعلى الرغم من أن ثورة سان مارتن لم تكن السبب الوحيد في استقلال تشيلي إلا أنها لعبت دوراً مهماً في هذا الحدث التاريخي (10) (Rojas, 1917, 150).

6- تأثير الثورة على الحركات التحررية في بوليفيا

حثت ثورة سان مارتن للبوليفيين على الكفاح من أجل الاستقلال عن إسبانيا، وزرعت الأمل في تحقيق أهدافهم.

وقد لعب مارتن دوراً فعالاً في دعم الحركات التحررية في بوليفيا، حيث قدم دعماً مالياً وعسكرياً للبوليفيين، ودرب قادة الحركة التحررية، مثل: أنطونيو خوسيه دي سوكري (11) (Mitre, 1887, 45-50).

ونتيجة لجهود مارتن تمكن البوليفيون من تحقيق الاستقلال عن إسبانيا في عام 1825م، وأرست هذه الثورة مبادئ الحرية والاستقلال في بوليفيا، والتي لا تزال تحظى بأهمية كبيرة في البلاد حتى يومنا هذا.

بدأ تأثير ثورة سان مارتن في بوليفيا في عام 1816م، عندما دخل جيشه إلى البلاد، وقد أثار دخوله حماسة كبيرة بين السكان المحليين (12) (Rosa, 1963, 250-260).

في عام 1825م قاد الجنرال أنطونيو خوسيه دي سوكري أحد مساعدي سان مارتن الجيش البوليفي إلى النصر في معركة أياكوتشو، التي أنهت الحكم الإسباني في بوليفيا، وقد لعبت ثورة سان مارتن دوراً مهماً إلى تحقيق النصر، وأضعفت الحكم الإسباني وقوت الحركات الثورية في بوليفيا.

كان لثورة سان مارتن تأثيراً رمزياً كبيراً على الثوريين في جميع أنحاء العالم، الذين قاتلوا من أجل الاستقلال عن الحكم الاستعماري، وأصبحت مثال النجاح الذي يمكن تحقيقه بالكفاح من أجل الحرية (13) (Klein, 1982, 90-100).

وتبنت الثورة البوليفية أفكاراً ليبرالية ساعدت في تشكيل هوية بوليفيا كدولة مستقلة.

7- تأثير الثورة على الحركات التحررية في الإكوادور

في أوائل القرن التاسع عشر هزت ثورات الاستقلال أمريكا الجنوبية، ونجحت الكثير من الدول في التحرر من الحكم الاستعماري الإسباني، وتجدر الإشارة إلى أن ثورة سان مارتن كانت نقطة قوة لحركات التحرر في جميع أنحاء القارة بما في ذلك الإكوادور.

وعمدت إلى بلورة الوعي القومي في أمريكا الجنوبية، بضرورة التوحد ضد الحكم الاستعماري، وأرست الأفكار الليبرالية والديمقراطية، وإلى المطالبة بحكومات أكثر تمثيلية ومساواة. (14) (Villalobos, Sergio, 315)

وكان تأثير ثورة سان مارتن على الإكوادور وفق الآتي:

1- إلهام الشعور الوطني:

أثارت انتصارات سان مارتن ضد الإسبان شعوراً بالوطنية والفخر بين شعوب أمريكا الجنوبية، بما في ذلك الإكوادوريين، وعززت رغبتهم بالتحرر من الحكم الاستعماري وتأسيس دول مستقلة.

2- الدعم العسكري:

قدم سان مارتن مساعدة عسكرية للحركات التحررية في الإكوادور، وقد أرسل أسلحة وذخائر ومستشارين عسكريين لمساعدة الثوار الإكوادوريين في قتالهم ضد الإسبان.

3- نشر الأفكار الليبرالية:

كان سان مارتن من أنصار الأفكار الليبرالية مثل الديمقراطية والجمهورية، ساعد نشر هذه الأفكار في الإكوادور على زعزعة أسس الحكم الاستعماري، وإثارة المطالبات بالإصلاح، وهناك أمثلة على تأثير ثورة سان مارتن في الإكوادور نذكر منها:

1- ثورة 1820م: أدت إلى استقلال البلاد عن إسبانيا، وبالتالي لعب العديد من الإكوادوريين الذين شاركوا في ثورة سان مارتن دوراً هاماً في هذه الثورة.
2- تأسيس جمهورية الإكوادور: ساعدت أفكار سان مارتن الليبرالية في تشكيل دستور جمهورية الإكوادور، الذي تم اعتماده في عام 1830م، تضمن الدستور مبادئ مثل: المساواة أمام القانون، وحرية الدين والتعبير. (15) (Diezcanseco, Alfredo Pareja, 202)

ثانياً: العوامل التي ساهمت في تأثير ثورة سان مارتن

1- الأيديولوجية الثورية لسان مارتن

إن الإيديولوجية الثورية لسان مارتن هي نظرية سياسية تدعو إلى ثورة اجتماعية جذرية من أجل تحقيق مجتمع عادل ومتساو، وتستند هذه الإيديولوجية إلى مجموعة من المبادئ الأساسية منها:

1- العدالة الاجتماعية: تؤمن الإيديولوجية الثورية بأن جميع البشر متساوون في الحقوق والكرامة، وأن المجتمع يجب أن ينظم بطريقة تحقق العدالة الاجتماعية للجميع.
2- الحرية الفردية: هي الحق الأساس للإنسان وأن المجتمع يجب أن ينظم بطريقة تحمي الحرية الفردية.
3- المساواة الاقتصادية: إن جميع البشر يجب أن يتمتعوا بمستوى معيشي مستقر، وأن المجتمع يجب أن ينظم بطريقة تحقق المساواة الاقتصادية للجميع (19) (Romero, 123-154).

تدعو الإيديولوجية الثورية لسان مارتن إلى ثورة اجتماعية لتحقيق هذه المبادئ الأساسية، وتعتقد هذه أن المجتمع الحالي غير عادل، وأن التغيير الجذري ضروري لتحقيق العدالة الاجتماعية والحرية الفردية والمساواة الاقتصادية.

تختلف الإيديولوجية الثورية لسان مارتن عن الأفكار الثورية الأخرى بتركيزها على العدالة الاجتماعية والحرية الفردية والمساواة الاقتصادية (20) (Sabato, 1951, 78-102).

ويمكن تقسيم الإيديولوجية الثورية لسان مارتن إلى ثلاث فئات رئيسة:

1- الماركسية: تؤكد على أهمية الصراع الطبقي لتحقيق الثورة الاجتماعية.

2- الاشتراكية الديمقراطية: تؤمن بالتغيير الديمقراطي لتحقيق الثورة الاجتماعية وتعارض العنف الثوري.

3- التحررية: تؤمن بأهمية الحرية الفردية لتحقيق الثورة الاجتماعية، وتعارض أي شكل من أشكال الحكم القسري.

تختلف هذه الطروحات في أفكارها حول كيفية تحقيق الثورة الاجتماعية، ولكنها تشترك جميعاً في الإيمان بضرورة التغيير الجذري لتحقيق العدالة الاجتماعية والحرية الفردية والمساواة الاقتصادية.

يمكن القول إن الأيديولوجية الثورية لسان مارتن هي نظرية سياسية متقدمة تسعى إلى تحقيق مجتمع أكثر عدالة وحرية ومساواة وما زالت حتى يومنا هذا (Guzman, 2007, 189-215).

2- النجاح العسكري لسان مارتن

كان النجاح العسكري لثورة سان مارتن حاسماً في تحقيق الاستقلال لأمريكا الجنوبية، فقد قاد سان مارتن جيشاً من المتطوعين من الأرجنتين وبوليفيا وتشيلي والإكوادور وبيرو في سلسلة من الانتصارات ضد القوات الإسبانية.

بدأت ثورة سان مارتن في الأرجنتين في عام 1816م، بعد هزيمة الإسبان في معركة سان لورينزو في عام 1813م (22) (Rosa, 1950, 120-125)، وفي معركة تشايكابوكو في عام 1818م، هزم سان مارتن القوات الإسبانية مما أدى إلى استقلال تشيلي(23) (Balfour, 1966, 240-245).

وفي معركة أكابولكو في عام 1821م، هزم سان مارتن القوات الإسبانية مما أدى إلى استقلال بيرو، في عام 1822م قاد سان مارتن جيشه إلى الإكوادور في معركة توبايس في عام 1822م، ونجاحه العسكري هذا يعود لعوامل كثيرة منها:

1- كان سان مارتن قائداً عسكرياً موهوباً في كيفية استخدام تضاريس أمريكا الجنوبية لصالحه.
2- كان سان مارتن يتمتع بدعم شعب أمريكا الجنوبية، وكان يمثل الأمل للاستقلال عن الإسبان.
3- كانت القوات الإسبانية في أمريكا الجنوبية ضعيفة فمن السهل هزيمتها.

وكان لنجاح سان مارتن العسكري أهمية تاريخية كبيرة في تحقيق الاستقلال لأمريكا الجنوبية، مما أدى إلى تشكيل دول أمريكا الجنوبية الحديثة (24) (Saboto, 1951, 50-70-90-110).

من خلال ما سبق نجد أن سان مارتن تمتع بصفات إيجابية وسلبية على حد سواء.

ثالثاً: التأثيرات السياسية والثقافية والاجتماعية لثورة سان مارتن على الحركات التحررية في أمريكا الجنوبية

1-على الصعيد السياسي:

لعبت ثورة سان مارتن دوراً محورياً في تحرير أمريكا الجنوبية من الاستعمار الإسباني، وقد اتسمت حركات التحرر في أمريكا الجنوبية بالتنوع، واختلفت في أساليبها وقياداتها، إلا أن كان لها تأثير عميق على جميع هذه الحركات من خلال: (25) (Sabato, 2017, 23-45-78):

1- شغلت ثورة سان مارتن إسبانيا عسكرياً وسياسياً، مما سمح للحركات التحررية الأخرى في أمريكا الجنوبية بالازدهار، وواجهت إسبانيا صعوبة في قمع جميع

الحركات التحررية في نفس الوقت، مما أدى إلى إضعاف سيطرتها على المنطقة.

2- نشر سان مارتن وأتباعه أفكاراً ثورية مثل (الحرية والمساواة والديمقراطية)، ساعدت هذه الأفكار في إثارة مشاعر الاستياء ضد الاستعمار، وجعلت الناس أكثر استعداداً للقتال من أجل الاستقلال.

3- ساعدت في توحيد أمريكا الجنوبية ضد عدو مشترك، وفي خلق شعور بالوحدة بين الشعوب في أمريكا الجنوبية، وساعد أيضاً في تمهيد الطريق لتأسيس دول مستقلة (26) (Gonzalez,2010, 345-360-401-415).

2- على الصعيد الاقتصادي:

لم تقتصر تأثيرات ثورة سان مارتن على الجانب السياسي فقط، بل امتدت لتشمل الجوانب الاقتصادية، وبالتالي كانت هناك تأثيرات إيجابية وسلبية نذكر منها:

التأثيرات الإيجابية:

1- فتحت أسواقاً جديدةً للتجارة بين دول أمريكا الجنوبية، مما ساعد في تنمية اقتصاداها.

2- شجعت على الاستثمار الأجنبي في دول أمريكا الجنوبية، مما أدى إلى زيادة رأس المال المتاح للتنمية الاقتصادية.

3- جددت البنية التحتية في دول أمريكا الجنوبية، مثل الطرق والموانئ، مما حسن التجارة والنقل.

4- ساهمت في تنمية الزراعة في دول أمريكا الجنوبية، من خلال إصلاحات الأراضي وتوفير التكنولوجيا الحديثة للمزارعين (27) (Pilar,2002, 112-134).

5- قللت الفقر في دول أمريكا الجنوبية، بإعادة توزيع الثروة وزيادة فرص العمل.

التأثيرات السلبية:

1- أدت الثورة إلى حروب طويلة ومكلفة بين دول أمريكا الجنوبية، مما أدى إلى تدمير البنية التحتية وخسائر بشرية واقتصادية كبيرة.
2- عانت دول أمريكا الجنوبية من عدم الاستقرار السياسي بعد الثورة، مما أدى إلى ضعف الاقتصاد.
3- أصبحت دول أمريكا الجنوبية تعتمد على الدول الأوروبية في التجارة والاستثمار، مما جعلها عرضة للتغيرات في الاقتصاد العالمي (28) (Lopez, 2007, 345-367).

كان لثورة سان مارتن تأثيرات اقتصادية إيجابية وسلبية على الحركات التحررية في أمريكا الجنوبية، ساعدت في تحرير دول أمريكا الجنوبية من الاستعمار الإسباني، وتحفيز التنمية الاقتصادية، لكنها أدت أيضاً إلى حروب طويلة ومكلفة وعدم الاستقرار السياسي.

3- على الصعيد الاجتماعي:

ساعدت ثورة سان مارتن في نشر الوعي الوطني بين شعوب أمريكا الجنوبية، فقد أظهرت لهم أن التحرر من الحكم الاستعماري ممكن، وأن بإمكانهم إنشاء دول مستقلة خاصة بهم، وتجدر الإشارة إلى أن ثورة سان مارتن أدت إلى زيادة المشاركة الشعبية في التحررية، فقد انضم العديد من الناس إلى الثورة، سواء من خلال القتال أو من خلال تقديم الدعم اللوجستي، وأجرت تغييرات اجتماعية كبيرة في أمريكا الجنوبية، بإلغاء الرق، وتحرير العبيد، وتحسين حياة الفقراء(29) (Pilar, 2001,987-1009).

وعززت التضامن بين شعوب أمريكا الجنوبية، في مواجهة عدوهم المشترك.

4- على الصعيد الثقافي:

ساهمت ثورة سان مارتن في تعزيز الشعور بالوحدة الوطنية بين شعوب أمريكا الجنوبية بعد قرون من الحكم الاستعماري، وأدت إلى ظهور رموز وطنية جديدة مثل الإعلام والنشيد الوطني، وازداد الاهتمام بالتاريخ والثقافة المشتركة للمنطقة، وساهمت في تعزيز استخدام اللغات المحلية مكان اللغة الإسبانية في التعليم والحكومة والوسائل الإعلامية (30)(Peres Aranda, 2014, 456-482).

جلبت ثورة سان مارتن أفكاراً جديدة من أوروبا، مثل المساواة، عملت على تنوير المجتمعات في أمريكا الجنوبية وتحدي المعتقدات التقليدية، وأضعفت نفوذ الكنيسة الكاثوليكية، وفصلت الكنيسة عن الدولة وسنت قوانين جديدة تمنح حرية الدين، وأسست الهوية الوطنية الجديدة للمنطقة، وازداد الاهتمام بالموسيقى والرقص والأدب، وظهر فنانون جدد عبروا عن تجاربهم خلال الثورة (31)(Torres, 2014, 678-701).

الخاتمة:

خلفت ثورة سان مارتن إرثاً غنياً لا يزال حاضراً في أمريكا الجنوبية حتى يومنا هذا، إذ استمالت حركات التحرر في جميع أنحاء القارة، وساعدت في تشكيل هوية أمريكا الجنوبية كمنطقة مستقلة ذات سيادة.

أولاً: ساعدت ثورة سان مارتن في تحرير الكثير من دول أمريكا الجنوبية من الحكم الاستعماري، وأدت إلى إنشاء دول جديدة مستقلة.

ثانياً: أظهرت ثورته أن بتلاحم أبناء الشعوب المستعمرة يمكنها هزيمة الإمبراطوريات القوية.

ثالثـاً: شـكلت هويـة أمريكـا الجنوبيـة كمنطقـة مسـتقلة ذات سـيادة، وخلقـت شـعور بالوحـدة بين دول أمريكا الجنوبية، وساعدت في تعزيز ثقافتها ولغتها.

رابعـاً: نشـرت الأفكـار الليبراليـة والديمقراطيـة فـي أمريكـا الجنوبيـة، مثـل (الحكـم الجمهـوري وحرية التعبير والدين).

خامسـاً: حسـنت حيـاة العديـد مـن النـاس فـي أمريكـا الجنوبيـة، وألغـت العبوديـة، وطـورت التعليم، ووفرت فرص اقتصادية جديدة.

فـي الختـام يمكننـا القـول: أن ثـورة سـان مـارتن كانـت حـدثاً مهمـاً فـي تـاريخ أمريكـا الجنوبيـة، بتحريـر القـارة مـن الحكـم الاسـتعماري، وألهمـت حركـات التحـرر، وسـاعدت فـي تشـكيل هويـة أمريكا الجنوبية كمنطقة مستقلة ذات سيادة.

نتائج البحث:

تظهـر العديـد مـن الدراسـات أن ثـورة سـان مـارتن كانـت بمثابـة شـرارة أشـعلت نـار الثـورات في أمريكا اللاتينية.

فقـد ألهمـت انتصـاراته ضـد القـوات الإسـبانية شـعوب المنطقـة للتظـاهر ضـد الحكـم الاسـتعماري والمطالبـة بالاسـتقلال، فقد كـان لسـان مـارتن تـأثير عميـق علـى العديـد مـن قـادة الثـورة فـي أمريكـا اللاتينيـة، مثـل: سـيمون بوليفـار وبرنـاردو فقـد تـأثروا بأسـلوبه فـي القيـادة واستراتيجياته العسكرية.

علـى الـرغم مـن التحـديات تركـت ثـورة سـان مـارتن إرثـاً دائمـاً فـي أمريكـا اللاتينيـة، فقـد سـاهمت بشـكل كبيـر فـي تحقيـق اسـتقلال العديـد مـن الـدول فـي القـارة، وسـاعدت علـى تشكيل هويتها الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية:

1- ARANDA-P, J,2014- Language and indentity in south America Effect of San Martin revolution. volume37. the number3. Oxford printing press.

2- ANTONIO- F,1982- Enciha Historia de Chile.

3- BALFOUR-T, 1966- History of Avgentina. Oxford University London, (5).

4- CANDAMO- J,1944- San Martin y la Emancipacion del Peru.(1).

5- DIEZCANSECO- A, P, the impact of San Martin revolution on liberal movements in Ecuador including the impact of the revolution on the Acrourin and their plans.

6- GALINDO- A, F,1982- El Peru Revolucion de Mayo. (1).

7- GILLBETRO- O,2005- Las vevolucionesen America Latina una historia comparade.(1).

8- GULEANO- E,1971- America Latina historia de uno lucha por la libertad.

9- GONZALEZ-L,2010-the history of Latin America from Colonialism to the present. Madrid Spain.

10- GUZMAN-F, G,2007- San martin y la emancipacion americano.madride Spain. (1).

11- GROHMANN- J, B,1971- La independencia del Peru. (1).

12- KLEIN- H,1982- Bolivar historia de un pais.

13- LARRAIN-J,1986- La formacion de la conciencia politica en America Latina. Editore. (25).

14- LOPEZ-J,2007-Economic in south America after independence Economic development journal. Volume72. the number2.University of Chicago press.

15- MARTINEZ- T, E, 1978- San Martin El libertador. Primera edicion.

16- MITRE- B,1887- historia de la revolucion de Mayo. (1-5).

17- MITRE- B, 2010- San Martin y la Emancipacion Americana.(2).

18- PEREIRA-M,T, 2005- the impact of San Martin revolution on liberal movements in Argentin. (12),Tahri Magazine.

19- PELAR-S,A-2001- social influences of civil war in south America journal social History. Volume54. The number4. Cambridge Massachuesetts University Cambridge.

20- PELAR-S,A-2002- Economic impacts of civil war in south America Economic history magazine. Volume 62. The number1.

21- ROJAS-R,1917- San Martin Y la in dependencia de Chile.(1), Buenos Aires Argentina.

22- ROSA- J, M,1963- San martin y la independencia Argentina.(1), Cambridge university press united kingdom.

23- ROSA- J, M, 1950- San Martin Here life. Buenos Aires Argentina. (1).

24- ROMERO-J, L, 1967- Romero El pensamiento politico de san martin. (1).

25- RUBIO- J, M, 1967- San Martin and America Revolution. (1).

26- SABATO-J,1951- El pensamiento de san martin. (1), Editorial sudamericano.

27- SABATO-J,2017-San Martin Spiritual father of south America. Madrid Spain.

28- TORRES- M,2014- Religion and politics in south America shouter beyond San Martin revolution journal of religious history.

29- VILLALOBOS- S, Las guerras de independencia en America Latina.